

التساؤلات في الأحاديث النبوية:
دراسة تحليلية لدورها المعرفي

إعداد

عبد الباسط شايبو

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

٢٠٢٥م

التساؤلات في الأحاديث النبوية:
دراسة تحليلية لدورها المعرفي

إعداد

عبد الباسط شايبو

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنة

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

ديسمبر ٢٠٢٥ م

ملخص البحث

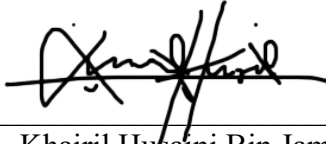
تتناول هذه الرسالة الربط بين الأسئلة الواردة في الأحاديث النبوية وتحفيز الفكر النقدي والاستقلال الفكري والإبداع. ويقترح الباحث، استناداً إلى فرضية راسخة، أن ممارسات التساؤل في الأحاديث لا تقتصر على كونها مجرد وسيلة لاستخلاص المعلومات، بل هي أدوات فاعلة تثري العقل وتنمي القدرات المعرفية، مما يفضي إلى بلوغ درجات رفيعة من المعرفة والفهم العميق. وقد شرع الباحث في مستهل رسالته بتعريف مفاهيم السؤال والتساؤل والاستجواب، مبيّناً الفروق الدقيقة فيما بينها، ومفرقاً بين الأسئلة المباشرة وغير المباشرة، ومحددًا أغراضها المتعددة التي تمتد بين طلب المعلومات ونقل الإدراكات والمشاعر. كما تناولت الدراسة الموقف الإسلامي من طرح الأسئلة، مستعرضة مفهومي التكلف وكثرة السؤال، ومبرزة الضوابط الشرعية التي تكفل جواز التساؤل وشروطيته كوسيلة حضارية لتحقيق المنفعة والعناية. واستند البحث إلى منهج استقرائي في جمع الأحاديث من مصادر متنوعة، منتقياً النصوص التي تتضمن تساؤلات ذات دلالات معرفية، ثم اتبع منهجاً تحليلياً لتصنيفها وفق مستويات التفكير؛ إذ استند إلى تصنيف بلوم الهرمي ونقده، مقدماً تصنيفاً بديلاً غير هرمي. كما تم تحليل العلاقة الوثيقة بين المعرفة والتفكير، مسلطاً الضوء على دور المعرفة الخلفية في تسهيل عمليات التفكير، وحل المشكلات، والاحتفاظ بالمعلومات. وقد تناول البحث كذلك أبعاد التفكير النقدي والاستقلال الفكري والإبداع، مؤكداً أن الأسئلة الواردة في الأحاديث تعد بمثابة المحفز الأساس لهذه القدرات؛ إذ إن التساؤل الجيد، بمعناه الواسع، لا يقتصر على استخراج المعلومات، بل يشمل نقل المشاعر والإدراكات بين السائل والمستجوب، مما يعزز تدفق المعلومات ويعمق الفهم. ويتبين إذن أن هذا النوع من التساؤل يساهم في إقامة جسر متين بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي، وهو ما يتلاءم مع أهداف التنمية المستدامة ورؤية شاملة للتقدم العلمي. وفي ختام المطاف، يؤكد البحث أن التساؤل عنصر أصيل في طبيعة الإنسان، وأن الحرية الفكرية — التي تشمل الحق في طرح الأسئلة والبحث عن إجاباتها — ضرورية لتحقيق التقدم العلمي والثقافي. كما يحث البحث على تبني ممارسات التساؤل الجيد في العملية التعليمية والتربوية، سعياً لتفعيل الفكر النقدي وتنمية الإبداع والاستقلال الفكري لدى الأفراد، مما يعزز قدراتهم على مواجهة تحديات العصر في سعيهم نحو المعرفة والفهم الشاملين.

ABSTRACT

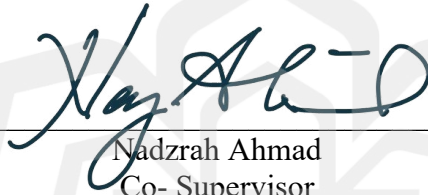
This thesis addresses the connection between questions contained in the Prophetic *hadiths* and the stimulation of critical thinking, intellectual independence, and creativity. Based on a well-established hypothesis, the researcher proposes that questioning practices in the *hadiths* are not merely a means of extracting information but rather effective tools that enrich the mind and develop cognitive abilities, leading to the attainment of high levels of knowledge and deep understanding. The thesis began by defining the concepts of question, questioning, and interrogation, clarifying the subtle differences between them, distinguishing between direct and indirect questions, and identifying their multiple purposes, which range from seeking information to conveying perceptions and feelings. The study also addressed the Islamic stance on asking questions, reviewing the concepts of affectation and excessive questioning, and highlighting the legal controls that guarantee the permissibility and conditions of questioning as a civilised means of achieving benefit and care. The research relied on an inductive approach to collecting *hadiths* from various sources, selecting texts that contain questions with cognitive connotations, followed by an analytical approach for classifying them according to levels of thinking. It relied on Bloom's hierarchical taxonomy and alternative non-hierarchical classification. The close relationship between knowledge and thinking was analysed, highlighting the role of background knowledge in facilitating thinking processes, problem-solving, and information retention. The research also addressed the dimensions of critical thinking, intellectual independence, and creativity, demonstrating that the questions contained in the *hadiths* serve as the primary catalyst for these abilities. Good questioning, in its broadest sense, is not limited to extracting information but also includes conveying feelings and perceptions between the questioner and the questionee, enhancing the flow of information and deepening understanding. It thus becomes clear that this type of questioning contributes to establishing a solid bridge between theoretical knowledge and practical application, which aligns with the goals of sustainable development and a comprehensive vision of scientific progress. Ultimately, the research confirms that questioning is an inherent element of human nature, and that intellectual freedom — which includes the right to ask questions and seek answers — is essential for achieving scientific and cultural progress. The study also recommends adopting effective questioning practices in the teaching and learning process, aiming to stimulate critical thinking and foster creativity and intellectual independence among individuals, thereby enhancing their capacity to address contemporary challenges in their pursuit of comprehensive knowledge and understanding.

APPROVAL PAGE

The thesis of Abdul-Baasit Shaibu has been approved by the following:



Khairil Husaini Bin Jamil
Supervisor



Nadzrah Ahmad
Co- Supervisor

Jamal Ahmed Bashier Badi
Internal Examiner

Abdulrahman Obeid
External Examiner

Chairperson

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Abdul-Baasit Shaibu



Signature:.....

08 October 2025

Date:.....



إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٥ م محفوظة ل: عبد الباسط شايبو

التساؤلات في الأحاديث النبوية

دراسة تحليلية لدورها المعرفي

١. لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشورة في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:
١. يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
٢. يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسسية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
٣. يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طالبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: عبد الباسط شايبو

-

التوقيع.....

08 October 2025

التاريخ:.....

أهدي هذه الرسالة إلى والديّ العزيزين، فضيلة الشيخ الحاج شعيب الحسن نابون - رحمه الله
رحمة واسعة - والحاجة حُسينة بنت محمد، لتمييزهما في توجيهي نحو التعلم ودعمهما
وتشجيعهما المستمر. كما أهديها إلى زوجتي ديلي داي، وابني أيوب عبد الباسط شعيب
وابنتي أمانة عبد الباسط شعيب لتقليدهم أبويّ صبراً ومحبةً في دعمهم وتشجيعهم إياي.

الشكر والتقدير

كل الحمد والشكر والتقدير لله وحده، لا إله إلا هو، وأعترف بفضلته عليّ، الذي لو حاولت عده ما استطعت. ومن نعمه عليّ أن هيا لي أشخاصًا اختارهم وسخرهم لمساعدتي في إنجاز هذه المهمة، فأبدعوا جميعًا في إحسانهم، وأنا ممتن بلا استثناء لمعروفهم ولطفهم، وأدعو الله أن يجزيهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة. ومن بين هؤلاء الفضلاء مشرفي الكريم الأستاذ المشارك الدكتور خيرئيل حسيني بن جميل، الذي يستحق شكرًا خاصًا على صبره وإرشاداته الثمينة. كما أشكر مشرفتي الثانية الأستاذة المشاركة الدكتورة نضرة بنت أحمد، على استعدادها لتولي هذا الدور ودعمها المستمر. ولا أنسى تقديري الكبير للفائدة التي جنيته من مناقشة الممتحنين للرسالة، وكذلك من تعليمات جميع المحاضرات التي كانت مفيدة للغاية، حيث أبدى الأساتذة الكرام خبرة مزوجة بالشغف والتعاطف، مما جعلني دائم الترقب لمحاضراتهم. ومن بينهم إلى جانب مشرفي الأول، الأستاذ الدكتور محمد أبو الليث، والأستاذ المشارك الدكتور نشوان عبده خالد، والأستاذ المشارك الدكتور أحمد المجتبى، والأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال، والدكتورة صفية شمس الدين، والدكتورة زينة محمد مرزوقي، والدكتورة نضرة بنت محمد، والدكتور منتهى من قسم الفقه وأصوله. وأنا ممتن أيضًا للدكتور شاهد إقبال، والدكتور عبد العظيم أحمد سراجتم، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن أوفولي على دعمهم الثمين، وللدكتور مصطفى خطاب على مراجعة الأطروحة واقتراحاته القيمة، وللدكتور يوسف آدم البدني على حسن الصحبة والأخوة. وأخيرًا، أكن امتنانًا عميقًا لصبر وحب زوجتي ديبى داي (أمنية)، وابني أيوب عبد الباسط شعيب، وابنتي أمانة عبد الباسط شعيب، فقد كان دعمهم دافعًا كبيرًا لمثابرتي، وكان استعداد ديبى لتحمل المسؤوليات كاصطحاب الأطفال إلى المدرسة والمواعيد الطبية عونًا هائلًا. جزى الله الجميع عني خير الجزاء، مذكورين كانوا أو غير مذكورين، فهو لا يضيع أجر المحسنين، وهو ولي كل شيء والقادر عليه.

فهرس محتويات البحث

ب.....	ملخص البحث
ج.....	ملخص البحث بالإنجليزية
د.....	صفحة القبول
ه.....	صفحة الإقرار
و.....	إقرار بحقوق الطبع
ز.....	الإهداء
ح.....	الشكر والتقدير
ط.....	فهرس محتويات البحث
ن.....	قائمة الأشكال
١.....	الفصل الأول: المدخل إلى البحث
١.....	مقدمة
١١.....	مشكلة البحث
١٢.....	أسئلة البحث
١٣.....	أهداف البحث
١٣.....	أهمية البحث
١٦.....	حدود البحث
١٧.....	منهج البحث
١٨.....	الدراسات السابقة
٢٧.....	الفصل الثاني: مفهوم السؤال والموقف الإسلامي منه

المبحث الأول: مفهوم السؤال	٢٨
المطلب الأول: تعريف السؤال	٢٨
المطلب الثاني: التساؤلات	٣١
المطلب الثالث: الاستجواب	٣٢
المطلب الرابع: الطلب والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام	٣٣
المطلب الخامس: أغراض طرح الأسئلة	٣٤
المبحث الثاني: الموقف الإسلامي من الأسئلة	٥٧
المطلب الأول: تسليط الضوء على الحث والحث بالنسبة للسؤال	٥٧
المطلب الثاني: ما هو التكلف؟	٦١
المطلب الثالث: كثرة السؤال	٦٤
المطلب الرابع: فهم متوازن	٦٩
المبحث الثالث: مفهوم حديث السؤال	٧٤
المطلب الأول: الحديث	٧٥
المطلب الثاني: حديث السؤال	٧٦
الفصل الثالث: العلاقة بين الأسئلة والمعرفة والتفكير	٨٢
المطلب الأول: نظرية التفكير النقدي	٨٤
أ - التفكير	٨٤
ب - النقدي	٨٥
ج - التفكير النقدي بالتركيب	٨٦
د - التفكير النقدي من حيث الأسئلة	٨٩

هـ - التفكير النقدي من حيث كمال الفكر	٨٩
و - كمال الفكر من خلال عدسة إسلامية	٩٢
ز - ارتباط التفكير النقدي بأهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة	٩٦
ح - التفكير النقدي في الفكر العربي قبل الإسلام	٩٨
المطلب الثاني: الاستقلال الفكري	١٠٣
أ - الاستقلال	١٠٣
ب - الاستقلال الفكري	١٠٣
المطلب الثالث: الإبداع	١٠٧
أ - تعريف الإبداع	١٠٧
ب - الإبداع في الاصطلاح	١٠٨
ج - الأسئلة والإبداع	١١٢
د - الإبداع في الثقافة العربية الإسلامية:	١١٣
المطلب الرابع: التفكير ونظريات التعلم	١١٥
المطلب الخامس: التفكير ذو المرتبة السافلة والتفكير ذو المرتبة العالية	١١٧
المطلب السادس: تصنيف الأسئلة حسب مستويات التفكير التي تثيرها	١١٩
المطلب السابع: نقد التصنيفات المتسلسلة	١٢١
المطلب الثامن: تصنيف غير هرمي	١٢٢
الفصل الرابع: ملاحظة التفكير في الأسئلة الواردة في الأحاديث	١٢٧
المطلب الأول: أمثلة الأسئلة الواردة في الحديث حسب تصنيف بلوم	١٢٧
أ - الأسئلة المعرفية أو التذكيرية	١٢٧

ب - الأسئلة الاستيعابية.....	١٢٨
ج - الأسئلة التطبيقية.....	١٣٠
د - الأسئلة التحليلية.....	١٣١
هـ - الأسئلة التركيبية.....	١٣٢
و - الأسئلة التقييمية.....	١٣٣
المطلب الثاني: ملاحظة التفكير النقدي في الأسئلة الواردة في الأحاديث	١٣٥
المطلب الثالث: ملاحظة الاستقلال الفكري في الأسئلة الواردة في الأحاديث	١٥٢
المطلب الرابع: ملاحظة الإبداع في الأسئلة الواردة في الأحاديث.....	١٦٣
الفصل الخامس: التساؤل الجيد وقيمته.....	١٧٤
المبحث الأول: قيمة التساؤل	١٧٤
المطلب الأول: العلاقة بين التساؤل والمعرفة.....	١٧٥
المطلب الثاني: العلاقة بين التساؤل والفهم.....	١٧٦
المبحث الثاني: أمثلة محددة حول قيمة الأسئلة	١٧٩
المبحث الثالث: التساؤل الجيد	١٨٥
المطلب الأول: تمهيد.....	١٨٥
المطلب الثاني: بيان أهمية كون المرء متسائلاً جيداً من خلال العلاقة بين التساؤل والمعرفة	١٨٨
المطلب الثالث: النظر إلى المتساءل الجيد من خلال مكونات التساؤل	١٨٩
المطلب الرابع: التساؤل الفاضل في الحديث النبوي	١٩٨
أولاً: الأسئلة وإعادة تعريف المفاهيم	١٩٨

١٩٩	ثانيًا: الأسئلة وإثارة الفضول
٢٠٠	ثالثًا: الأسئلة لحماية المجتمع
٢٠٢	رابعًا: الأسئلة ذات البعد الروحي
٢٠٦	الخاتمة
٢٠٩	نتائج البحث
٢١٠	التوصيات
٢١٣	قائمة المصادر والمراجع
٢١٣	الكتب العربية:
٢٢٧	الرسائل الجامعية:
٢٢٨	المجلات الدورية:
٢٢٩	المراجع الأجنبية

قائمة الأشكال

٥٥

أقسام الاستفهام عند الإمام الزركشي

الشكل رقم ١



الفصل الأول

المدخل إلى البحث

مقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا هو الذي خلق الإنسان وعلمه البيان عبر اللسان بالنطق الذي يستفهم ويتفاهم ويتعلم به الناس، وأمر الجاهلين من الناس بسؤال العالميين منهم. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الموحى إليه أحسن الكلام وخير الهدى الذي من تعاليمه "إنما شفاء العي السؤال"،^١ أتم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد!

فإن الأسئلة والاستجابات تحلان مكانة مهمة في صميم البحث عن الفهم والمنطق والمعرفة،^٢ والتي يمكن القول بأنها جميعها من بين المتطلبات الأساسية لحياة هادفة لدورها في فتح خطوط الاتصال، والحصول على المعلومات، وتحسين التفاعلات، وتسهيل التحليل وتشخيص المواقف، والسماح للناس باقتراح أفكارهم، والمساعدة في فهم أولويات الآخرين، وتخفيف الدافع للتعلم والإبداع، وتشكيل أساس التفسيرات.^٣ وهكذا فإن خالق الإنسان قد أمر من لا علم له بسؤال من هو أعلم منه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ١٦: ٤٣] وأيضا في [الأنبياء ٢١: ٨] وإن كان الأمر موجهاً إلى المشركين الرافضين الدعوة إلى التوحيد محتجين ببشرية الرسول ﷺ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.^٤ ولقد ورد

^١ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية)، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، ١: ٩٣ (٣٣٦).

^٢ Lani Watson, "Why Ask: The Epistemology of Questioning," Doctoral Dissertation, The University of Edinburgh, 2015: 8.

^٣ Rodolfo A. Neirotti, "The importance of asking questions and doing things for a reason," *Brazilian Journal of Cardiovascular Surgery*, 36, 2021: I-II. doi: 10.21470/1678-9741-2021-0950

^٤ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٢)، ٥: ١٢٣.

في الأحاديث عدة مواقف حيث تعامل النبي مع ممارسي السؤال ولم يعيهم ولم ينكر عليهم، ومن أمثال ذلك ما قاله الرجل الذي زنى ابنه الأجير بامرأة مستأجره للنبي ﷺ مستفتياً: «ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم»^٥ فلم يعاتبه النبي ﷺ على سؤاله من هو أعلم منه. وفي بعض الأحيان، يرشد إلى ممارسة السؤال كما هو ملحوظ في قوله ﷺ «ألا سألوا إذا لم يعلموا، إنما شفاء العي السؤال»^٦ في شأن الذين أفتوا الرجل المحتلم، الذي كانت في رأسه شجة، بوجوب غسل الجنابة، فاغتسل ثم مات.

يتتبع الباحثون تاريخ ممارسات السؤال والاستجواب إلى الفترة الكلاسيكية عندما استخدم الفيلسوف اليوناني سقراط (ت ٣٩٩ قبل الميلاد) منهج الأسئلة والأجوبة لتحدي الافتراضات، وكشف التناقضات، والوصول بهما إلى المعرفة والحكمة الجديدة.^٧ وتعرف هذه الممارسة بالاستجواب السقراطي^٨ أو المنهج السقراطي^٩، وهي عبارة عن أسئلة منضبطة يمكن استخدامها للسعي وراء الفكر في اتجاهات عديدة ولأغراض متنوعة مثل استكشاف الأفكار المعقدة، والوصول إلى حقيقة الأشياء، وفتح القضايا والمشاكل، وكشف الافتراضات، وتحليل المفاهيم، وتمييز ما هو معروف مما هو غير معروف، واتباع المضامين المنطقية للفكر.^{١٠} وعلى ذلك، فمصطلح "الاستجواب" (استجوب، يستجوب، استجواباً) في الدراسات الفلسفية للأسئلة يعني طلب الجواب عامة ولا يقتصر على المعنى القانوني فقط كاستجواب المتهم.^{١١} وعلى هذا المعنى قال الشيخ الخولي عن أسئلة الرسول ﷺ لمعاذ ﷺ في حديث حق الله على

^٥ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (اليمامة وبيروت: دار طوق، ٢٠٠١)، كتاب الأيمان والنذر، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ٨: ١٢٩ (٦٦٣٣).

^٦ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية)، كتاب الطهارة، باب في المجرع يتييم، ٩٣: ١ (٣٣٦).

^٧ Mary A. Corley and Christine W. Rauscher, "Deeper Learning through Questioning," *TEAL Center Fact Sheet*, no. 12 (2013): 1-5.

^٨ Richard Paul and Linda Elder, "Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning," *Journal of Developmental Education* 31, no. 1 (2007): 36-37.

^٩ Matt Hlinak, "The Socratic Method 2.0," *Journal of Legal Studied Education* 31, no. 1 (2014): 1-20.

^{١٠} Paul and Elder, "Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning", 36-37.

^{١١} أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ١: ٤١٥.

العباد^{١٢}: "ولم يستفهم الرسول ﷺ منه استجواباً له، ولكن زيادة في تنبيهه إلى ما يلقي عليه، وتشويقاً إليه،"^{١٣} أي، لم يسأله طالباً للجواب. وعليه، أستخدم المصطلح بهذا المعنى طوال هذه الدراسة.

ويعتقد سقراط أنه قد يكون لدى المرء مفاهيم صحيحة غير معروفة، والتي يمكنه الحصول عليها عندما تُطرح عليه الأسئلة مراراً وفي أشكال مختلفة.^{١٤} ومن هنا تتضح العلاقة بين الأسئلة والأبستمولوجيا. فالأبستمولوجيا فرع مهم من فروع الفلسفة، وهي الدراسة الفلسفية لطبيعة المعرفة البشرية وأصلها وحدودها.^{١٥} ويُشار إليها أيضاً باسم نظرية المعرفة، وهي لا تعني نفس الشيء بالضبط لكل فيلسوف. فعلى رأي أفلاطون (ت ٣٤٧/٣٤٨ قبل الميلاد) مثلاً هي محاولة لفهم ما يجب معرفته وكيف تكون المعرفة مفيدة للعالم (بخلاف من يرى أنها مجرد رأي صحيح)، وعند لوك "Locke" (١٦٣٢-١٧٠٤م) هي محاولة لفهم عمليات (أو إجراءات) الفهم البشري، وكانت نظرية المعرفة لكانط "Kant" (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) محاولة لفهم شروط إمكانية الفهم البشري، ووفق رأي راسل "Russel" (١٨٧٢-١٩٧٠م) هي محاولة لفهم كيف يمكن تبرير العلم الحديث من خلال الاحتكام إلى التجربة الحسية.^{١٦، ١٧} ونلاحظ من هذه العينة من الآراء حول نظرية المعرفة أن العبارة الشائعة من بينها هي "محاولة لفهم..."، مما يلمح إلى فضول (أي، حب الاستطلاع) وبالتالي يشير إلى عملية يكون فيها التساؤل أداة مهمة لنجاحها.

وفي الحقيقة، كان التساؤل بالنسبة لسقراط ممارسة معرفية، بمعنى أنه كان موجهاً نحو اكتساب السلع المعرفية مثل الحقيقة والمعرفة والفهم.^{١٨} ولقد اختلف في أهدافه عن السفسطائيين "Sophists" — مثل بروتاغوراس "Protagoras" (٤٩٠-٤٢٠ قبل الميلاد) وجورجياس "Gorgias" (٤٨٣-٣٧٥ قبل الميلاد) — الذين استخدموا الأسئلة كجزء من ممارستهم للخطابة

^{١٢} البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، ٤: ٢٩ (٢٨٥٦).

^{١٣} ، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الحوّلي، الأدب النبوي، ط ٤ (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٢)، ١٨٤.

^{١٤} Plato, *Meno*. Trans Benjamin Jowett. (Liberal Arts Press, 1949), 80.

^{١٥} Matthias Steup and Neta Ram, "Epistemology," *The Stanford Encyclopedia of Philosophy*, 2020 (Fall Edition), Edward N. Zalta (ed.).

^{١٦} Ibid

^{١٧} Ayrum Stroll and A.P. Martinich, "Epistemology," *Encyclopedia Britannica*, December 17, 2024.

^{١٨} Lani, "Why Ask," 8.

لغرض الجدل والإقناع. ومع ذلك، قام أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ قبل الميلاد) بدمج الطريقتين في نظام فلسفي موحد، مما أثر على فلسفة روما القديمة كما لوحظ في أعمال شيشرون "Cicero" (١٠٦-٤٣ قبل الميلاد) القائل: "الخطابة كانت مفيدة للبشرية، ولكن يجب أن تصاحب البلاغة الحكمة".^{١٩} وهكذا، فإن التساؤل كما يمارس في الجدل الروماني لم يمنع من البحث عن السلع المعرفية، وبشكل عام، استمرت ممارسة التساؤل الفلسفي مع الأهداف السقراطية والأرسطية. ولكن منذ القرن الأول الميلادي وحتى أوائل "الفترة الحديثة" (أي بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر بعد الميلاد)، تأثرت ممارسة الاستجواب سلبيًا بالإيمان المسيحي لـ "سقوط الإنسان" وفقًا لفهم رواية الكتاب المقدس عن الخلق، والتي رأت رغبة حواء في الحكمة كالسبب، وربطت هذه الرغبة بـ "الخطيئة الأصلية"، وبالتالي اعتبرت طلب المعرفة أمرًا خطيرًا على البشرية.^{٢٠} ويمكن ملاحظة تأثير هذه الفترة على سمعة التساؤل من تصريح القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠ م): "فضاعة الكبرياء، ولذة الشهوة، وسم الفضول هي حركات الروح الميتة".^{٢١} وفي الحقيقة، حتى القرن الرابع عشر، كان للكنسيين احتكار فعلي للفلسفة، وبناءً عليه، كانت الفلسفة مكتوبة من وجهة نظر الكنيسة.^{٢٢} وتلت فترة النهضة هذه الفترة حيث امتد فيها أفق الاستجواب إلى ما وراء الأسئلة اللاهوتية على الرغم من مقاومة الكنيسة، على سبيل المثال، قام ليوناردو دافنشي (١٤٥٢-١٥١٩ م) بتجميع مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالمياه وأشكال التلات التي غطها المياه أو كشفت عنها. وقدم ملاحظات واسعة النطاق على العالم الطبيعي بما في ذلك ملاحظات عن الحفريات وحركات الجبال والملاحظات الفلكية والشمس والقمر.^{٢٣} ولا يزال للكنيسة تأثير وسيطرة في هذه الفترة كما يتضح من إدانة جاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢ م) في عام ١٦٣٣ م بسبب آرائه حول مركزية الشمس "heliocentrism"، والتي تعتبر الشمس كوسط الكون، على عكس وجهة نظر أرسطي حول مركزية الأرض "geocentrism" المفضلة عند الكنيسة، والتي تعتبر الأرض كوسط الكون.^{٢٤} ومع ذلك، تطورت

¹⁹ Lani, 28.

²⁰ Lani, 29.

²¹ Augustine, *Confessions*, Trans. Albert Outler, (Westminster Press, 1955).

²² Russell, Bertrand. 1946. *History of Western Philosophy* (Routledge, 1949), 304.

²³ Lani, "Why Ask," 35.

²⁴ David C. Lindberg, "Galileo, the church, and the cosmos," *When science & christianity meet.*, 2003, 33-60.

الالتزامات المعرفية في الفترة الحديثة المبكرة بطريقة قللت بشكل كبير من قوة الكنيسة وسيطرتها على اتجاه التحقيق والاستفسار، وبالتالي وسع دور التساؤل في الخطاب الفلسفي،^{٢٥} وتلك كانت فترة شخصيات مثل فرانسيس بيكون "Francis Bacon" (١٥٦١-١٦٢٦م) - الملقب بـ "أبو التجريبية"، ورينيه دكارت "René Descartes" (١٥٩٦-١٦٥٠م) - أبو الفلسفة الحديثة.

ولقد جادل فرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) لصالح السعي في البحث عن المعرفة، والعقل، والمنهج العلمي من خلال إعادة النظر للعديد من الرسائل الكتابية الرئيسية التي استند إليها تشويه سمعة مثل هذه الممارسات، وميز بين "المعرفة النقية" الجديرة بالثناء و"المعرفة الفخورة" الذميمة، والتي وصفها بمحاولات لمعرفة "أسرار الله" أو تجاوزه.^{٢٦} وقد تبني الفلاسفة والمفكرون التجريبيون آراءه حول البحث عن المعرفة والتعلم والمنهج العلمي الجديد مع تركيزه الشديد على البحث التجريبي والأدلة^{٢٧}: يرى توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م)، على سبيل المثال، أن البحث عن المعرفة هو نشاط بشري ذو قيمة مميزة، بحجة أنه إلى جانب العقل، ما يفصل بين البشر وبين الوحوش هو حب المعرفة.^{٢٨} ويعتقد جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) أن الفضول (أي، حب الاستطلاع) لدى الأطفال هو الأداة الرائعة التي قدمتها الطبيعة لإزالة الجهل الذي ولدوا به ويجب الاعتزاز به بعناية لأن تنمية الفضول لدى الأطفال هي عنصر قيم للتعليم الناجح.^{٢٩} وأسئلة إسحاق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م) حول سقوط تفاحة قادته في النهاية إلى اكتشاف الجاذبية العامة،^{٣٠} وكان ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) يرى أن الفضول مزروع في الطبيعة البشرية وهو مرادف حب الإنسان لحقيقة.^{٣١}

وعرّف ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) الحكمة على أنها المعرفة الكاملة لكل ما يمكن للإنسان أن يعرفه، والتي لا تتكون فقط من سلوك حياته، بل اكتشاف جميع الفنون أيضاً.

²⁵ Lani, 28-34.

²⁶ Francis Bacon, *The Physical and Metaphysical Works of Lord Bacon: Including the Advancement of Learning, and Novum Organum* (G. Bell and Sons, 1911), 30.

²⁷ Lani, 50.

²⁸ Thomas Hobbes, *Leviathan*. (JM Dent, 1914), 43.

²⁹ John Locke, *Some thoughts concerning education* (Scolar Press, 1970), Sections 108/118.

³⁰ Richard G. Keesing, "The history of Newton's apple tree," *Contemporary Physics* 39, no. 5 (1998): 377-391.

³¹ David Hume, *Treatise of Human Nature Book II: The Passions. Part 1* (2010), 11-12.

والمعرفة المطلوبة لدعم هذه الغايات يجب استنتاجها من الحقائق الواضحة والناصفة بحيث يستحيل للعقل البشري اللاحظ الشك فيها، وهي أيضا معروفة بصرف النظر عن الحقائق المستنتجة منها، بينما يستحيل معرفة الحقائق المستنتجة بمعزل عنها. وبالتالي، يجب أن تُبنى المعرفة من أسس لا شك فيها، والتي سماها الأسباب الأولى،^{٣٢} وللتساؤلات دور كبير في منهج دكارت.

ومنذ فجر القرن التاسع عشر وما بعده، انتشر سلطة المعرفة عبر شبكة متنوعة من المثقفين من مختلف التخصصات، وأصبح التساؤل مرة أخرى في صميم المسعى الفلسفي، ووظف علناً في السعي وراء الحقيقة والمعرفة والفهم، وأصبح هذا الاستخدام المعرفي للسؤال مكوناً أساسياً للمنهج العلمي.^{٣٣} وتعتبر دراسة الأسئلة موضوعاً مثيراً للاهتمام في مختلف مجالات النشاط الإنساني - في التعليم مثلاً، تتم دراسة استجواب المعلم كطريقة فعالة للتدريس، بينما تتم دراسة استجواب الطلاب كوسيلة لتقييم تفكيرهم. وفي قاعة المحكمة، يُعد الاستجواب وسيلة للتحقق من الحقائق المتعلقة بقضية ما لغرض إصدار الحكم، وفي مجال الرعاية الصحية يُعتمد على استجواب لإختيار النوع المناسب من الرعاية للمرضى،^{٣٤، ٣٥} وحتى في الحياة الاجتماعية، تربط دراسة نفسية بين إعجاب الشخص وبين مشاركته في الحوارات من خلال الاستجواب.^{٣٦} وفي عام ١٩٥٦م قام بلوم وآخرون بتصنيف أسئلة المعلمين إلى ست فئات مُرتبة في هرم، من المستوى الأدنى إلى الأعلى. قد تكون الأسئلة إما موجهة إلى المعرفة، أو الفهم، أو التطبيق، أو التحليل، أو التركيب، أو التقييم. وبينما تتطلب أسئلة فئة الأدنى من الطلاب أن يتذكروا أو يتعرفوا على المعلومات والأفكار والمبادئ كما درسوها تقريباً، تتطلب منهم أسئلة فئة الأعلى التقييم أو النقد بناءً على معايير محددة.^{٣٧}

³² Descartes, René. Letter of the Author to the French Translator of the Principles of Philosophy serving for a preface. [Descartes, Rene - Principles of Philosophy \(classicalibrary.org\)](https://www.classicallibrary.org/Descartes%2C+Ren%C3%A9/Principles+of+Philosophy) (Retrieved 8 February 2022).

³³ Lani, "Why Ask," 40-41.

³⁴ Dillon J. T., *The Practice of Questioning*, (Routledge, 1990).

³⁵ Christine Chin, "Learning in science: What do students' questions tell us about their thinking?" *Education Journal* 29, no. 2 (2001): 85-103.

³⁶ Karen Huang, Michael Yeomans, Alison W. Brooks, Julia Minson, and Francesca Gino, "It doesn't hurt to ask: Question-asking increases liking," *Journal of personality and social psychology* 113, no. 3 (2017): 430-452.

³⁷ Benjamin Bloom, Englehart, M., Furst, E., Hill, W., and Krathwohl, D., *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals. Handbook I: Cognitive Domain*, (Longmans, Green, 1956), 35.

ومنذ القرن العشرين الميلادي، ركزت دراسات في فلسفة اللغة على معنى السؤال، وتصرف الاهتمام عن الأسئلة المعرفية والميتافيزيقية تلقاء أسئلة حول اللغة باعتبار السؤال كخاصية لإجاباته،^{٣٨، ٣٩} وفهم السؤال من حيث السياق الذي يطرح فيه،^{٤٠} وكذلك النظر في نية السائل.^{٤١} ومع ذلك، فقد دعا الباحثون في مجال نظرية المعرفة إلى الاعتراف بأهمية العلاقة بين المعرفة وبين الأسئلة؛ لأنها تثير عددًا كبيرًا من القضايا في فلسفة المنطق وفلسفة اللغة.^{٤٢} ويدعو بعضهم إلى التركيز على السائل بدلاً من تحليل الأسئلة، مع الملاحظة أن التساؤل كمهارة فكرية يلعب دورًا بارزًا أو مركزيًا في العمليات التي نصل من خلالها إلى تكوين المعتقدات واكتساب المعرفة.^{٤٣} والبعض يدعو إلى النظر في الاستجواب في السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه، بحجة أن الاستجواب هو في جوهره ممارسة اجتماعية، بالنظر إلى أنه سمة عالمية للتواصل البشري ونموذج أولي للبحث عن الحقيقة.^{٤٤}

من خلال النظر إلى العالم الإسلامي الذي نشأ في القرن السابع الميلادي، وهي فترة التي كان السعي ورأس السلع المعرفية يواجه فيها الصعوبة في العالم المسيحي، نلاحظ التقدم العلمي في العالم الإسلامي بوصفه ظاهرة حضارية ومعرفية فريدة، تشكلت عبر تفاعل عوامل دينية وفكرية وسياسية منذ القرون الأولى للهجرة. فقد أتاح الإسلام، من خلال نظريته المنفتحة للعلم، مساحة رحبة لطلب المعرفة دون حصرها في المجال الديني فقط، مستنداً إلى توجيهات النبي ﷺ في قوله «أنتم أعلم بأمر دنياكم».^{٤٥} هذا التوجه أرسى قاعدة متميزة، إذ سمح

³⁸ Jonathan Ginzburg, "Interrogatives: Questions, facts and dialogue. *The handbook of contemporary semantic theory*. Blackwell, Oxford, (1996): 359-423.

³⁹ Cross, Charles and Floris Roelofsen. "Questions", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* ed. Edward N. Zalta (ed.), (Fall 2020 Edition).

⁴⁰ Maria Aloni, "A formal treatment of the pragmatics of questions and attitudes," *Linguistics and Philosophy* 28, no. 5 (2005): 505-539.

⁴¹ Paul H. Grice, "Utterer's meaning and intentions," *The philosophical review* 78, no. 2 (1969): 147-177.

⁴² Lihoreau, Franck (ed.), *Knowledge and questions*, (Vol. 77) (Rodopi, 2008), vii-xxiv.

⁴³ Lani, "Why Ask," 78

⁴⁴ Aivin Goldman, *Knowledge in a Social World*. (Oxford University Press, 1999), 3.

^{٤٥} ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى**

رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥)، كتاب

الفضائل، باب وجوب اثبتال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، ٤: ١٨٣٦.

(٢٣٦٣).

للمسلمين بالانفتاح على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية، على خلاف ما كان سائداً في أوروبا آنذاك حيث كَبَلَت الكنيسة المسيحية البحث خارج نطاقها الديني. ومن هنا، وجد المسلمون الأوائل دافعاً دينياً وأخلاقياً للانخراط في طلب العلم، مما أسس لنهضة فكرية وعلمية شاملة.

شهدت القرون الأولى للهجرة بروز شخصيات رائدة ساهمت في هذا الحراك، مثل خالد بن يزيد بن معاوية الذي شجع حركة الترجمة عن اليونانية والقبطية،^{٤٦،٤٧} وجعفر الصادق الذي جمع بين الفقه والفلسفة والكيمياء والفلك، وأبو حنيفة الذي اتسمت طريقته التعليمية بالحوار والمناظرة على غرار المنهج السقراطي.^{٤٨} وقد مهّدت هذه الجهود الفكرية والفلسفية المبكرة لتبلور علم الكلام والفلسفة الإسلامية، مما هيأ لاحقاً لظهور الكندي باعتباره مؤسس الفلسفة في الإسلام.^{٤٩}

كان للبيئة السياسية دور بارز في دعم العلم وتطويره؛ فقد أسس الخليفة المنصور مدارس علمية وأدبية في بغداد،^{٥٠} بينما أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة وجعل من بغداد مركزاً للحضارة والترجمة، ودعم العلماء بسخاء.^{٥١} أما عهد المأمون فقد تميز بانفتاح معرفي واسع وتشجيع حرية الرأي، مما ساعد على إبداع فكري غير مسبوق، رغم بعض القيود التي فرضت لاحقاً بسبب الخلافات الكلامية حول قضايا عقديّة، مثل مسألة خلق القرآن. ومع ذلك، فإن هذه القيود لم توقف حركة البحث في المجالات العلمية الطبيعية والرياضية والطبية.^{٥٢}

⁴⁶ Marion Dapsens, "De la Risalat Maryanus au De compositione alchemiae. Quelques réflexions sur la tradition d'un traité d'alchimie," *Studia graeco-arabica*, no. 6 (2016): 121.

⁴⁷ Pierre Lory, *Alchimie et mystique en terre d'Islam*, (Verdier, 1989), 16-23. ISBN 9782864320913.

⁴⁸ أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، *تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية*، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ٣٣٧.

⁴⁹ مصطفى عبد الرزاق، *تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية*، (القاهرة-بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١)، ٣٦٤.

⁵⁰ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، *تأويل مختلف الحديث*، ط ٢ (بيروت: المكتب الاسلامي، ١٩٩٩)، ٣٤.

⁵¹ المرجع نفسه.

⁵² ابن قتيبة، *تأويل مختلف الحديث*، ٣٥.

أسفر هذا المناخ المعرفي عن إنجازات علمية كبرى حمل لواءها أعلام بارزون. فقد رسخ جابر بن حيان أسس الكيمياء التجريبية،^{٥٣} بينما أرسى الخوارزمي قواعد الجبر^{٥٤} وقدم حلولاً منهجية للمعادلات الرياضية.^{٥٥} وأبدع البتاني في علم الفلك ولاحظ التغيرات في المسافة بين الأرض والشمس،^{٥٦} كما قاس البيروني نصف قطر الأرض بدقة ملحوظة.^{٥٧} وفي مجال الطب والصيدلة، قدم الرازي وابن سينا وابن النفيس إسهامات خالدة، من توصيف الأمراض^{٥٨،٥٩} ووضع المناهج الطبية،^{٦٠} إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى.^{٦١} أما الزهراوي وابن البيطار فقد برزا في الجراحة والصيدلة، وأرسيا تقاليد علمية استمر أثرها لقرون طويلة.

وعلى الرغم من التقدم الكبير، لم يخلُ المشهد من سجلات فكرية حادة. فقد تصدى الغزالي في كتابه *تهافت الفلاسفة* لبعض الأفكار الميتافيزيقية للفلاسفة المسلمين المتأثرين باليونان، معتبراً أن بعضها يتعارض مع العقيدة الإسلامية، ولا سيما مسألة قدم العالم وإنكار البعث.^{٦٢} ومع ذلك، فإن اعتراضات العلماء كانت موجهة إلى نتائج بعينها لا إلى الفلسفة كمنهج،^{٦٣} الأمر الذي يعكس مرونة بيئة التفكير الإسلامي وقدرتها على الاستيعاب والنقد في آن واحد.

^{٥٣} جمعة، محمد لطفي، ٢٤.

^{٥٤} الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (بغداد: مكتبة المنى، ١٩٤١)، ١: ٥٧٨.

^{٥٥} Philip Maher, "From Al-Jabr to Algebra," *Mathematics in School* 27, no. 4 (1998): 14-15.

^{٥٦} ينظر: إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس، *موجز دائرة المعارف الإسلامية*، المراجعة

والإشراف العلمي: حسن حبشي، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، ومحمد عناني، (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع

الفكري، ١٩٩٨)، ٥: ١٥٤٣.

^{٥٧} David Pingree "Bīrūnī Abū Rayhān iv. Geography," *Encyclopedia Iranica* IV, no. 3 (2000): 279-281.

^{٥٨} Keshif S. Ahmed, "Arabic Medicine: Contributions and Influence," *Proceedings of the 17th Annual History of Medicine Days*, (2008): 7-8.

^{٥٩} Ehsan Masood, *Science and Islam: A History*. (Icon Books, 2009), 74, 148-150. ISBN 978-1-785-78202-2.

^{٦٠} Masood, *Science and Islam*, 104-105.

^{٦١} Masood, *Science and Islam*, 131-139.

^{٦٢} أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، *تهافت الفلاسفة*، ط٥، تحقيق سليمان دنيا (القاهرة: دار المعارف،

٢٠٠٨)، ٣٧١.

^{٦٣} Oliver Leaman, *A Brief Introduction to Islamic Philosophy* (Vol. 134). (Cambridge Polity Press, 1999), 21.

وفي المحصلة، يمكن القول إن النهضة العلمية الإسلامية قامت على أساس حرية فكرية نسبية، ورعاية سياسية سخية، وتراكم معرفي متواصل. وقد أسهم هذا كله في تحقيق إنجازات علمية تجاوزت حدود العالم الإسلامي، وانتقلت إلى أوروبا لتشكّل إحدى الركائز التي قامت عليها النهضة الحديثة. ومن هنا يتضح أن الحضارة الإسلامية لم تكن مجرد ناقل للمعرفة القديمة، بل كانت بيئة مولّدة للإبداع العلمي والفكري، بفضل توازنها بين الدين والعقل، وبين النص والاجتهاد، وبين الأصالة والانفتاح.

ومن الملاحظ في القرآن أن طرح الأسئلة سبق خلق الإنسان. - عندما أخبر الله الملائكة أنه سيتم خلق الإنسان وجعله في الأرض، طرحوا سؤالاً: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة ٢: ٣٠]، وعندما تم خلق آدم وأمر الله بالسجود له، عصى إبليس بطرح سؤال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء ١٧: ٦١]، وفي مكان آخر، عندما عصى إبليس، سأله الله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص ٣٨: ٧٥]. والملاحظ أن أسئلة الله العليم الخبير، وأسئلة الملائكة، وأسئلة إبليس كلها اختلفت عن بعضها البعض من حيث الأهداف والدوافع. وبالتالي، فإن للأسئلة أنواعاً مختلفة.

وسيتناول هذا البحث موضوع الأسئلة في الكتب الستة الحديثة، ومن المهم أن نلاحظ أنه لن يكون مجرد تمرين في استخراج الأحاديث ذات علامات استفهام أو العبارات التي يفهم عادة على أنها أسئلة. فعلى سبيل المثال، روى الإمام البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أُعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرِيدِينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْبَلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً».^{٦٤} ونلاحظ أن قول المرأة ليس سؤالاً بالطريقة الطبيعية، لكن النبي ﷺ فهمه كسؤال فأجاب عليه. في هذه الحالة، وجود كلام كرد على ما قيل في البداية يساعد القارئ الملاحظ على اعتبار الكلام الأول سؤالاً.

^{٦٤} البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٨: ١١ (٦٠١٨).

ويمكن استخدام أدوات أخرى كافتراض نغمة معقولة، واعتماد على تعدد الروايات في تحديد سؤالٍ في حديثٍ إن وجد.⁶⁵

بالنسبة لبقية هذا الفصل، سأقدم بيان المشكلة وأهمية هذا البحث بالإضافة إلى هدفه وحدوده ومنهجيته. ولقد تم تنظيم البحث بأكمله في خمسة فصول - هذا الفصل، الذي يحدد خطة الدراسة وهيكلها، ويليه الفصل الثاني الذي يتناول مفهوم السؤال والموقف الإسلامي منه. ويبحث الفصل الثالث في العلاقة بين الأسئلة الواردة في الأحاديث من جهة والتفكير النقدي والاستقلال الفكري والإبداع من جهة أخرى. والفصل الرابع مركز على التساؤل الجيد وقيّمته، والخاتمة في الفصل الخامس، حيث سيتم تقديم بيان نتائج البحث والتوصيات.

مشكلة البحث

نظراً لأهمية الأسئلة والاستجابات، فقد طرحت الدراسات المعرفية مشكلات مثيرة للاهتمام لمزيد من البحث في مجالات المساعي البشرية لتحسين فهم وفائدة الأسئلة والاستجابات. مثلاً، اقترح واطسون (٢٠١٥م) عدة أسئلة في مجالات التعليم والحياة الاجتماعية والسياسية والمجالات اللغوية الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، ومنها: النظر في دور طرح الأسئلة في التفكير النقدي والاستقلالية الفكرية والإبداع، وكيف يمكن أن يساعد ذلك في تحقيق أو تحديد أهداف التعليم، والنظر فيما يحدد محتوى الأسئلة السياسية والاجتماعية بشكل عام، وتأثير العوامل الاجتماعية أو الاقتصادية على دافع الفرد للانخراط في الاستجواب، وتأثير الجنس والطبقة الاجتماعية والدخل، والأصل العرقي أو الدين على الدافع أو القدرة على الانخراط في الاستجواب، والنظر في تأثير "عصر المعلومات" وظهور الإنترنت في السعي للحصول على المعلومات والقدرة على الحصول عليها.⁶⁶

ثمّة بعض المشكلات التطبيقية تجعل هذه الدراسة ذات أهمية، مثلاً، تربط الدراسة بين طرح الأسئلة والتفكير النقدي والاستقلالية الفكرية والإبداع، وفي مخطط وضعته وزارة التعليم الماليزية، والذي يهدف إلى تجهيز ماليزيا لتصبح دولة ذات دخل مرتفع، ذُكر أن أرباب العمل

⁶⁵ Khairil Husaini Bin Jamil, "Islamic Scriptures and Voice Intonation: A Preliminary Survey in Arabic Linguistic Thought and *Hadith* Interpretive Discourse," *KEMANUSIAAN: The Asian Journal of Humanities* 26, 2019: 1-21.

⁶⁶ Lani, "Why Ask," 214-216.

يفيدون بأن الخريجين يفتقرون إلى مهارات التفكير النقدي،^{٦٧} كما ترتبط بعض محتويات الدراسة مباشرة ببعض أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ م.

ومن بين الدراسات المتعلقة مباشرة بالأسئلة الواردة في الحديث، يوصى بدراسة عامة لأسئلة الصحابة للنبي ﷺ كوسيلة لفهم ثقافة الصحابة وارتباطهم بالنبي ﷺ،^{٦٨} كما يوصى باهتمام بأساليب النبي ﷺ التربوية من خلال سؤالاته وتطبيقها في العملية التعليمية.^{٦٩}

وعلى الرغم من أن الأسئلة النبوية تمثل ركيزة أساسية في نقل المعارف الشرعية وتوضيح الأحكام وصياغة التشريع، فإن الدراسات السابقة لم تُولَ اهتمامًا كافيًا بتحليلها من زاوية علاقتها بالتفكير النقدي والاستقلال الفكري والإبداع. فقد تناولت بعض الأبحاث جانبًا من أسئلة الصحابة أو أسلوب النبي ﷺ في التعليم أو وظائف الاستفهام من منظور لغوي أو تربوي، إلا أن هناك فجوة معرفية تتمثل في غياب دراسة تحليلية شاملة تستكشف الدور المعرفي للتساؤل النبوي في بناء ملكات التفكير العليا.

من هنا تبرز إشكالية البحث في التساؤل: إلى أي مدى يُجسّد الأسئلة الواردة في الأحاديث النبوية ممارساتٍ للتساؤل الجيد القادر على تنمية التفكير النقدي، وتعزيز الاستقلال الفكري، وتحفيز الإبداع؟
وبالنظر إلى هذه الإشكالية واعتبار الساحة الإسلامية والمسلمين، تنبع أسئلة فرعية كأسئلة البحث على النحو الآتي:

أسئلة البحث

لقد تمت صياغة أسئلة البحث التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها على شكل يجعل أجوبتها معاً حلاً لمشكلة البحث:

⁶⁷ Ministry of Education Malaysia. Malaysia Education Blueprint 2015-2025 (Higher Education) MEB(HE), 2013. <https://www.moe.gov.my/menumedia/media-cetak/penerbitan/pppm-2015-2025-pt/1384-4-executive-summary-pppm-2015-2025/file>. (Retrieved 27 February 2021).

⁶⁸ نسرین جمال مفلح عواد، أسئلة الصحابييات للنبي ﷺ وإجابته عليها - نصوص مستقرّة، ودلالات مستنبطة، (رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ٢٠٠١)، ١٩٢.

⁶⁹ خالد محمد دخان، الدلالات التربوية لأسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية، (رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٠).

١. ما هو الموقف الإسلامي من السؤال؟
 ٢. ما الأغراض المعرفية والتربوية التي تحققها الأسئلة النبوية؟
 ٣. كيف يسهم التساؤل النبوي في بناء التفكير النقدي والإبداعي والاستقلال الفكري؟
 ٤. ما العلاقة بين التساؤل في الأحاديث النبوية ونظريات التفكير والتعلم الحديثة؟
 ٥. كيف يمكن توظيف نتائج هذا البحث في تطوير التعليم والتفكير في السياق التربوي المعاصر؟
- ويأمل الباحث في الإجابة على هذه الأسئلة بشكل يؤدي إلى تحصيل أو إنجاز الأهداف المذكورة أدناه.

أهداف البحث

- تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي وفقاً للأسئلة المطروحة أعلاه:
١. تحليل الآراء العلمية حول التساؤلات وتقديم وجهة نظر متوازنة.
 ٢. براز البعد المعرفي والتربوي للسؤال في السنة النبوية.
 ٣. بيان الصلة بين التساؤل والتفكير النقدي والإبداعي في ضوء الحديث النبوي.
 ٤. تقديم رؤية معاصرة لكيفية توظيف منهج التساؤل النبوي في التعليم والتفكير الإسلامي الحديث.
 ٥. سد الفجوة البحثية في الدراسات التي تناولت الأسئلة الحديثية من منظور تربوي وتحليلي.

أهمية البحث

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية ممارسة الاستجواب للبشر، والتي يمكن ملاحظتها من صعوبة تصوّر يوم في حياة شخص ما دون سؤال ما. وبشكل أكثر تحديداً، يمكن تلخيص أهمية البحث على النحو الآتي:

١. يقترح ترلينغ وفاضل "Trilling and Fadel" (٢٠٠٩م) التفكير النقدي ومهارات حل المشكلات، والإبداع والابتكار، والتواصل والتعاون بين المهارات الأكثر طلباً

في القرن الحادي والعشرين.^{٧٠} وبالتالي، نلاحظ دور التساؤلات والاستجابات في الحياة المعاصرة من خلال العلاقة بينها وبين التفكير النقدي والاستقلالية الفكرية والإبداع، ومن ثمّ، نلاحظ أهمية هذه الدراسة في الحياة المعاصرة.

٢. ومن خلال الفهم الصحيح للأسئلة والأجوبة بين رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يمكن تكوين رأي حسن في جدل تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية لأنها تساعد في فهم رأي أصحاب الرسول ﷺ فيما هي تشريعية أو غيرها، ويمكن فهم ثقافة الصحابة رضي الله عنهم ومدى ارتباطهم بالنبي ﷺ من خلال سؤالاتهم وفق توصية فضيلة الأخت نسرین جمال مفلح عواودة.^{٧١} ويمكن أن يستخدم مترجمو الحديث النبوي من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية معلومات زائدة لإظهار حقيقة وظائف الاستفهامات من خلال السياقات الاجتماعية اللغوية الثقافية الدينية كما أوصى بذلك كامل السعدي.^{٧٢}

٣. وتكمن الأهمية الأساسية لهذا البحث في فوائد فهم الأسئلة والأجوبة في المصدر المعتمد للإرشاد - السنة النبوية - التي يتم من خلالها الوصول إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وعلاقة المرء بخالقه، وبدينه وإيمانه، وبنفسه، وببقية المخلوقات. وإن إدارة هذه المنافع وفق هدي الله ورسوله تُترجم إلى عبادة الله، وهي غاية خلق الجن والإنس. وهذه هي الفوائد للأفراد والمجتمعات، ومما لا يمكن فواته من أهمية البحث أنه تم توضيح بعض الأحكام الشرعية أو إصدارها من خلال أجوبة أسئلة مطروحة على النبي ﷺ.

٤. الجوع والفقر والسلام والعدل: يرى الباحث علاقة بين القضاء على الجوع وحديث الجوع والسلام حيث سئل النبي ﷺ "أي الإسلام أفضل؟" فأجاب

⁷⁰ Bernie Trilling and Charles Fadel, (2009). *21st Century Skills, Enhanced Edition: Learning for Life in Our Times*. (John Wiley & Sons, 2009), 49.

^{٧١} عواودة، أسئلة الصحابييات للنبي ﷺ، ١٩٢.

⁷² Kamel El-Sa'adany, (2010). "Functions of Interrogations in Hadith: A Sociolinguistic Study," 2010, Retrieved from https://www.sdu.dk/~media/Files/Om_SDU/Institutter/ISK/Forskningspublikationer/Rask/Rask%2032/kamel%20elsaadany.pdf (29 August 2020)

قائلاً «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»،^{٧٣} كما يرى علاقة بين القضاء على الفقر وبين حديث الصدقة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟" قَالَ: «جُهِدُ الْمُقْلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».^{٧٤} وكذلك أيضاً يرى علاقة بين السلام والعدل وبين حديث الظالم والمظلوم حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ».^{٧٥}

٥. **الأهمية المعرفية:** يكشف البحث عن دور السؤال في الأحاديث النبوية باعتباره أداة لاكتساب المعرفة وفهم النصوص الشرعية، مما يساعد في الوصول إلى التفسير الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
٦. **الأهمية التربوية:** يبرز البحث الأسلوب النبوي في طرح الأسئلة وتوظيفها كوسيلة تربوية وتعليمية، وهو ما يساهم في تطوير العملية التعليمية المعاصرة وإكساب المتعلمين مهارات التفكير الناقد والإبداعي.
٧. **الأهمية الفكرية:** يوضح البحث العلاقة بين السؤال وبين التفكير النقدي والاستقلال الفكري والإبداع، وهي مهارات أساسية في القرن الحادي والعشرين، مما يجعله ذا صلة مباشرة بمتطلبات العصر.
٨. **الأهمية الثقافية:** يساعد البحث في فهم ثقافة الصحابة وارتباطهم بالنبي ﷺ من خلال أسئلتهم، ويكشف كيف ساهم التساؤل في صياغة التشريع الإسلامي وتعزيز الوعي الديني.
٩. **الأهمية التطبيقية:** يقدم البحث توصيات عملية لتوظيف النموذج النبوي في التساؤل في المناهج الدراسية، والبرامج التربوية، والخطاب الفكري والاجتماعي المعاصر.

^{٧٣} البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ١: ١٢ (١٢٨).

^{٧٤} أبو داود، السنن، كتاب الزكات، باب في الرخصة في ذلك، ٢: ١٢٩ (١٦٧٧). صححه الألباني.

^{٧٥} البخاري، الصحيح، كتاب المظلوم والغضب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ٣: ١٢٨ (٢٤٤٤).

حدود البحث

يحتوي هذا البحث على بعض القيود، وأبرزها ما يلي:

١. يقتصر البحث على دراسة الأسئلة الواردة في الأحاديث النبوية كما وردت في الكتب الستة.
٢. لا يتوسع البحث إلى جميع مصادر الحديث الأخرى إلا في الحالات التي تخدم توضيح الفرضية أو تكمل نقصاً في المادة الأساسية.
٣. يركز البحث على العلاقة بين الأسئلة النبوية من جهة، وبين التفكير النقدي والاستقلال الفكري والإبداع من جهة أخرى، دون الدخول في تفاصيل التشريع أو الفقه إلا بالقدر الذي يخدم موضوع الدراسة.
٤. يقتصر الاستعراض التاريخي على تطور مفهوم السؤال في الفلسفة الغربية من العصور الكلاسيكية حتى القرن الحادي والعشرين، وعلى التجربة الإسلامية حتى القرن الثالث عشر الميلادي، دون التوسع في الفترات اللاحقة.
٥. يعالج البحث النصوص النبوية وما دار في البيئة الإسلامية الأولى (الجزيرة العربية) بوصفها السياق الأصلي للتساؤل النبوي، مع الإشارة إلى بعض المقارنات الفلسفية أو التربوية عند الحاجة.
٦. يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع الأحاديث المتعلقة بالأسئلة من الكتب الستة، وعلى المنهج التحليلي في تصنيفها واستخلاص دلالاتها الفكرية والتربوية.
٧. لا يهدف البحث إلى جمع كل الأحاديث المتعلقة بالأسئلة جمعاً موسوعياً، بل إلى تحليل عينة كافية تحقق أهداف الدراسة.

ومن حدود السلبية:

٨. **عدم التوسع الفقهي:** لا يهدف البحث إلى دراسة الأحكام الفقهية المستنبطة من الأحاديث محل الدراسة، إلا بقدر ما يخدم موضوع الأسئلة والتفكير النقدي.

٩. **عدم التناول الموسوعي:** لا يسعى البحث إلى جمع كل الأحاديث التي تضمنت أسئلة، بل يكتفي بعينة منتقاة من الكتب الستة مع مراعاة التكرار والإضافات النوعية.

١٠. **استبعاد التحليل اللغوي للبحث:** لا يركز البحث على التحليل الصرفي أو النحوي أو البلاغي لأدوات الاستفهام في الأحاديث، إلا في المواضع التي ترتبط مباشرة بموضوع الدراسة.

١١. **عدم الانشغال بالتاريخ السياسي:** لا يتناول البحث التطورات السياسية أو الاجتماعية في التاريخ الإسلامي إلا بقدر ما يخدم تفسير طبيعة التساؤلات وأثرها الفكري.

١٢. **عدم الإغراق في المقارنات الفلسفية:** لا يهدف البحث إلى تقديم دراسة مقارنة شاملة بين التساؤل النبوي والفلسفات الغربية، بل يكتفي بالإشارة إليها كإطار مرجعي لتوضيح أهمية السؤال

منهج البحث

في هذه الدراسة يلجأ الباحث إلى تطبيق مجموعة من العمليات الاستقرائية والتحليلية كما هو موضح أدناه:

١. **المنهج الاستقرائي:** تنطوي عملية التفكير الاستقرائي في هذا البحث جمع الأحاديث، وتحديد ما يتعلق بالدراسة. وتشمل خطوات عملية الجمع اختيار كتاب من المصادر التي تعتمد عليها الدراسة واستخراج أحاديث الأسئلة منه، ثم أخذ كتاب ثان واستخراج أحاديث الأسئلة منه كإضافات لما تم استخراجه من الكتاب الأول (أي لن يتم تضمين حديث من الكتاب الثاني إلا إذا لم يكن في الكتاب الأول أو جاء بمعلومات إضافية)، ثم استخراج من كتاب ثالث فقط الأحاديث ذات المعلومات الزائدة أو الأحاديث غير الموجودة في المصدرين الأولين، وهكذا حتى المصدر الأخير.

٢. **المنهج التحليلي:** والمرحلة الأولى من العملية التحليلية تتضمن تحديد ملاءمة الحديث للدراسة، وتتضمن المرحلة الثانية تحديد فئة الحديث من حيث نوع السؤال الذي يحتوي عليه، والمرحلة الثالثة تتضمن استنباطات من الحديث اعتماداً على كتب شرح الحديث. ومن خلال تحليل محتويات الأحاديث، والتحليل الإضافي لتحديد تصنيف الأحاديث المناسبة من حيث أنواع الأسئلة التي تحتوي عليها.

الدراسات السابقة

في الآونة الأخيرة، أصبح الباحثون في مجال دراسات الحديث مهتمين بالأسئلة التي طرحت في نص الحديث، وأول هذه الدراسات التي عَثَرَ عليها الباحث هي بعنوان "أسئلة الصحابييات للنبي ﷺ وإجابته عليها - نصوص مستقراً، ودلالات مستنبطة" للأخت الفاضلة نسرين عواودة،^{٧٦} حيث درست تأثير الأسئلة المطروحة من قبل الصحابييات على التشريع في الإسلام. اقتصرت دراستها على الكتب الستة وخلصت من خلال تحليلها إلى "أن المرأة في ظل الإسلام تستطيع أن تشارك بفاعلية في صياغة العديد من القضايا التي تهمها وتهم المجتمع المسلم عامة، وأن المجتمع المسلم له دور مهم في تهيئة الظروف التي تساعد على القيام بهذا الدور". ومما أوصت به الدراسة، تعميق البحث والتحليل لتاريخ المرأة المسلمة كما هو وارد في مصادر السنة، ودراسة الجهود الفكرية لصحابيات الرسول ﷺ وإبراز الفروق بين الصحابة والصحابييات حيثما أمكن، كما أوصت بدراسة عامة لأسئلة الصحابة وترى أن من خلال سؤالاتهم يمكن فهم ثقافتهم ومدى ارتباطهم بالنبي ﷺ. على الرغم من الاختلاف بين أهدافها وأهداف الدراسة الحالية، إلا أنها تقدم بعض الفوائد، وهي بعض المراجع ذات الصلة، ومجموعة الأحاديث التي يمكن استخدامها للتحقق من شمولية جمع الأحاديث في الدراسة الحالية، وبعض التصنيفات وطرق التحليل التي يمكن تعديلها وتضمينها في الدراسة الحالية.

^{٧٦} عواودة، أسئلة الصحابييات للنبي ﷺ.

والسؤال النبوي الشريف - دراسة حديثة تربوية تحليلية للأخوين الفاضلين محمد ومراد.^{٧٧} اختاروا فيه بعض الأسئلة المطروحة من قبل النبي ﷺ للتحليل من حيث أغراضها وخصائصها اللغوية وأسلوبها ونبرتها وملائمتها للأشخاص المعنيين، وهذا هو الفارق بين هذه الدراسة والسابقة التي ركزت على أسئلة الصحابييات وتأثيرها تشريعاً. ولقد استخلصت هذه الدراسة الأحكام القضائية بشأن متى ولماذا يُعتبر سؤال معين مناسباً؟ ومتى يُعتبر محققاً وغير مناسبٍ؟ ومن أهم استنتاجات الدراسة أن أسئلة الرسول ﷺ لها أسلوب ومنهج خاص بمعايير ومواصفات محددة ذات صلة ومفيدة لمختلف المهنيين مثل المعلم والمتعلم والقاضي والفقير والخطيب وغيرهم، ومنها أن المبادئ التوجيهية في طرح الأسئلة المناسبة تشمل النظر في الفروق الفردية مثل العمر والجنس، وكذلك التدرج المنطقي في صياغة الأسئلة بحيث تبني الإجابات وتؤدي إلى فهم أفضل. على غرار الدراسة السابقة، تطرقت هذه الدراسة إلى قضية السؤال في الإسلام، وقدمت بعض المراجع التي ستكون مفيدة لمزيد من الدراسة المتعمقة الموضوع المقصود نفسه للدراسة الحالية. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون تصنيف وتحليل أسئلة الرسول بمثابة دليل مفيد لبعض جوانب الدراسة الحالية.

وقدم خالد محمد دخان رسالة ماجستير بعنوان **الدلالات التربوية لأسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية**^{٧٨} هادفاً إلى إظهار الدلالات التربوية لأسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية، باعتبار تقنيات في السنة وأهم الجوانب التي ركز عليها النبي ﷺ في استخدام منهج السؤال والجواب. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، وأوصى الباحث من خلالها بالاهتمام بأساليب النبي ﷺ التربوية مع التركيز على الإعداد الجيد للمعلمين لتطبيقها وتسخيرها لخدمة العملية التعليمية، كما أوصى باستخدام تلك الأساليب في المؤسسات التربوية والتعليمية. وأيضاً، بعقد ورش عمل للمعلمين للاستفادة من أسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية في إثارة الدافعية لدى المتعلمين. خلصت الدراسة إلى أربع توصيات، جوهرها اختلاق الوعي لدى

^{٧٧} محمد عبد الرزاق الرعود ومراد شحادة يوسف، السؤال النبوي الشريف - دراسة حديثة تربوية تحليلية، مجلة الجامعة الإسلامية ١٧، العدد ١ (٢٠٠٩): ٢٦٧-٣١٤.

^{٧٨} خالد محمد دخان، الدلالات التربوية لأسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية، (رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٠).

المعلمين من خلال برامج التدريب، بمنهج النبي في طرح الأسئلة كأسلوب تعليمي وحثهم على استخدامه في التدريس. ونلاحظ أن خالداً كان مهتماً بأساليب وتقنيات الأسئلة وإمكانية استخدامها في التعليم، وهذا ما يميز بحثه عن الدراسات المذكورة قبله. على الرغم من اقتصار هذه الدراسة على الأحاديث في صحيح البخاري، وتختلف عن الدراسة الحالية من حيث الأهداف، إلا أن الدراسة الحالية قد تستفيد من تصنيفها ومناقشتها لأساليب أسئلة النبي ﷺ إن أمكن استنباط أهداف تلك الأساليب إلى تطابق أهداف الدراسة الحالية.

ولقد أجرى الدكتور كامل السعدني دراسة لغوية اجتماعية حول أدوات الاستفهام ووظائفها في صحيح البخاري،⁷⁹ حيث اعتبر وقوع أدوات الاستفهام في الحديث واقتصر عمق الاعتبار على استخدام الهمزة كحرف استفهام ملاحظاً أنها أكثر استخداماً في اللغة العربية، كما اعتبر مدى انعكاس الترجمات الإنجليزية الأدوات ووظائفها كما هي في اللغة العربية، وخلص إلى أن الترجمة الإنجليزية لا تقدم بشكل كافٍ وظائف الاستفهام التي تنقلها معادلاتها العربية. ويعتمد اختياره للمنهج اللغوي الاجتماعي على فكرة من قبل بعض الباحثين مفادها أنه من الأفضل دراسة اللغة وتفسيرها من حيث سياقات الموقف؛ لأنه يتم استخدام اللغة في بعض السياقات الاجتماعية والثقافية.^{80، 81، 82} ومن توصيات الدراسة أن يستخدم مترجمو الحديث النبوي من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية معلومات زائدة لإظهار حقيقة وظائف الاستفهامات من خلال السياقات الاجتماعي واللغوي والثقافي والديني ودراسة أدوات الاستفهام الأخرى بجانب الهمزة للكشف عن وظائف أخرى قد لا تكون قد كشفتها الدراسة، كما اقترح بشكل غير مباشر النظر في كتب أخرى بجانب صحيح البخاري. ومقارناً بجميع الدراسات التي راجعناها، هذه الدراسة الوحيدة التي نظرت إلى الأسئلة الحديثة من منظور اجتماعي لغوي، وإن ركزت على استخدام الهمزة. يمكن متابعة دراسة أدوات الاستفهام وخاصة التصنيفات والمراجع ذات الصلة في هذه الدراسة في البحث الحالي واستخدامها في محاولة لفهم

⁷⁹ El-Sa'adany, "Functions of Interrogations."

⁸⁰ Braj B. KACHRV, Socially realistic linguistics: The Firthian tradition. *Studies in the Linguistic Sciences Urbana*, Ill 10, no. 1 (1980): 85-111.

⁸¹ Michael Alexander Kirkwood Halliday, *Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning*. (Hodder Arnold, 1978).

⁸² Dell Hymes, *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*, (University of Pennsylvania Press, 1974).

الأسئلة وتحليلها وتصنيفها. علاوة على ذلك، فإن الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والدينية للبحث الحالي تتوافق جزئياً مع بعض التوصيات الواردة في هذه الدراسة.

وقامت مدلين بدراسة بعنوان **سؤالات اليهود للنبي ﷺ وسؤالات النبي لهم: تخرج ودراسة**^{٨٣} من خلال تسع وسبعين رواية، تسع وخمسون منها سؤالات اليهود للنبي ﷺ، وعشرون سؤالات النبي ﷺ لليهود، وقسمتها إلى الصحيحة والضعيفة، وكشفت أن معظمها أحاديث ضعيفة من كتب التفاسير والسير، وأن أكثر تساؤلات اليهود للنبي ﷺ عن الغيبات، وأن هناك قليلاً من السائلين الذين أسلموا إما على إثر سؤالهم أو دعوة النبي ﷺ لهم، وامتداداً لدراستها، أوصت الباحثة بدراسة الأسئلة المطروحة على النبي ﷺ من قبل المشركين والنصارى والأعراب وغيرهم من الفئات. والعامل الفارق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة هو تركيزها على اليهود. على الرغم من النطاق المحدود لهذه الدراسة مقارنة بالدراسة الحالية، فهي بالتأكيد مورد مفيد للدراسة الحالية في النظر في تأثير الدين على التساؤل.

ودرست ناغش عيدة تحت عنوان **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين**^{٨٤} أحاديث الأسئلة في كتاب رياض الصالحين للإمام النووي دراسةً نحويةً بلاغيةً تداوليةً، ومن نتائج الدراسة أن الرسول استخدم أسلوب الاستفهام الذي تنوع، فمنه حقيقي ومجازي، وقام بتطويعه لأغراض الدعوة وتوظيفه لخدمتها، فجاء لأغراض شتى ولغايات متنوعة، إلا أنها كلها تصب في هدف واحد، هو تعليم الأمة ونصحها وإرشادها، وإقالة عثرتها، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وأوصت الدراسة بتوظيف الاستفهامات النبوية كشواهد في دروس البلاغة والنحو، وبررت صلاحية تلك الشواهد بالإشارة إلى جهود العلماء عند تدوين الحديث بالنسبة للدقة. ومميز هذه الدراسة مما سبق هو النظر إلى الأسئلة من جانب النحو والبلاغة، ولكن هذه الدراسة ليست رائدة في هذا الصدد؛ لأن الباحثة قد أشارت إلى دراسة بعنوان **(أسلوب الاستفهام في رياض الصالحين - دراسة بلاغية)** للطالب إبراهيم طبشي، مسجلة

^{٨٣} مدلين سعيد أبو شاويش، **سؤالات اليهود للنبي ﷺ وسؤالات النبي لهم: تخرج ودراسة**، (رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١١)، ٢٣٣.

^{٨٤} ناغش عيدة، **أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين**، (رسالة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ٢٠١٢)، ١٣٣.

بجامعة الجزائر لسنة ٢٠٠٩م، إلا أنني لم أستطع الوصول إليها. ومناقشة ناغش (٢٠١٢م) لأدوات الاستفهام أعمق وأوسع نطاقاً مما لوحظ في السعدني (٢٠١٠م)، وهي بالتأكيد مصدر مفيد إضافي مع المراجع ذات الصلة المذكورة لجهودنا نحو مزيد من فهم خصائص السؤال في اللغة العربية.

ونظر الدكتور ياسين تحت عنوان أسئلة الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيف بلوم **للمعاملات العقلية**^{٨٥} في أحاديث صحيح مسلم التي تحتوي على أسئلة بهدف الكشف عن مدى احتواء تلك الأحاديث على الفئات الست للمعاملات العقلية وفقاً لتصنيف بلوم، والفئات الست هي: التذكر، الفهم والاستيعاب، التطبيق، التحليل، التركيب، التقييم. ركزت دراسته على استخدام النبي ﷺ للاستجواب في تعليم الصحابة، واختتمت بتوصية لاعتماد منهج النبي ﷺ في الاستجواب في أساليب التدريس، والتشابه بين هذه الدراسة وبين دراسة خالد (٢٠١٠م) المذكورة أعلاه هو أنهما مهتمان بتطبيق منهجية النبي ﷺ في مجال التعليم، ولكن بينما تناول خالد (٢٠١٠م) أسلوب النبي ﷺ العام وتقنياته، فقد ركزت هذه الدراسة على تصنيف الأسئلة في السنة حسب تصنيف بلوم للأسئلة. على الرغم من أن هذه الدراسة مقصورة على صحيح مسلم وتركزت على الأهداف التعليمية، فإن استخدامها لتصنيف بلوم مفيد للدراسة الحالية نظراً للعلاقة بين مستويات تصنيف بلوم ومستويات التفكير والإبداع، وإن كانت الدراسة الحالية أوسع نطاقاً من حيث المصادر الحديثة إضافة إلى تناول تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدين على مشاركة فرد في الاستجواب.

وقامت أنسام تحت عنوان **سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ - دراسة موضوعية**^{٨٦} بدراسة سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ تحليلية وموضوعية، حيث أبرزت المكانة العلمية للسيدة عائشة رضي الله عنها، وأظهرت شخصيتها وكثرة سؤالاتها لرسول الله ﷺ في مواضيع مختلفة، ثم أشارت إليها كنموذج للنساء في حمل العلم والارتقاء به، ومن بين توصياتها:

^{٨٥} ياسين علي المقوسي، أسئلة الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيف بلوم للمعاملات العقلية ١، العدد ١ (٢٠١٤):

٢٨٥-٣٤٠.

^{٨٦} أنسام جمال حسن النجار، سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ - دراسة موضوعية، (رسالة

الماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٥)، ٢٠١-٢٠٢.

يصلح أن يتطور البحث ليكون مُسندًا، احتذاءً بطريقة السلف في المسانيد، لكن بشكل مختلف، إذ يتم حصر وجمع أسئلة الصحابي لرسول الله ﷺ وتتبع إجابات رسول الله ﷺ، وتصنيف هذه التساؤلات حسب الموضوعات المختلفة من فقه وعقيدة وتفسير وهكذا، وهي طريقة جديدة في ترتيب المسانيد، وكما أوصت بنشر الوعي الديني من خلال مجموع الأسئلة والإجابات، وإصلاح ما يمكن إصلاحه في المجتمع؛ في ظل انحراف الفكر وتناقضه وازدواجية التحليل في فهم الدين وأصوله، وما يهدده هذا القصور في الفهم من أخطار على الأمة وحاضرها. والفرق الواضح بين هذه الدراسة والدراسات الأخرى أعلاه هو أنها الدراسة الوحيدة التي ركزت على سؤالات واحدة فقط من صحايبات الرسول ﷺ، ولكن يمكن اعتبارها مجموعة فرعية من دراسة نسرين (٢٠٠١م) حيث درست سؤالات الصحايبات ﷺ للنبي في الكتب الستة، إلا أن أنسام (٢٠١٥م) توسعت وعمقت بالنسبة للأمم المؤمنين أكثر من نسرين (٢٠٠١م). وجزء الدراسة الذي قد يكون مفيدًا للدراسة الحالية هو تصنيفها الموضوعي لأسئلة أم المؤمنين، والذي يمكن الرجوع إليه في دراسة الأهداف من وراء الأسئلة كما نقصدها في البحث الحالي.

والدراسة الأخرى قام بها الدكتور سعد الدين وآخرون تحت عنوان **الأسئلة الموجهة للنبي ﷺ والإجابة عنها بوصفها نماذج لفتاوى**^{٨٧} في ورقة مؤتمر حيث قدموا خمسة أحاديث تتضمن أسئلة طرحت عن النبي ﷺ كنموذج للتحليل والتوصيات في آداب الاستجواب والإجابة على الأسئلة وإصدار الفتاوى، وأبرزت الدراسة فائدة وأهمية التساؤل وآداب الاستجواب، وأوصت بضرورة عقد الدورات التدريبية لتأهيل المفتين والأئمة والدعاة، وحصر الفتاوى فيمن كان عالماً مشهوداً له بالكفاءة والعلم والورع، وأن يكون المفتي مجازاً من الهيئة العليا في الدولة المناط بها القيام بأمر الفتوى. والفرق بين هذه الدراسة وجميع الدراسات السابقة هو أنها ركزت على قضية الفتوى، واستخدمت أحاديث قليلة فقط لإبراز هدف الدراسة. هذه ورقة قصيرة جداً، ولكن يمكن التعلم من طريقة التحليل العامة التي يستخدمها الباحثون للتطبيق في الدراسة الحالية. كما أن آداب استجواب الصحابة التي تم إبرازها في الدراسة يمكن أن تؤدي

^{٨٧} سعد الدين منصور ومحمد سيف الإسلام وطارق عثمان علي، الأسئلة الموجهة للنبي ﷺ والإجابة عنها بوصفها

نماذج لفتاوى، (المؤتمر العالمي في الفتاوى ٢٠١٦)، ٣٨٨-٣٩٦. eISBN: 987-983-42251-8-6

دورًا مفيدًا عند محاولات فهم وتحليل الأسئلة وفقًا لأهداف الدراسة الحالية مثل أهداف ودوافع الاستجواب.

وقام حامد والدكتور شريف تحت عنوان أسئلة النبي ﷺ وأجوبتها المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ في الصحيحين وأثرها على الواقع^{٨٨} بدراسة الأحاديث في الصحيحين حيث تم طرح الأسئلة المتعلقة بالإيمان وأجزاء التوحيد الثلاثة على النبي ﷺ، واستنتجنا من بين أمور أخرى "أن الإيمان هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وأن الإيمان يؤخذ بظاهره من الناس، ومن توصيات الدراسة: ضرورة عقد مؤتمر علمي يعالج أثر أسلوب النبي ﷺ في توجيه الصحابة في مسائل الاعتقاد، وما ينتج عنها من معالجات واقعية في المجتمعات الإسلامية، وضرورة مراعاة أسلوب التحليل والاستنتاج من النصوص الشرعية في مسائل العقيدة في التأليف والتدريس والدعوة، وإطلاق مشروع علمي على مستوى الدراسات العليا يعالج ظاهرة أدوات الاستفهام في النصوص الشرعية وأثرها في مسائل الاعتقاد وبيان أثرها في واقعنا المعاصر. ومقارنةً بالدراسات السابقة، تتميز هذه الدراسة بمجال التركيز المختار، وهو الإيمان، والذي لم يتم بحثه من قبل، إلا في دراسة (عثمان وبرو، ٢٠١٦م) - أسئلة الصحابة العقيدة للنبي ﷺ حول أهل الفترة^{٨٩} - التي اعتبرت العقيدة مع التركيز على مصير أهل الفترة، فالمشابه بين الدراستين هو أن كلاهما تحت الموضوع العام نفسه، ولكن اختلفا في تركيزهما. لم تكن دراسة (عثمان وبرو، ٢٠١٦م) مهمة بشكل خاص بالأسئلة، بل استخدمت الأحاديث مع الأسئلة لتسليط الضوء على حالة أهل الفترة ومناقشتها. أما دراسة (حميد وشريف، ٢٠١٩م) فتركزت على السؤال إلى حد ما، حيث تحدد لكل حديث باختصار، أداة الاستفهام، ونوع الاستفهام والهدف منه. ويمكن لي الاستفادة من أساليب التحليل المستخدمة في هاتين الدراستين، وكذلك الأخذ في الاعتبار الأحاديث الواردة فيهما كجزء من التحقق من شمولية مجموعة الأحاديث النبوية في الدراسة الحالية.

^{٨٨} حامد حامد الشريعة وشريف الخطيب، أسئلة النبي ﷺ وأجوبتها المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ في الصحيحين وأثرها على الواقع، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية ٢٧، العدد ١ (٢٠١٩): ٣٩٧-٤٣١.

^{٨٩} عثمان محمد عريب وبرو عبد الله حسين، أسئلة الصحابة العقيدة للنبي ﷺ في الصحيحين حول أهل الفترة، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ٧، العدد ٢٨ (٢٠١٦): ٣١٠-٣٥١.

إن الدراسات التي تمت مراجعتها هي التي تم العثور عليها في بحثنا عن الدراسات السابقة، ونعتزم مواصلة البحث أثناء هذه الدراسة، ولعلنا نعثر على دراسات إما جديدة أو ربما قديمة فاتتني حالياً. ويبدو حسب اطلاعنا أنه على الرغم من الاستفادة المختلفة المحددة من الدراسات السابقة، فإن مشكلة البحث الحالي تمثل فجوة في دراسات أسئلة الأحاديث التي تنتظر سدها، أي دراسة تحليلية للتساؤلات في الأحاديث النبوية ودورها المعرفي هادفة إلى الكشف عن العلاقة بين الأسئلة في الأحاديث من جهة والتفكير النقدي والإبداع والاستقلال الفكري.

خلاصة الفصل

بالإضافة إلى تحديد مشكلة البحث وأهميته وأسئلته وأهدافه وحدوده ومنهجه واستعراض بعض الدراسات السابقة ذات الصلة، لقد اعترف هذا الفصل أن التساؤل أقدم من تاريخ الإنسان استشهاداً بتساؤل الملائكة لله قبل خلق آدم، ثم أبرز أهمية التساؤل من خلال الإشارة إلى التشجيع القرآني والحديثي على ممارستها، خاصة في حالة الجهل، وكذلك إفادته ضروري في مختلف مجالات الأنشطة البشرية، وبالنظر إلى عينة من آراء حول نظرية المعرفة، استنبط أنها عملية تنطوي بالضرورة على الفضول، وبالتالي هي بالضرورة مرتبطة بالتساؤل. وأظهرت لمحة تاريخية موجزة أن في البداية، كان في الفترة الكلاسيكية وجهتا نظر للتساؤل: (١) ممارسة معرفية بمعنى كسب السلع المعرفية مثل الحقيقة والمعرفة والفهم، (٢) جزء من ممارسة الخطابة لغرض الجدل والإقناع. ومع ذلك، فقد تم دمج وجهتي النظر لاحقاً في نظام فلسفي موحد بحيث لم يمنع الاستخدام الجدلي للتساؤل من البحث عن السلع المعرفية. ولقد استمرت ممارسة التساؤل حول هذه الأهداف حتى القرن الأول الميلادي عندما تأثرت بشكل سلبي بالمعتقدات المسيحية. وفي العصور الوسطى، ابتداءً من القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر، كانت الفلسفة تكتب بما يتماشى مع وجهة نظر الكنيسة التي تحصر الممارسة في الموضوعات اللاهوتية. وفي هذه الحالة ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي بنظرة عالمية مختلفة عن نظرة الكنيسة، حيث يوجد تمييز بين القضايا الدينية وغير الدينية والتسامح مع الأفكار الأجنبية في الشؤون غير الدينية. ومن ثم فقد تحقق قدر كبير من التقدم العلمي في العالم الإسلامي، والذي كان مستحيلاً

في ظل سلطة الكنيسة، من القرن الثامن الميلادي وحتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين عندما بدأ الاحتكار الفكري للكنيسة في الغرب يضعف. وبحلول القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، امتد الأفق الفلسفي إلى ما هو أبعد من المواضيع اللاهوتية مع وجهات نظر إيجابية عن الفضول والسعي وراء المعرفة على الرغم من مقاومة الكنيسة التي كانت لا تزال تتمتع بسلطة ملحوظة، ولكن نحو نهاية القرن الثامن عشر، لم تعد السلطة المعرفية احتكارًا للكنيسة، بل انتشر عبر شبكة متنوعة ومتنامية من المثقفين، تضم العلماء والفلاسفة وعلماء اللاهوت وعلماء الرياضيات والشخصيات الأدبية ومجموعة من المفكرين الآخرين والشخصيات الثقافية عبر مجموعة من التخصصات التقليدية والناشئة حديثًا. ومرة أخرى، أصبح التساؤل في مركز الصدارة، حيث تم استخدامه كممارسة معرفية واسعة النطاق وتشجعها المعايير الثقافية. ومنذ القرن العشرين الميلادي، تم الاهتمام بدراسة الأسئلة مع التركيز على معنى السؤال، والسؤال كخاصية لإجاباته، وفهم السؤال من حيث السياق الذي يطرح فيه، وكذلك بالنظر إلى نية السائل. علاوة على ذلك، هناك الدعوة إلى الاعتراف بأهمية العلاقة بين المعرفة والأسئلة نظراً لدورها في إثارة القضايا في فلسفة المنطق وفلسفة اللغة، وأيضاً الاهتمام بالسائل بدلاً من تحليل الأسئلة. لأن التساؤل يؤدي دوراً بارزاً أو مركزياً في عمليات تكوين المعتقدات واكتساب المعرفة. ومع ذلك، يدعو البعض إلى وضع التساؤل في الاعتبار في السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه، لأنه في الأساس ممارسة اجتماعية، باعتباره سمة عالمية للتواصل الإنساني ونموذجاً أولياً للبحث عن الحقيقة.

الفصل الثاني

مفهوم السؤال والموقف الإسلامي منه

لقد تم افتتاح مقالٍ حديثٍ حول سَوَقِيَّة اللقاح المعزز لكوفيد- ١٩ "COVID-19" على النحو التالي: بينما تظل لقاحات لكوفيد- ١٩ المتوفرة حاليًا فعالةً في حماية الأشخاص من الأمراض الخطيرة، لا يزال خبراء الصحة العامة يواجهون عددًا قليلًا من الأسئلة المهمة حول الحقنات وقدرتها على الاستمرار في الحماية من الفيروس في السنوات القادمة. هل ستكون النسخة الجديدة من اللقاح أكثر فعالية؟ ما هي مدة الحماية؟ هل التعزيزات هي الطريقة الوحيدة لتمديد تلك الحماية؟ هل هناك طريقة أفضل وأكثر تنسيقًا لإعطاء اللقاحات والمعززات لزيادة المناعة في مواجهة فيروس دائم التغير؟^١

وإن هذا مؤشر على أهمية الأسئلة على مستوى صنع السياسة في المنظومة البشرية، تمامًا كما هو الحال في جميع المستويات الأخرى للمساعي البشرية جماعية كانت أو فردية. وفي الحقيقة، من السهل ملاحظة دور الأسئلة في فتح خطوط الاتصال، والحصول على المعلومات، وتحسين التفاعلات، وتسهيل التحليلات، واقتراح الأفكار، وفهم الآخرين وأولوياتهم، وما إلى ذلك.^٢ ومن الواضح أن الأفعال البشرية الهادفة تبدأ بإجابات على الأسئلة، وخاصة الأسئلة اللماضية. وبالتالي، قد تفشل المشاريع البحثية في الحصول على موافقة الخبراء في مرحلة الاقتراح إذا لم يتم تحديد أسئلة البحث بوضوح. وإنه من الصواب القول إن كل ما نقوم به ونفكر فيه تقريبًا ناتج عن أسئلة ما، على سبيل المثال، الإجراءات البسيطة للفرد مثل إلقاء نظرة خاطفة على الساعة، والاستجابة لمشاعر الجوع والعطش عن طريق اختيار الطعام والشراب مبنية على بعض الأسئلة الأساسية. فالفرد يقضي يومه يوجه إلى نفسه أسئلة متعلقة بقرارات بسيطة ومعقدة لازمة أو غير لازمة، وكذلك يطرح أسئلة مختلفة على غيره بأغراض مختلفة كطلب المعرفة أو المعلومات أو استيضاح الأمور أو توكيدها وهكذا، إما في وظيفته أو غيرها. تعبيراً عن أهمية

¹ Park, Alice. The Current COVID-19 Booster-Shot Strategy is Not Sustainable, Says FDA's Expert Panel. *Time Magazine*, April 7, 2022.

² Neirotti, "The importance," pI-II.

الاستجواب، يرى الإمام المزني (ت ٢٦٤هـ) أن الشخص الذي لا يمارسه في عمية (أي، في ضلالة وغواية):

قال أبو إبراهيم المزني لبعض مخالفيه في الفقه: من أين قلتم كذا وكذا، ولم قلتم كذا وكذا؟ فقال له الرجل: قد علمت يا أبا إبراهيم أننا لسنا لمية، فقال المزني: إن لم تكونوا لمية فأنتم إذن في عمية.^٣

هذا الفصل يتناول مفهوم السؤال والموقف الإسلامي منه، ولقد تم تنظيمه في أربعة مباحث، وهي مفهوم السؤال لغة واصطلاحاً، وموقف الإسلامي من الأسئلة، ومفهوم حديث السؤال، ومواصفات فئات الأسئلة، وإليك تفاصيل المباحث:

المبحث الأول: مفهوم السؤال

هذا مبحث منظوم في خمسة مطالب، والتي تقدم المفاهيم الأساسية لهذا البحث فيما يتعلق بالتساؤل كالتالي:

المطلب الأول: تعريف السؤال

المطلب الثاني: التساؤلات

المطلب الثالث: الاستجواب

المطلب الرابع: الطلب والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام

المطلب الخامس: أغراض طرح الأسئلة

المطلب الأول: تعريف السؤال

يهدف هذا القسم إلى تقديم ملخص موجز للعديد من التعريفات والأوصاف والتعبيرات الخاصة بمفهوم السؤال المتاحة في ساحة البحث. إن كلمة "السؤال" مصدر من الجذر "سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤْلاً وَمَسْأَلَةً"^٤ ولقد تم اعتبارها على أنها طلب حيث يشار إلى المطلوب بـ "السؤال" كما

^٣ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤)، بابُ اثْنَيْنِ الْمُنَاطَرَةُ وَالْمُجَادَلَةُ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ، ٢: ٩٦٧ (١٨٤٠).

^٤ أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، ٧: ٣٠١.

جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [طه ٢٠: ٣٦]،^٥ أي قد أوتيت طلبك، ويقال "رَجُلٌ سُؤْلَةٌ" لمن هو كثيرُ السُّؤالِ.^٦ ويُفهم أيضاً أن السؤال يعني طلب الصدقة،^٧ وذلك بمعنى التسؤل كاستخدام العبارة "سأل المحتاج الناس" بمعنى طلب منهم الصدقة والعطية، و"سأله الشيء" يعني طلب منه أن يعطيه إياه أو التمسسه منه، والعبارتان "سأله بكذا" و"سأله عن كذا" تأتيان بمعنىين: أولاً، استخبره عنه، استعلمه عنه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير ٨١: ٨-٩]، وثانياً، استفتاه مثل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء ١٧: ٨٥].^٨ ويطلق السؤال أيضاً على ما يُطلب من طالب العلم الإجابة عنه في الامتحان.^٩ فبالتالي، قد يكون السؤال دعاءً حيث يُسأل الله أو قد يكون طلباً لرد من البشر إما بشكل المعلومات أو المساعدة في تلبية حاجة مادية.

وقد استوعب أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) جزءاً من هذا في تعريفه إذ قال منتهها لطريقة الرد: السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إليها، والذي يكون جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، أو استدعاء المال أو ما يؤدي إليه، والذي جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعده أو برده،^{١٠} والمفقود من هذا التعريف الجميل هو معنى السؤال كالدعاء، وهذا المعنى المقدم من الجرجاني (ت ٨١٦هـ) إذ عرّف السؤال بأنه طلب الأدنى من الأعلى،^{١١} وهذه الملاحظة مبررة باعتبار المصطلحات المستخدمة في نعت كلمة "الأمر" من

^٥ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ١: ٣٥٥.

^٦ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩)، ٣: ١٢٤.

^٧ إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، (الإسكندرية: دار الدعوة)، ١: ١١٤.

^٨ ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ٢: ١٠١٩.

^٩ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ١: ١١٤.

^{١٠} أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٥٠١.

^{١١} علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ١٢٣.

حيث رتبة الأمر بالنسبة للمأمور إذ يقال "أمر" إن كان من الأعلى إلى من دونه، و"دعاء" أو "رغبة" إن كان من الأدنى إلى الأعلى، و"طلب" إن كان من نظير إلى نظير.^{١٢} ويبدو لنا كأنه كان من هذه وجهة عَرَف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) الدعاء بأنه طلب الأدنى من الأعلى تحصيل الشيء^{١٣}، وهذا مفهوم ومعقول للغاية لأن الدعاء يُفهم أيضاً كالسؤال كما جاء في حديث "تحريم الظلم": «فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ»،^{١٤} أي فدَعَوْنِي فاستجبت لهم. وهناك العديد من تعريفات السؤال في مجال التعليم، بما في ذلك: حافز معين يتطلب استجابة لغوية أو حركية أو كليهما، وقد تكون الاستجابة اللغوية شفوية (أي تحدثاً) أو تحريرية (أي كتابةً)،^{١٥} وعبارة تبدأ بفعل أمر سلوكي إجرائي أو أداة استفهام، والتي تصاحب كل نمط تنظيمي معرفي، ويمكن تحديدها من الدلالات التي تميّز كل نمط تنظيمي وتُعبر عن الغرض المعرفي للنمط،^{١٦} وجملة تبدأ بأداة استفهام موجهة إلى شخص معين تبحث عن معلومة معينة، ويعمل الشخص فكره على معنى الجملة من أجل الإجابة بطريقة تتفق مع متطلباتها.^{١٧} والتعاريف الأخرى تشمل: بيان الذي يُتوقع الرد عليه،^{١٨} ومجموعة من الألفاظ أو جملة لفظية محتاجة إلى رد معين من الموجه إليه السؤال، فهو وسيلة لحصول على تفسير المعلومات عامةً، وهو ليس فقط مجرد تجميع منطقي لكلمات ذات علامة استفهام، بل يعتبر من ضمن مثيرة تفكير المتعلم.^{١٩} ويمكن النظر إلى الأسئلة من حيث أهداف السائلين وهي كثيرة مثل الاسترشاد والإنكار والتعجب وما إلى ذلك، وهو ما سيُنظر فيه قريباً في المطلب الخامس.

^{١٢} ينظر: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، الأسدي الموصلية، شرح

المفصل للزمخشري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، ٤: ٢٨٤.

^{١٣} جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق

محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤)، ٢٩٢.

^{١٤} مسلم، الصحيح، ٤: ١٩٩٤ (٢٥٧٧).

^{١٥} يحيى إسماعيل عيد، "التقويم في علوم الشريعة": فصل في كتاب: المرجع في علوم الشريعة، تحرير عبد الرحمن صالح،

٥٢٣.

^{١٦} المرجع نفسه.

^{١٧} كمال عبد المجيد زيتون، التدريس نماذج ومهاراته، (الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر، ١٩٩٧)،

ص ٣٩٧.

¹⁸ Craig Kissoc and Peter A. Iyortsunn, *Guide to Questioning*, (Macmillan Press, 1982), 2.

¹⁹ Roger T Cunningham, "Developing Question-Asking Skills," In *Developing Teacher Competencies*,

المطلب الثاني: التساؤلات

أما التساؤلات، جمع التساؤل، فهو على حد قول ابن فورك (ت ٤٠٦هـ): "سؤال كل واحد للآخر، كقولك: لم غررتني؟ وقول الآخر: لم قبلت مني؟" ^{٢٠} وقال أيضاً: "التساؤل: التقابل بسؤال كل واحد من النفسين الآخر، تساءلا تساؤلاً وسأله مسألة، والسؤال الإخبار." ^{٢١} وقال الرازي (ت ٦٠٦هـ): "التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدثوا به، وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال، قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]، وقال: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ ^{٢٢} يقول أئتك لمن المصدقين؟ [الصفات ٣٧: ٥١-٥٢] فهذا يدل على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون. ^{٢٣} وقال المظهري (ت ٧٢٧هـ) عند شرح الحديث «لن يبرح الناس يتساءلون» ^{٢٤}: "التساؤل: جريان السؤال بين اثنين أو أكثر...". ^{٢٥} وقال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): "والتساؤل جريان السؤال بين اثنين فصاعداً ويجري بينهم السؤال في كل نوع (حتى يقولوا) ويجوز أن يكون بين العبد والشيطان أو النفس حتى يبلغ إلى أن يقال (هذا الله خالق كل شيء) أي هذا مسلم وهو أن الله تعالى خالق كل شيء، وهو شيء، وكل شيء مخلوق (فمن خلق الله). ^{٢٦} وقيل التساؤل من تساءل ("تساءل ب" و"تساءل عن") يتساءل تساؤلاً،

edited by James Weigand, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, 1971.

^{٢٠} ينظر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تفسير ابن فورك، تحقيق علال عبد القادر بندويش، (المملكة

العربية السعودية: جامعة أم القرى، ٢٠٠٩)، ٢: ٢١٧.

^{٢١} ابن فورك، تفسير ابن فورك، ٣: ١٢٥.

^{٢٢} محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط ٣ (بيروت: دار

إحياء التراث العربي، ١٩٩٩)، ٦: ٣١.

^{٢٣} البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه،

٩: ٩٦ (٧٢٩٦).

^{٢٤} مظهر الدين المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني الكوفي الضري الشيرازي الحنفي، المفاتيح في شرح

المصباح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، (الكويت: دار النوادر، ٢٠١٢)، ١: ١٥٥-١٥٦.

^{٢٥} أبو العباس شهاب الدين القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، إرشاد الساري

والفاعل مُتسائل، والمفعول مُتسأَلٌ به، وتساءل الرَّجُلُ: سأل نفسه بشكٍّ وحَيْرَةٍ، وتستعمل للتعبير عن أنَّ المتحدث متردّد يسأل نفسه أيّ قرار يحسن أن يتّخذ. وتساءل القومُ: تخاصموا مثل قول الله تعالى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات ٣٧: ٢٧]، وتساءل بالله: حلف به وطلب حقه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء ٤: ١]، وتساءلوا عن سبب الكارثة: سأل بعضهم بعضاً "يثير عددًا من التساؤلات الأساسية الهامة- ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف ١٨: ١٩]، وتساءل عن أمرٍ: سأل الرأي فيه.^{٢٦}

المطلب الثالث: الاستجواب

مصطلح "الاستجواب" (استجوب، يستجوب، استجوبا) في الدراسات الفلسفية للأسئلة يعني طلب الجواب عامة ولا يُقتصر على المعنى القانوني فقط كاستجواب المتهم،^{٢٧} من خلال استخلاص الحقيقة أو المعلومات بالمساءلة والتحقيق، حيث يقال "أجرى رجال الشرطة استجوابًا للمتهمين"^{٢٨} وكاستفسار يتقدّم به أحد النّواب من شأنه فتح باب المناقشة.^{٢٩} وقال صاحباً معجم لغة الفقهاء: الاستجواب: من أجاب، والاسم إجابة: الرد على السؤال التحقيق مع الافراد بتوجيه الاسئلة إليهم وطلب الجواب عنها.^{٣٠} وإنه كان على المعنى العام للاستجواب، قال الشيخ الخولي عن أسئلة الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه في الحديث «حق الله على العباد»^{٣١}: "ولم

^{٢٦} لشرح صحيح البخاري، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ط ٧، ١٩٠٥) ج ١٠، ص ٣١٢.

^{٢٧} أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢: ١٠١٩.

^{٢٨} المصدر نفسه، ١: ٤١٥.

^{٢٩} ينظر: المصدر نفسه، ١: ٤١٦.

^{٣٠} المرجع نفسه.

^{٣١} محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، ط ٢ (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٨٨)، ٥٩.

^{٣٢} البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، ٤: ٢٩ (٢٨٥٦).

يستفهم الرسول ﷺ منه استجواباً له، ولكن زيادة في تنبيهه إلى ما يلقي عليه، وتشويقاً إليه،^{٣٢} أي، لم يسأله طالباً للجواب. "وعليه نستخدم المصطلح بنفس المعنى طوال هذه الدراسة.

المطلب الرابع: الطلب والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام

تعتبر الكلمتان "السؤال" و"الاستفهام" بشكل عام مترادفتين، ويسمى الرمز الذي يوضع في نهاية الجمل للإشارة إلى أنها أسئلة علامة استفهام، ويطلق على الحروف الموضوعة في أول الجمل (مثل "أ" و"هل" و"ما") لجعلها أسئلة حروف استفهام، كما يطلق على الأسماء التي تؤدي نفس الوظيفة (مثل "من" و"متى" و"كيف") أسماء استفهام، ولكن هناك فرق طفيف بين الكلمتين، فكلمة "الاستفهام" اسم من الجذر "استفهم يستفهم استفهماً"، وهي طلب الإفهام، أي الإدراك، ويقال فهم الأمر أو الكلام مثلاً إن أدركه أو علمه أو أحسن تصوّره أو استوعبه. ومن أشكال استخدام المصدر "استفهم" أن يقال "استفهمه الأمر" أو "استفهمه عن الأمر" أو "استفهم منه عن الأمر" بمعنى سأله عن الأمر طالباً لتفسيره أو توضيحه. وفُسِّر العبارات المذكورة باستخبار، ولكن نستبعد هذا التفسير بسبب إمكان تلقي الخبر بدون فهم.^{٣٣} فالواضح أن المستفهم يسعى وراء الفهم، والذي يعني أنه لم يفهم بادئ ذي بدء، ولكن قد يكون السائل يسأل عما يعلم لأغراض مختلفة غير مشملة طلب العلم ولا الفهم مثل الأسئلة المطروحة من قبل الله الذي هو بكل شيء عليم، وبالتالي، كل استفهام سؤال وليس كل سؤال استفهماً. وهذا هو الفرق بين السؤال والاستفهام، والسؤال أعم من الاستفهام.

من أجل إكمال هذه المناقشة، يناسب اعتبار الكلمات الثلاث "الطلب" و"الاستخبار" و"الاستعلام" لأنه يتم استخدامها أحياناً بالتبادل مع "السؤال" و"الاستفهام". إذا رتبنا الكلمات الخمس من الأعم إلى الأخص، نحصل على "الطلب" و"السؤال" و"الاستخبار" و"الاستفهام" و"الاستعلام"، وكل واحدة من الأربع الأخيرة نوع من الطلب، والطلب أعمها، والاستعلام أخصها. وباعتبار العلاقة بين الطلب والسؤال، كل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤالاً لأن السؤال يكون بالفعل والقول مع استدعاء الجواب، ولكن الطلب

^{٣٢} الشاذلي الحوّلي، الأدب النبوي، ١٨٤.

^{٣٣} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٧٤٨-١٧٤٩.

— محاولة وجدان الشيء [وأخذه]^{٣٤} — يكون السعي وغيره، وقد يفتقر عن الجواب.^{٣٥} أما الاستخبار فهو السعي وراء الخبر فقط بينما السؤال يتضمن طلب الخبر والأمر والنهي، فلاستخبار إذاً أخص من السؤال.^{٣٦} ويُجاب المستخبرُ بخبر قد يفهمه أم لا، ومجرد تلقي الخبر يفي هدف الاستخبار فهمه المستخبر أم لم يفهمه، ولكن لا يحقق هدف الاستفهام إلا بفهم المستفهم لخبر الذي أُجيب به، وبالتالي الاستخبار أعم من الاستفهام.^{٣٧} والاستعلام: طلب العلم، وهو أخص من الاستفهام، لأن ليس كل ما يفهم يعلم، بل قد يظن ويخمن، ومن ثم كل استعلام استفهام وليس كل استفهام استعلاماً.^{٣٨}

المطلب الخامس: أغراض طرح الأسئلة

السؤال الذي سنحاول الإجابة عليه في هذا القسم هو: "لماذا تُطرح الأسئلة؟" وبالفعل، فإن الإجابة الصحيحة تعتمد بشكل أساسي على أهداف السائلين، والعلاقة بينهم وبين المسؤولين، وسياق الأسئلة، وما إلى ذلك. ومع أخذ ذلك في الاعتبار مقروناً بالحقيقة أن الأهداف تختلف بين الأشخاص، حتى بالنسبة للإجراءات نفسها تماماً، فإننا نفهم أنه يجب أن يكون هناك العديد من الأهداف للأسئلة، حيث قد لا تختلف الأهداف فقط بين أنواع الأسئلة المختلفة ولكن قد تختلف أيضاً بين مستجوبين مختلفين لنوع السؤال نفسه بالضبط. فعلى سبيل المثال، قد يتم طرح نفس السؤال من قبل أشخاص مختلفين حيث تشمل الأهداف السعي وراء الفهم والمعرفة، أو اختبار الشخص المستوجب أو السخرية منه أو التسبب في صعوبة له أو لإثارة إعجابه أو غيره من الحاضرين أو تعزيز أفكاره أو معارضتها، وهكذا.

^{٣٤} أبو عبد الرحمن البصري، كتاب العين، ٧: ٤٣٠.

^{٣٥} ينظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، تحقيق الشيخ بيت الله بيات (قم: مؤسسة

النشر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢)، ص ٢٧٦-٢٨٧.

^{٣٦} ينظر: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ٣٧.

^{٣٧} ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن

العرب في كلامها، (بيروت: محمد علي بيضون، ١٩٩٧)، ١٣٤.

^{٣٨} شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (حاشية الطيبي على

الكشاف)، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣)، ٥: ٥٠٧.

أما بالنسبة لأسئلة مختلفة من مصادر شتى، فلنعتبر قصة القرآنية عن الخلق، حيث طرح الملائكة سؤالاً على الله عندما أخبرهم عن خلق الإنسان، وطرح الله سؤالاً على الملائكة بعدما عجزوا عن تسمية الأشياء ونجح آدم في ذلك، وكذلك استجوب إبليس لما خالف الأمر بالسجود لآدم فأجاب متضمناً سؤالاً في إجابته. ويختلف كل سؤال عن الآخر من حيث الأهداف. ومن بين التأويلات العديدة المقدمة لسؤال الملائكة - ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة ٢: ٣٠] - أنهم قالوه تعجباً أو إيجاباً للخبر من رب العزة ﷻ، أو استرشاداً، أو استكشافاً لما خفي عليهم عن الحكم في استخلاف البشر في الأرض،^{٣٩} وأول قول الله ﷻ للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَعَلَّمَ مَّا تُبَدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة ٢: ٣٣] بأنه استفهام تذكير^{٤٠} أو تقرير^{٤١} أو توبيخ^{٤٢} واستجواب الله إبليس بعد عصيانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [ص ٣٨: ٧٥] بأنه استفهام إنكار وتوبيخ^{٤٣} وسؤال إبليس محاولةً لتبرير عصيانه: ﴿أَسْجُدْ لِمَن خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء ١٧: ٦١] بأنه استفهام تعجب وإنكار.^{٤٤، ٤٥} والملاحظ من هذا المثال أنه قد يتم طرح الأسئلة كرد

^{٣٩} مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٣)، ١: ٧٢.

^{٤٠} السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)، ١: ٣٣٠.

^{٤١} محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث)، ٢: ٦١١.

^{٤٢} علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق - بيروت: الدار الشامية - دار القلم، ١٩٩٥)، ٩٩.

^{٤٣} البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ط ٤، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ٧: ١٠٢.

^{٤٤} ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ط ٣، تحقيق أسعد محمد الطيب (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨)، ١٢: ٦٣٩.

^{٤٥} أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٧: ٧٧.

فعل على أوامر أو معلومات معينة، إما تعبيراً لإيجاب أو لتعجب أو طلباً لتوجيه أو لإيضاح ما خفي عن السائل من الحكم والأسباب وراء الأوامر والمعلومات، وقد يُطرح سؤال تذكيراً للمستوجب أو توبيخاً عليه أو كتقرير، حيث يراد تأكيد المعلومات الواردة في السؤال، كما يُطرح كإنكار إما لفشل المسؤول في التصرف عندما يكون الإجراء مناسباً أو لتصرفه بشكل غير لائق، وكذلك أيضاً يُطرح اعتراضاً على الأوامر أو المعلومات. ومن ثم فإن للأسئلة أغراض كثيرة مع إمكانية دمج العديد منها في سؤال واحد حسب أهداف السائل، ولقد سرد أبو محمد جمال الدين (ت. ٧٦١هـ) ثمانية أغراض للسؤال - التسوية، والإنكار الإبطالي، والإنكار التوبيخي، والتقرير، والتهكم، والأمر، والتعجب، والإستبطاء - ثم قال: "وذكر بعضهم معاني آخر لا صيحة لها"،^{٤٦} ولكن ذكر السيوطي (ت. ٩١١هـ) اثنين وثلاثين غرضاً نقلاً عن كتاب "روض الأفهام في أقسام الاستفهام" لشمس الدين بن الصائغ (ت. ٧٧٦هـ)، والذي لم يتمكن من العثور عليه، فاعتمدنا على كتاب "الإتقان" للسيوطي،^{٤٧} وسنقوم بتلخيص بعض أغراض الأسئلة فيما يلي:

الاستفهام الإنكاري من أنواع السؤال، حيث يُطرح ما ظاهره استفهام ولكن بمعنى إنكار الشيء، ومن الأمثلة القرآنية قوله ﷻ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة ٢: ١٠٨] إنكاراً على المسلمين أن يتأدبوا استفهاماً مع الرسول ﷺ على نمط بني إسرائيل مع موسى ﷺ، وقوله ﷻ: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف ٤٦: ٣٥] لما فيه من نفي أو إنكار هلاك غير القوم الفاسقين. ومن الأمثلة في الحديث سؤال أم المؤمنين عائشة المطروح على معاذة تعبيراً عن كراهية استفسارها عن قضاء الصلاة للحائض: "أَحْزُورِيَّةٌ أَنْتِ؟"^{٤٨} وحرورية نسبة إلى حروراء - بلد قريب من الكوفة بالعراق - الذي كان يواظنه الكثير من الخوارج المعروفون بالتعنت وإنكار السنة، ومن

^{٤٦} أبو محمد جمال الدين ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، مغني اللبيب عن كتب

الأعاريب، ط ٧، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥)، ٢٧.

^{٤٧} السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (قاهرة:

الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٧٤)، ٣: ٢٦٨-٢٧٤.

^{٤٨} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، ١: ٢٦٥ (٣٣٥).

آراء طائفة منهم لزوم النساء ما فاتهن من صلاة أيام حيضهن.^{٤٩، ٥٠، ٥١} وكذلك سؤال الرسول ﷺ إلى جابر بعد أن صلى مشتملاً بثوبٍ واحد: "مَا هَذَا الْإِشْتِمَالُ الَّذِي رَأَيْتُ؟" وكان إنكاراً لفعله، ثم علمه ما يفضل في ذلك الحال قائلاً: "إِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ".^{٥٢} ومنها أيضاً قوله ﷺ «الْبِرُّ تُرْدَن؟» لما رأى أخبية بعض الأمهات المؤمنين في المسجد وقد أردن الاعتكاف معه.^{٥٣} وقد يتم تعبير إنكار شيء ما استفهاماً وفي شكل لوم فاعل ذلك الشيء أو تأنيبه أو تعييره، ويطلق على السؤال في ذلك الحال الاستفهام التوبيخي، مثلاً، سؤال إبراهيم عليه السلام قومه لوماً وتأنيباً وتعيراً: ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات ٣٧: ٩٥-٩٦]، وقوله ﷺ: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد ١٣: ١٦]، وكذلك في الحديث قول النبي ﷺ بالنسبة للرافعين رؤوسهم قبل الإمام في الصلاة: "أَمَّا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - أَوْ: لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟"^{٥٤، ٥٥} وقوله ﷺ ناقداً: «يَا أَسَامَةَ، أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»^{٥٦} لما أخبر عن قتل العدو الذي نطق بالشهادة بعد أن أظفر عليه في إحدى المعارك، وقوله ﷺ أيضاً للصحابه «أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُؤْذِنُونِي

^{٤٩} ينظر: أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ﷺ، ط ٢، تحقيق محمود الأرنؤوط (دمشق: دار الثقافة العربية، ١٩٨٨)، ٥١.

^{٥٠} ينظر: القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل (مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨)، ٢: ١٨٣.

^{٥١} ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩)، ١: ٣٦٦.

^{٥٢} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً، ١: ٨١ (٣٦١).

^{٥٣} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الاعتكاف، باب متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه، ٢: ٨٣١ (١١٧٢).

^{٥٤} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب إنهم من رفع رأسه قبل الإمام، ١: ١٤٠ (٦٩١).

^{٥٥} ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحبد الدين الخطيب وعليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٠)، ٢: ١٨٣.

^{٥٦} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ٥: ١٤٤ (٤٢٦٩).

بِهَا؟»^{٥٧} أو «أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟»^{٥٨} في قصة المسكينة (أو المسكين) التي ماتت بالليل فصُلِّت عليها ودُفنت دون إبلاغه ﷺ، ولوم أبي بكر عائشة على مشاجرتها مع زينب أمام النبي ﷺ سائلاً: «أَتَصْنَعِينَ هَذَا؟»^{٥٩} ومفهوم أقرب ارتباط بهذا هو الاستفهام العتابي حيث يكون السائل أقل صرامة وهادفاً إلى ألطف لوم من التوبيخ وكذلك إصلاح أو تعديل المعلوم، ومثاله قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد ٥٧: ١٦]، أي لماذا كنتم مؤمنين لهذه المدة الكافية وقلوبكم لم تخشع بعد لذكر الله وما نزل من الحق؟ وفي حديث "نبي قرصته نملة"، عاتبه الله لتحريق قرية النمل قائلاً: «إِنِّي أَنْ قَرَصْتُكَ نَمْلَةً، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ، تُسَبِّحُ؟»^{٦٠} وكذلك قول علي ﷺ تعبيراً عن كراهيته للبقاء في المدينة وفق أمر رسول الله ﷺ عند مُضِيِّ المسلمين إلى تبوك: «أَتُخَلِّفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ؟» أي لا يفضل أن يُترك في المدينة وعدم اشتراكه في الغزوة مع النبي ﷺ، وقد أدرك الرسول ﷺ ذلك فأجاب بسؤال حارضا له إلى ما يكرهه: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^{٦١} ونوع آخر من الأسئلة منتمي إلى هذه المجموعة هو السؤال الذي يأتي بمعنى النهي، فإنه كثير مما يُنهى عنها تستحق الإنكار. ومثال استخدام الاستفهام في النهي قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة ٢: ١٠٨]، أي لا تسألوه كما سئل موسى ﷺ سابقاً، وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ [التوبة ٩: ١٣]، أي: لا تخشوهم لأن الله ﴿أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٩: ١٣]، ومثاله في الحديث قول رسول الله ﷺ لرجل يصلي والمؤذن يقيم لصلاة الصبح: «أَتُصَلِّي الصُّبْحَ أَرْبَعًا؟»^{٦٢} أي، لم

^{٥٧} النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي تحت إشراف شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، كتاب الجنائز، باب الأمرُ بِالْجِنَازَةِ، ٢: ٤١٥ (٢٠٤٥). وصححه الألباني.

^{٥٨} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَ مَا يُدْفَنُ، ٢: ٨٩ (١٣٣٧).

^{٥٩} مسلم، الصحيح، كتاب الرِّضَاعِ، باب الْقَسَمِ بَيْنَ الرِّجَالِ، وَبَيَانُ أَنَّ السُّنَّةَ أَنْ تَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ لَيْلَةً مَعَ يَوْمِهَا، ٢: ١٠٨٤ (١٤٦٢).

^{٦٠} ابن ماجه، السنن، كتاب الصَّيْدِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بابُ مَا يُنْهَى عَنْ قَتْلِهِ، ٢: ١٠٧٥ (٣٢٢٥).

^{٦١} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الْمَغَازِي، بابُ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ، ٦: ٣ (٤٤١٦).

^{٦٢} مسلم، الصحيح، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بابُ كَرَاهَةِ الشُّرُوعِ فِي نَافِلَةٍ بَعْدَ شُرُوعِ الْمُؤَدِّنِ، ١: ٤٩٤

يُشرع غير صلاة الصبح في هذا الوقت، فلا تصلي فيه غيرها. في بعض الأحيان يتم التعبير عن إنكار أمر ما (أو شخص ما) استفهاماً في شكل التظاهر بالجهل به تحقيراً له وتقليلاً من شأنه كما أنه غير معروف، وقد يُستخدم أسلوب استفهام التجاهل أيضاً لاستزاد المعرفة أو انتزاع الاعتراف أو الدفع إلى توسع في بيان حول الأمر (أو الشخص) للتعريف به مدحاً أو ذمماً وما إلى ذلك من الأغراض البلاغية.^{٦٣} ومن أمثلة استفهام تجاهل في القرآن قول فرعون لموسى **الْعَلِيكَ**: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء ٢٦: ٢٣]؟ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ لَهُ تَجَاهُلُ الْعَارِفِ لِأَن فرعون طرح السؤال جاحداً - وهو مستيقناً - بما جاء به موسى **الْعَلِيكَ** من رب العالمين كما قال الله عنه وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُْلُوًا﴾ [النمل ٢٧: ١٤] وقول موسى **الْعَلِيكَ** له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائرٍ﴾ [الإسراء ١٧: ١٠٢]، ومثال آخر قول إبراهيم **الْعَلِيكَ** لأبيه وقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢١: ٥٢]، أي "ما هذه الأصنام التي أنتم عابدون لها، مقيمون عليها. وهذا السؤال تجاهل منه، وإلا فهو يعرف أن حقيقتها حجر، أو شجر، اتخذوها معبوداً، فلا استفهام فيه، استفهام متجاهل.^{٦٤} ومثال في الحديث سؤال وجهه الرسول **ﷺ** إلى حاطب بن أبي بلتعة **ﷺ** بعد قطع الطريق على رسالته إلى أهل مكة لإبلاغهم بخطط الرسول **ﷺ** العسكرية: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»^{٦٥} طالباً منه الاعتراف قبل الحكم عليه وإن كان عارفاً، ومن فوائد الاستفهام معرفة دافعه إلى ما فعل. وفي الحوار بين الله والملائكة الوارد في الحديث «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ»، يسأل الله عما هو أعلم به لكي يسلب الضوء على آداب المؤمن المحمودة في تلك الحالة: "قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَع، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ،

(٧١١).

^{٦٣} ينظر: حَبَّكَّة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، (دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية، ١٩٩٦)، ١: ٢٩٦.

^{٦٤} محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن،

تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي (بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠١)، ١٨: ١٢٠.

^{٦٥} البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ٤: ٥٩ (٣٠٠٧).

وَسَمُّهُ بَيَّتَ الْحَمْدِ.^{٦٦} ومن أساليب إنكار شخص (أو أمر متعلق به) استفهامه بطريقة تهدف إلى تحقيره أو تقليل من شأنه أو استهزاء به، على سبيل المثال، بالنسبة للآية ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر ٣٩: ٣٨]، قال أبو العباس (ت. ٧٥٦هـ): "قوله ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾: هي المتعدية لاثنتين، أولهما «ما تَدْعُونَ» وثانيهما الجملة الاستفهامية. والعائد على المفعول منها قوله: «هُنَّ» وإنما أنثته تحقيراً لما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، ولأنهم كانوا يُسَمُّونها بأسماء الإناث: اللات ومناة والعزى.^{٦٧} ومثال آخر استفسار الكفار عن رسول الله ﷺ هادفين إلى إهانته واستهزاء به: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٢٥: ٤١]^{٦٨}، وكذلك سؤالهم استهزاءً ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الذاريات ٥١: ١٢]^{٦٩} وقول أهل مدين لنبيهم ساحرين منه: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود ١١: ٨٧]، والاستفهام إنكاري استهزائي.^{٧٠} ومن أمثلة الحديثية، سؤال عمر رضي الله عنه لرجل كان كاهناً في الجاهلية: «فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جَنِّيَّتُكَ؟»^{٧١} وقيل أنث الجن تحقيراً له.^{٧٢} وفي حديث "جَدِّي أَسْلُكُ مَيْتٌ" قول رسول الله ﷺ «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟» استفهام تحقيري لأنه قصد به التفات الانتباه إلى قيمة المنخفضة أو المعدومة للماعز الميت، وأشار جواب الصحابة إلى تحقيق قصده بالضبط، إذ قالوا: "مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟" أي لا

^{٦٦} الترمذي، السنن، أبواب الجنائز عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ فَضْلِ الْمَصِيبَةِ إِذَا اخْتَسَبَ، ٣: ٣٣٢ (١٠٢١)، وقال: حديث حسن غريب.

^{٦٧} السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المنصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم)، ٩: ٤٣٠.

^{٦٨} ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٨: ١٠٨.

^{٦٩} محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة - بيروت:

دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن)، ٢: ١١٣٩.

^{٧٠} محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روائي علوم القرآن، ١٣: ٢٣٢.

^{٧١} البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، ٥: ٤٨ (٣٨٦٦).

^{٧٢} ينظر: شمس الدين البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي،

اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب (سوريا: دار النوادر، ٢٠١٢)، ١٠: ٤٣٧.

فائدة لنا منه لأنه معدوم القيمة، وبالتالي سؤالهم أيضاً استفهام تحقيري،^{٧٣} وقول عائشة رضي الله عنها **تَهَكِّمًا**^{٧٤}: «أَفَلَا يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَخْلِفْنَ رُءُوسَهُنَّ»^{٧٥} لما أخبرت أن ابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، وكذلك السؤال المطروح على سلمان الفارسي رضي الله عنه استهزاءً: «لَقَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ؟»^{٧٦}

وفي بعض الأحيان، قد يتم طرح سؤال بهدف الحصول على إقرار واعتراف بشأن مسألة ثابتة مع المستجوب، أي يأتي السؤال بمعنى التقرير وقد يتضمن التوبيخ والإنكار ويطلق عليه الاستفهام التقريري،^{٧٧، ٧٨} ومن الأمثلة القرآنية سؤال إبراهيم عليه السلام قومه عن آلهتهم: «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟» [الشعراء ٢٦: ٧٢-٧٣]، وقوله عز من قائل: «أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؟» [النمل ٢٧: ٨٤]، وفي الحديث، السؤال الوارد في حديث "ناقصات العقل والدين" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟»^{٧٩} وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟» للثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته.^{٨٠}

وفي بعض الأحيان، يكون الاستفهام مؤكداً متكوناً من استفهامين بحيث يتأكد الثاني الأول، والإجابة على السؤال الثاني هي نتيجة إجابة السؤال الأول، مثلاً، قال الله تعالى: «أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟» [الفرقان ٢٥: ٤٣] أي من اتخذ إلهه هواه فإنك لا تكون عليه وكيلاً، وكذلك قوله «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ

^{٧٣} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، ٤: ٢٢٧٢ (٢٩٥٧).

^{٧٤} موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، (بيروت: دار الشروق، ٢٠٠٢)، ٢: ٣٣٧.

^{٧٥} مسلم، الصحيح، كتاب الحيض، بَابُ حُكْمِ ضَفَائِرِ الْمُغْتَسِلَةِ، ١: ٢٦٠ (٣٣١).

^{٧٦} أبو داود، السنن، كتاب الطَّهَارَةِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، ٢: ٢٨٥ (٢٢٨٤). صححه الألباني.

^{٧٧} ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل المرحلي الدار، دلائل الإعجاز في علم

المعاني، تحقيق ياسين الأيوبي (بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية)، ١٤٠-١٤١.

^{٧٨} ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣: ٢٦٩.

^{٧٩} البخاري، الصحيح، كتاب الحيض، بَابُ تَرْكِ الْحَائِضِ الصَّوْمَ، ١: ٦٨ (٣٠٤).

^{٨٠} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، ٧: ٢ (٥٠٦٣).

مَنْ فِي النَّارِ ﴿[الزمر ٣٩: ١٩] يعني الذي وجبت عليه كلمة العذاب فإنك لا تقدر على هدايته فتخرجه من النار. ومن الأمثلة الحديثية، قول رسول الله ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»^{٨١} أي إن كان نهرٌ بباب أحد يغتسل منه خمس مرارة يوميًا، فلا يبقى عليه أي وسخ، وقد استخدم النبي ﷺ هذه الطريقة القوية لتوضيح أهمية الصلوات الخمس اليومية. من هذه الأمثلة يمكن ملاحظة أن الاستفهام الثاني في تكوين الاستفهام التأكدي يأتي بأسلوب الاستفهام التقريري.

وقد يتم طرح سؤال أحيانًا كطريقة للتعبير عن الدهشة، فيطلق عليه الاستفهام التعجبي، وقد يكون مصحوبًا بأي مجموعة من الأهداف الأخرى كالإنكار، والتوبيخ، والتقرير. مثلاً، في قول الله سبحانه وتعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ٢: ٤٤] طلب الاعتراف، كما هو تعجب لمن يطلب من غيره إلزام الخير في الأعمال والمعاملات ولكن يهمل نفسه في ذلك الطلب وهو عالم بما في كتاب الله من عاقبة تصرفه، هل العاقل يختار الخير للناس والشر لنفسه؟ أليس من المناسب إنكار ذلك الفعل ولوم فاعله؟ فبالتالي، السؤال في الآية استفهام تعجبي إنكاري توبيخي تقريري. وقوله ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢: ٢٨]، أي ما أعجب أمركم! أتكفرون بالذي يملك موتكم وحياتكم ونشوركم؟ ومن الأمثلة الحديثية، سأل النبي ﷺ أم حبيبة لما اقترحت عليه نكاح بنت أختها: «أَوْ تُحَيِّنَ ذَلِكَ؟»،^{٨٢} وهذا استفهام تعجب مع ما طبع عليه النساء من الغيرة،^{٨٣} ومنها سئل رسول الله ﷺ يوم غزوة بدر تعجباً عندما قال «فُؤِمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟"^{٨٤}

^{٨١} مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة ممحى به الخطايا، وتزفع به الدرجات، ٤٦٢: ١ (٦٦٧).

^{٨٢} مسلم، الصحيح، كتاب الرضاع، باب تحريم الربيبة، وأخت المرأة، ١٠٧٢: ٢ (١٤٤٩).

^{٨٣} بدر الدين العيني، محمود بن أحمد الحنفى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٩٤: ٢٠.

^{٨٤} مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ١٥٠٩: ٣ (١٩٠١).

وقد يكون السؤال استفهاماً تذكرياً، والذي يهدف به السائل تذكير المستوجب كسؤال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف ١٨ : ٧٢]، وقوله تعالى للملائكة ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة ٢ : ٣٣]، وقول النبي ﷺ «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي»^{٨٥} لما بلغه شكوى (أو شكاية) بعض الأنصار حول قسمة غنائم حنين. ومن الممكن أن يصاحب التذكير أهداف أخرى كالإنكار والتوبيخ وطلب الإقرار وما إلى ذلك حسب غرض السائل. والاستفهام الافتخاري^{٨٦} وثيق الصلة بالاستفهام التذكري إلا أن السائل يطرح السؤال وهو متبجح أو هادف إلى التباهي مثل قول فرعون لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف ٤٣ : ٥١]، وما ورد في الحديث عن انتساب رجلين على عهد الرسول ﷺ حيث قال أحدهما: "أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بْنُ فُلَانٍ، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟"

وقد يطرح سؤال يعرف باسم الاستفهام التعظيمي التفخيمي حيث لا يهتم السائل بالإجابة ولكنه يهدف إلى التعبير عن عظمة وفخامة الشيء الذي يراه أو يتكلم فيه، وبحسب أهداف السائل قد يشمل السؤال أغراض أخرى كالتعجب والإفتخار وما إلى ذلك، ومثال ذلك قول الله تعالى محذراً عن المجرمين يوم القيامة أنهم سيقولون عند ملاحظتهم ما في كتبهم من دقة وتفصيل بالنسبة لأعمالهم: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف ١٨ : ٤٩]، ومنها ما ورد في حديث أم زرع عن عاشر النساء العشر: "زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ"^{٨٧} تعظيماً وتفخيماً لزوجها. وإذا كان التعظيم لمخيفة شيء أو مهوله، حينئذ يكون السؤال استفهاماً تخويفاً أو تهويلًا، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر ٢ : ١٦] استفهام معناه تعظيم العذاب وتخويف المشركين،^{٨٨} ويرى بدر الدين

^{٨٥} البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ٥ : ١٥٧ (٤٣٣٠).

^{٨٦} ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ٧ : ٢٣١.

^{٨٧} البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ٧ : ٢٧ (٥١٨٩).

^{٨٨} ينظر: الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن

العيني أن العبارة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر ٢: ١٥] "مُعْتَبَرٌ مُتَعَطٌّ وَخَائِفٌ مِثْلُ عَقُوبَتِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ اسْتِفْهَامُ تَعْظِيمٍ لَمَّا مَضَى وَتَخْوِيفٌ لِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ".^{٨٩} ومثاله في الحديث، قوله ﷺ ذات ليلة: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ؟»^{٩٠} والاستفهام ينقل التعجب والتعظيم ما أنزل من العذاب والرحمة تخويفاً وتحويلاً لصواحب الحجرات وتحريضهن لقيام الليل كوسيلة للحصول على الرحمة.^{٩١، ٩٢} ومثال آخر عن رسول الله ﷺ، قول الله ﷻ رداً على رجل أقسم أن الله لا يغفر لفلان: "مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفَرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ".^{٩٣} وفي الاستفهام تخويف وتهديد شديد.^{٩٤}

ومن استعمالات الاستفهام: تعبير سهولة الأمور أو خفتها، على سبيل المثال، في الآية ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات ٧٩: ٢٧] استفهام تسهيل وتخفيف يعبر سهولة خلق الناس على الله تعالى كرد على المكذبين بالبعث، أي "أَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَبِّكُمْ، فَإِنْ مِنْ بَنَى السَّمَاءَ فَرَفَعَهَا سَقْفًا، هَيِّنْ عَلَيْهِ خَلْقَكُمْ".^{٩٥} وفي الحديث، سئل النبي ﷺ عن رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة فَعَبَّرَ عَنْ سَهُولَةِ ذَلِكَ بِالْإِسْتِفْهَامِ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» و«فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»،

عويس (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ٤: ٢٠٩.

^{٨٩} بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩: ٢٠٨.

^{٩٠} البخاري، الصحيح، كتاب التهجد، بَابُ تَحْرِيطِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِجَابٍ، ٢: ٤٩ (١١٢٦).

^{٩١} مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ الدِّينِ عَبْدِ اللطيفِ بْنِ عَبْدِ العزیزِ بْنِ أَمِينِ الدِّينِ بْنِ فَرِشْتَا، الرُّومِيُّ الْكِرْمَانِيُّ، الحنفِيُّ، ابنُ المَلِكِ، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، (الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية، ٢٠١٢)، ٢: ١٦٣.

^{٩٢} ينظر: ابن المَلِكِ، شرح مصابيح السنة، ٢: ١٦٣.

^{٩٣} مسلم، الصحيح، كتاب البِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ التَّهْنِئَةِ عَنْ تَقْطِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ٤: ٢٠٢٣ (٢٦٢١).

^{٩٤} ينظر: المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط ٣ (بنارس الهند: الجامعة السلفية، ١٩٨٤)، ٨: ٣٢.

^{٩٥} الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث)، ٢٤: ٢٠٥.

وتم الرد على كلا السؤالين بـ"لا"، فقال ﷺ: قَالُوا: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»،^{٩٦} أي سترونه بسهولة كما ترون الشمس في يوم صاف والقمر في ليلة صافية.

ومنها التهديد والوعيد حيث يكون غرض الاستفهام إنذار المستفهم كما جاء في الآية ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات ٧٧: ١٦]، أي لقد أهلكنا الكافرين سابقاً، فبإمكاننا إعادة ذلك بكم، وقول النبي ﷺ "أَمَّا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - أَوْ: لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟"^{٩٧} استفهام توبيخ كما سبق، وفيه أيضاً وعيد شديد وتهديد لمن سبق الإمام.^{٩٨}

ومنها تعبير عن الكثرة كقوله ﷺ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف ٧: ٤]، أي كثيراً ما أهلكنا من أهل القرى الذين كفروا، والمدلول نفسه في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء ٢٦: ٧] وفي قول النبي ﷺ: «كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»،^{٩٩} ويطلق على "كم" في هذه العبارات "كم" الخبرية.^{١٠٠}

ومنها التعبير عن المساواة بين أشياء أو أمور معينة عبر إظهار اللامبالاة بالإجراءات البديلة، وتسوية الأشياء إما في جهالة المستفهم أو علمه، وهلم جرى، مثلاً، قول الله ﷻ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص ٣٨: ٧٥]، الاستفهام إنكاري وتوبيخي، ومدلوله أستكبرت بنفسك أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا؟^{١٠١} وكلا الخيارين متساويين في معصية الله، وقول عاد لهود عليه السلام: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء ٢٦: ١٣٦] يعني نحن لا نهتم بوعظك، سواء فعلت ذلك أم لا، فلن يغير ذلك أي شيء معنا. وفي الحديث صلى النبي ﷺ بالصحابة إحدى صلاتي العشي وسلم بعد ركعتين فسئل: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنْسِيَتْ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟"^{١٠٢} وتلك تسوية في الجهالة إذ

^{٩٦} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ الشُّجُودِ، ١: ١٦٠ (٨٠٦).

^{٩٧} ينظر: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، ١: ١٤٠ (٦٩١).

^{٩٨} بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٥: ٢٢٣.

^{٩٩} البخاري، الصحيح، كِتَابُ اللَّيَاسِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَجَوَّزُ مِنَ اللَّيَاسِ وَالْبُسْطِ، ٧: ١٥٢ (٥٨٤٤).

^{١٠٠} ينظر: حَبْنَكَةُ، البلاغة العربية، ١: ٢٨٧.

^{١٠١} ينظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣: ٥٦٧.

^{١٠٢} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَشْيِيقِ الْأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَظْمِهِ، ١: ١٠٣ (٤٨٢).

لا يدري المستفهم إما نسي النبي أو قُصرت الصلاة، وكذلك أيضا قول عائشة: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا"،^{١٠٣} وسؤال كعب بن مالك لما بُشِّرَ بقبول توبته: "أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟"^{١٠٤}

وغالبًا ما يكون المتحدث مهذبًا مع المخاطب ويصدر الأوامر بشكل غير مباشر بطريقة استفهام، ومن أمثلة ذلك في القرآن قول الله ﷻ عند تحريم الخمر والميسر: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة ٥ : ٩١]، أي انتهوا، وقوله ﴿أَسَلَّمْتُمْ﴾ [آل عمران ٣ : ٢٠]، أي أسلموا، وفي الحديث، طلب بلال من أبي بكر الصلاة بالناس لما ذهب النبي إلى القباء ليصلح بين الناس وحانت الصلاة ولم يرجع بعد: "يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ حُبِسَ، وَقَدْ حَانَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمَّ النَّاسَ؟"^{١٠٥} وكذلك قوله ﷺ لعلي وفاطمة ذات ليلة: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»^{١٠٦} وقول أم حارثة بن سراقَةَ للنبي ﷺ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، ... فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهِدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ".^{١٠٧}

وفي بعض الأحيان يتم لفت الانتباه من خلال استخدام الاستفهام الذي يكون تقديره "انتبه كذا وكذا"، وحينئذ يُعتبر الاستفهام من أنواع الأمر، مثلاً، قد يُفهم من الآية ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة ٩ : ٧٠] أنها تأمر الكفار بالاهتمام والانتباه لقصاص الكفار الماضية لكي يتعظوا منها، فالاستفهام في الآية للتنبيه والتحذير والتوبيخ،^{١٠٨} والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ

^{١٠٣} البخاري، الصحيح، كتابُ البُيُوعِ، بابُ مَنْ لَمْ يَزِ الْوَسَاوِسَ وَخَوَّهَا مِنَ الشُّبُهَاتِ، ٣ : ٥٤ (٢٠٥٧).

^{١٠٤} البخاري، الصحيح، كتابُ المعَاذِي، بابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة ٩ : ١١٨]، ٦ : ٧ (٤٤١٨).

^{١٠٥} البخاري، الصحيح، أَبْوَابُ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ، بابُ رَفْعِ الْأَيْدِي فِي الصَّلَاةِ لِأَمْرِ يَنْزِلُ بِهِ، ٢ : ٦٦ (١٢١٨).

^{١٠٦} البخاري، الصحيح، كتابُ التهجد، بابُ تَحْرِيزِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيْجَابٍ، ٢ : ٥٠ (١١٢٧).

^{١٠٧} البخاري، الصحيح، كتابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ، بابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرِبَ فَقَتَلَهُ، ٤ : ٢٠ (٢٨٠٩).

^{١٠٨} الواحدي، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، التفسير البسيط، تحقيق لجنة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود (الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٩)،

عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» [التوبة ٩ : ١٠٤] تنبيه على ما يجب أن يعلموا،^{١٠٩} وكذلك مدلول الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء ٤ : ١٢٥] هو: انتبهوا بأن منتهى ما تبلغه القوة البشرية ديناً هو إخلاص النفس لله وحده تسليماً وعبودياً.^{١١٠} ومن الأمثلة الحديثية، استب رجلان على عهد النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما من شدة الغضب، وقال النبي ﷺ للصحابة حوله أنه لو قرأ الرجل الاستعاذة، لذهب عنه ما يجد، ف قيل له: "أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟" أي، انتبه على قول النبي ﷺ وامثل له، ومنها أيضاً: في صباح أحد الأيام بعد ليلة ممطرة بالحديثة، سأل الرسول ﷺ الصحابة: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» الحديث،^{١١١} وقوله «هَلْ تَذَرُونَ؟» لفظ استفهام معناه التنبيه، أي "انتبهوا".^{١١٢} وفي قوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ»^{١١٣} قيل "ألا" مؤلفة من حرفي الاستفهام والنفي لإعطاء التنبيه على تحقق ما بعدها.^{١١٤}

ونوع آخر من الأسئلة المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستفهام الأمر هو الاستفهام الترغبي، المطروح بقصد جذب المستوجب لفعل شيء ما، ومن أمثلة ذلك في القرآن قول الله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [البقرة ٢ : ٢٤٥]، حيث يَحْتُ الناس على إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاته،^{١١٥} أي ارغبوا فيه، وكذلك في قوله:

١٠ : ٥٤٦ .

^{١٠٩} الواحدي، التفسير البسيط، ١١ : ٣٩ .

^{١١٠} ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨)، ٢ : ٩٩ .

^{١١١} البخاري، الصحيح، أَبْوَابُ الاسْتِسْقَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٥٦ : ٨٢]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شُكْرُكُمْ»، ٢ : ٣٣ (١٠٣٨) .

^{١١٢} ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٢ : ٥٢٣ .

^{١١٣} أبو داود، السنن، كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابُ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، ٤ : ٢٠٠ (٤٦٠٤) . صححه الألباني

^{١١٤} ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٢)، ١ : ١٣٥ .

^{١١٥} فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٩ : ٤٥٤ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف ٦١: ١٠]
 ترغيب الناس في التجارة المذكورة، وكذلك قول النبي ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِرَّ رُومَةٍ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَخْرِ لُهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟»^{١١٦} وقوله ذات ليلة في غزوة الاحزاب: «مَنْ يَأْتِيَنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟»^{١١٧}

وشكل آخر من أشكال الاستفهام الذي يشبه استفهام الأمر والنهي يحدث في الأدعية، مثلاً، استرحام موسى عليه السلام إلى الله عندما تعرضوا للرجفة: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف ٧: ١٥٥]، يعني لا تهلكنا بما فعلوا، وقول المجرمين الذين يكذبون التنزيل حتى يغرقهم العذاب بغتة: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ [الشعراء ٢٦: ٢٠٣]، أي أمهلنا ربنا، وذلك دعاء بطريقة الاستفهام، وفي الحديث، يخبر النبي ﷺ أنه عندما تؤجر الأمم يوم القيامة يقول أهل التوراة: "رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا؟"^{١١٨} ونرى أن هذا دعاء للمزيد على طريق الاستفهام، وهو رأي يؤيده بقية الحديث: «قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرَكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءُ "»، أي، لم أعطكم أقل مما تستحقون، وما أعطيته هؤلاء هو من فضلي الذي أعطيه من أشاء، ويخبر أيضاً عن مجادلة المؤمنين لله في إخوانهم يوم قيامة: "رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا"^{١١٩} وفي رواية: "رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحْجُونَ مَعَنَا، فَأَذْخَلْتَهُمُ النَّارَ؟"^{١٢٠} وهذا دعاء بأسلوب الاستفهام، ومدلوله: ربنا أخرج من النار إخواننا الذين نشهد لهم أنهم كانوا يعبدونك ويعملون الصالحات معنا.

تُطرح أحياناً أسئلة تُظهر إشكالية أو اعتراضاً من جانب السائل بينما هو يهدف في الواقع إلى طلب الإرشاد، ومن أمثالها كما أسلفنا، قول الملائكة لله ﷻ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ

^{١١٦} الترمذي، السنن، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابٌ فِي مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَلَهُ كُنْيَتَانِ، يُقَالُ: أَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ٦: ٦٨ (٣٧٠٣)، وحسنه الألباني.

^{١١٧} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ الطَّلِيعَةِ، ٤: ٢٧ (٢٨٤٦).

^{١١٨} البخاري، الصحيح، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابٌ فِي الْمَشِيشَةِ وَالْإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ٩: ١٣٨ (٧٤٦٧).

^{١١٩} البخاري، الصحيح، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾ [القيامة ٧٥: ٢٣]، ٩: ١٣٠ (٧٤٣٩).

^{١٢٠} ابن ماجه، السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابٌ فِي الْإِيمَانِ، ١: ٢٣ (٦٠).

يُفْسِدُ فِيهَا» [البقرة ٢: ٣٠] الآية، والذي من تأويلاته الاسترشاد،^{١٢١} والأمثلة في الحديث كثيرة، منها: قال رسول الله ﷺ أنه أُرِيَ النار ورأى أن أكثر أهلها النساء، فسئل: "يَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قَالَ: «يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟» قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»،^{١٢٢} فالواضح أن الخبر أشكل على الصحابة فاسترشدوا النبي استفهاميا: "يَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" و"يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟"، ومثال آخر: رأت أم سلمة النبي يصلي ركعتين بعد العصر وقد كانت سمعته ينهى عنها، فأرسلت إليه جارية تسأله: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا"، أي، لم تصليهما أنت وقد سمعتك تنهى عنهما؟ فأجاب النبي ﷺ: «يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ».

استخدام آخر لأسلوب الاستفهام هو التعبير عن التمني والترجي، على سبيل المثال، يعبر الخاسرون رغبته يوم القيامة في الشافعين وفي فرصة الرجوع إلى الدنيا لتغيير أعمالهم في الآية: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف ٥٣: ٧]، وكذلك في تنبيه المؤمن بالإنفاق في سبيل الله، وأن لا ينتظر حتى مجيء أجله فيتمنى الإمهال قائلا: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون ٦٣: ١٠]، أي يا ربي هلا أمهلتني رويدا، فيكون حينئذ مجرد التمني وبعيد المنال. ولما مرض بلال في المدينة أعرب عن أمنيته للتواجد بمكة بأسلوب الاستفهام قائلا:

"أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْبَسَ لَيْلَةً... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرُّ وَجَلِيلٍ"^{١٢٣}

وعبر الرسول ﷺ عن أمنيته لأن يزوره جبريل أكثر قائلا: «أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟»^{١٢٤}

^{١٢١} مجموعة، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١: ٧٢.

^{١٢٢} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب أبواب الكُفُوف، باب صلاة الكُفُوفِ جَمَاعَةً، ٢: ٣٧ (١٠٥٢).

^{١٢٣} البخاري، الصحيح، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أَنْ تُعْرَى الْمَدِينَةُ، ٣: ٢٣ (١٨٨٩).

^{١٢٤} البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ٤: ١١٢ (٣٢١٨).

يمكن أيضاً استخدام الاستفهام للتعبير عن تحقيق توقع معين أو وعد بطيء أو متأخر في الحدث، ومن أمثال القرآنية، قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد ٥٧: ١٦]، أي، لقد مضى وقت كاف حتى لا يكون للمؤمنين أي عذر في عدم خشوع قلوبهم،^{١٢٥} وذلك استبطاء خشوع قلوب المؤمنين. ومنها قوله ﷺ: ﴿مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾ [البقرة ٢: ٢١٤] مخبراً عن قول رسول المؤمنين به من أمة سابقة الذين عانوا من شدائد وصعوبات وزلزلا، فشعروا أنه قد تأخر مجيء النصر وأعربوا ذلك بهذا الاستفهام.^{١٢٦، ١٢٧} ومنها قوله: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء ٤: ٧٥]، وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الإثبات للإنكار،^{١٢٨} وذلك بأن الدواعي القتال - اضطهاد الناس - متوفرة، وعدم القيام به في لحظة نزول الآية يعني تأخير، والذي يستحق الإنكار والتوبيخ.^{١٢٩} وفي الحديث، قال النبي ﷺ: «إِلَّا مَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْأَمَةِ؟»،^{١٣٠} وقال السندي: "أَيُّ مَذْ أُنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَإِلَى مَتَى تَبْقَوْنَ عَلَى هَذِهِ الْعَادَةِ"،^{١٣١} وهذا يعني أن الوقت قد حان للإقلاع عن هذا السلوك، وتفسير مماثل ينطبق على قول النبي ﷺ: «إِلَّا مَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟»^{١٣٢} عندما وعظ الصحابة في ضحكهم من الضبط. وبعض الأمثلة على هذا النمط من الاستفهام تشير إلى وجود علاقة مع الاستفهام الإنكاري وأنماط أخرى.

^{١٢٥} شهاب الدين، أحمد بن إسماعيل، غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني (من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس)، تحقيق محمد مصطفى كوكصو (رسالة دكتوراه) (تركيا: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧)، ٩٤.

^{١٢٦} ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١: ١٣٥.

^{١٢٧} أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ٢: ٣٧٤.

^{١٢٨} أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق يوسف علي بديوي (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨)، ١: ٣٧٤.

^{١٢٩} سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط ٦ (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٣)، ٢: ١١٢٨.

^{١٣٠} ابن ماجه، السنن، كتاب النكاح، باب ضرب النساء، ١: ٦٣٨ (١٩٨٣).

^{١٣١} السندي، أبو الحسن نور الدين، محمد بن عبد الهادي التتوي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، (بيروت: دار الجيل)، ١: ٦١١.

^{١٣٢} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ٤: ٢١٩١ (٢٨٥٥).

وفي بعض الأحيان، يتم التعبير عن الطلبات والأوامر تلطفاً وتهذباً كعروض بأساليب الاستفهامية، مثلاً، عرض الله مغفرته لمن عفا وصفح عن إساءة أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيله عن طريق الاستفهام: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور ٢٤: ٢٢]، وأمر الله موسى عليه السلام أن يقول لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكِيَ﴾ [النازعات ٧٩: ١٨]، وقال أصحاب التفسير الوسيط: "أي: فقل له: هل لك رغبة في أن تتطهر من دنس الكفر والعصيان، ورذائل الأخلاق والعادات؟ وهو استفهام يقصد به العرض والطلب".^{١٣٣} ومثل آخر في القرآن، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار ٨٢: ١٧-١٨]، وهو استفهام هادف إلى عرض يوم يقوم الأَشهاد "على ما هو عليه من هول لا يوصف، ولا يعرف كنهه، لأنه شيء لم تره العيون، ولم تحم حوله الظنون".^{١٣٤} وفي الحديث، لما ذهب أبو ذر إلى مكة بحثاً عن حقيقة الرسول ﷺ، واستضافه علي عليه السلام لمدة ثلاثة أيام دون أن يعرف الغرض من وجوده في مكة، وسأله في اليوم الثالث: "أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟"^{١٣٥} وهذا الاستفهام طلب برفق، وذلك عرض.^{١٣٦} وأخرج الإمام مسلم وغيره أن نفراً قدموا على رسول الله ﷺ، فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض، وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أَلَا تَخْرُجُونَ مَعَنَا فِي إِبِلِهِ، فَتُصِيبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا»،^{١٣٧} والاستفهام اقتراح أو أمر بشكل طلب بلطف ورفق.^{١٣٨} ومثال آخر ذو تفسير مشابه هو سؤال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى». وإذا كان أسلوب الاستفهام مشابهاً

^{١٣٣} مجموعة، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٠: ١٧٧٠.

^{١٣٤} عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ١٦: ١٤٨٥.

^{١٣٥} البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري عليه السلام، ٥: ٤٧ (٣٨٦١).

^{١٣٦} ينظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ٩: ٤٦٧.

^{١٣٧} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب القسامة والمخاريب والقصاص والديات، باب حكم المخاريب والمتردين، ٢:

٨٣١ (١٦٧١).

^{١٣٨} ينظر: محمد الأمين بن عبد الله الأزمي العلوي الهجري الشافعي، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (الكوكب

الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، تحقيق لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي

مهدي، (الرياض: دار المنهاج، ٢٠٠٩)، ١٨: ٣٣٤.

^{١٣٩} البخاري، الصحيح، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن عليه السلام،

٥: ١٩ (٣٧٠٦).

للاستفهام بمعنى العرض ولكن مع تقديم الطلب بالحث (أي، على فعل أمر أو اجتناب منهي) أو الإزعاج بدلاً من اللطف واللين، فحينئذ يكون الاستفهام بمعنى التحضيض،^{١٤٠} ومن أمثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، وقيل: "لولا" إذا دخل على الفعل كان بمعنى التحضيض مثل "هلاً"^{١٤١}، والمراد إذا "هلاً نفر من كل فرقة..."، أي "فلينفر من كل فرقة..."، وكذلك قوله: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة ٩: ١٣] استفهام بمعنى التحضيض، أي "قاتلوا قوما..."، وعلى المنوال نفسه قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء ٤: ٧٥] يعني "قاتلوا في سبيل الله". ولقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال للصحابة ليلة من ليالي الأحزاب: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»^{١٤٢} والاستفهام بمعنى التحضيض بما فيه من الحض الواضح على الإتيان بخبر العدو، وكذلك قوله ﷺ تحضياً على تحسين الصلاة: «أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟». وقد يستعمل الاستفهام لبيان الاكتفاء أو تعبيره، ومن أمثال ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر ٣٩: ٦٠]، أي: كفى بجهنم مأوى للمتكبرين يوم الدين،^{١٤٣} ومنها قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر ٣٩: ٣٦] بمعنى كفاه الله ناصرًا ووليًا،^{١٤٤} وقول ابن عمر عن الحبس عن الحج: "أَلَيْسَ حَسْبُكُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟"^{١٤٥} أي كفاكم سنة رسول الله ﷺ، وتفسير مماثل ينطبق على قول النبي ﷺ: «أَلَا يَكْفِي أَعْدَاءَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدُهُ عَلَى فَخْذِهِ، ثُمَّ يُسَلِّمَ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ؟»^{١٤٦}

من خلال أسلوب الاستفهام، قد يعبر المتحدث عما يرى أنه مستحيل أو مشكوك فيه أو غير مناسب الحدوث، فيقدم الاستفهام بهدف استبعاد الأمر المعترض، ومثال ذلك في

^{١٤٠} ينظر: الواحدي، التفسير البسيط، ٢: ١٥٩.

^{١٤١} الواحدي، ١١: ٩٣.

^{١٤٢} مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ٢: ٨٣١ (١٧٨٨).

^{١٤٣} ينظر: حَبَنَكَة، البلاغة العربية، ١: ٢٩٩.

^{١٤٤} ينظر: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي،

(بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨)، ٤: ٣٥٤.

^{١٤٥} البخاري، الصحيح، أبواب المحصر، باب الإحصار في الحج، ٩: ١٨١٠.

^{١٤٦} أبو داود، السنن، باب تفریع أبواب الرُّكُوع والسُّجُود، باب في السَّلام، ٢: ٢٨٥ (٢٢٨٤). صححه الألباني.

القرآن قول الله عز من قائل بالنسبة للذين كذبوا الرسول ﷺ رغم ما جاءهم به من البينات والموعظة الحسنة: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان ٤٤: ١٣-١٤]، أي، من المستحيل أن تنفعهم الذكرى وقد أعرضوا عن مصدرها إضافة بتصرفات غير لائقة،^{١٤٧} وشبيه هذا المعنى مدرك من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران ٣: ٨٦]، ومنع القوم المذكور من نعمة الهداية ملحوظ في آخر الآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.^{١٤٨} وذكر النبي ﷺ رجلا مسافرا أشعث أغبر الذي يمد يديه داعياً - أي جمع فيه أسباب قبول الدعاء - وهو مغرق في الحرام، ثم قال: «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^{١٤٩} أي، كيف يستجاب له؟ والاستفهام يفيد التعجب والاستبعاد، ويرى البعض أن عدم التصريح باستحالة الاستجابة أمر وارد.^{١٥٠} ولما أخبر النبي ﷺ الصحابة أن شتم الوالدين من الكبائر، سئل: "وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟"^{١٥١} والاستفهام يعبر كراهة أو انكارا واستبعادا لشتم شخص والديه، وهو غير متصور للسائل.^{١٥٢} وتشمل أمثلة الأسئلة الأخرى المطروحة على النبي ﷺ مع تفسيرات مماثلة: "أَيُّنِي أَحَدُنَا شَهَوْتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟" كرد فعل قوله «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»،^{١٥٣}

^{١٤٧} ينظر: إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوئي، روح البيان، (بيروت: دار الفكر)، ٨: ٤٠٧.

^{١٤٨} ينظر: أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٢)، ٢: ٢٨٩.

^{١٤٩} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيتِهَا، ٢: ٧٠٣ (١٠١٥).
^{١٥٠} ينظر: ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط٧، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، ١: ٢٧٥.

^{١٥١} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكِبَائِرِ وَأَكْثَرِهَا، ١: ٩٢ (٩٠).
^{١٥٢} ينظر: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ديب ميسنو وآخرون (دمشق، دار ابن كثير، ١٩٩٦)، ١: ٢٨٥.
^{١٥٣} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢: ٦٩٧ (١٠٠٦).

و"أَوَيَّاتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟" عندما أعرب عن خوفه من تنافس المسلمين في زهرات الدنيا وتأديته إلى هلاكهم.^{١٥٤}

وقد يُستخدم أسلوب الاستفهام أحياناً لجعل المستجوب مرتاحاً من خلال الشعور بلطف المستفهم فيسهل مآنته. قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه ٢٠: ١٧] إما على سبيل الإيناس أو على وجه التقرير، وقال ابن كثير نقلاً عن بعض المفسرين "إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له"،^{١٥٥} وقيل إن قوله يا موسى "تكرار لزيادة الاستئناس والتنبية"،^{١٥٦} ولما كان الله يعلم موسى عليه السلام كيفية مخاطبة فرعون قال: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات ٧٩: ١٨]، و"هل حرف استفهام معناه العرض لاستدعائه بالملاطفة والملاينة والمدارة"،^{١٥٧} أي: من أدوار هذا الاستفهام، الاستئناس. ومن استخدامات النبي ﷺ لهذا الأسلوب، قوله لابن أبي طلحة الذي كان حزينا لموت طيره: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّعَيْرُ؟»^{١٥٨} ملاطفة له من خلال حديثه بما يليق به للتأنيس،^{١٥٩} ومن أمثلة الحديثية أيضاً ما أخرجه الإمام البخاري وغيره أن رجلاً سأل عبد الله بن زيد: "أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي، كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟"^{١٦٠} ورأى الحافظ ابن حجر أن في قول الرجل "أَتَسْتَطِيعُ" ملاطفة الطالب للشيخ وكأنه أراد أن يريه بالفعل ليكون أبلغ في التعليم.^{١٦١}

^{١٥٤} ينظر: البخاري، الصحيح، كِتَابُ الرِّكَاعِ، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَتَامَى، ٢: ١٢١ (١٤٦٥).

^{١٥٥} ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ٥: (٢٤٦).

^{١٥٦} الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢ (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨)، ١٦: ١٩٦.

^{١٥٧} محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط ٤ (دمشق - بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٥)، ١٠: ٣٦٦-٣٦٧.

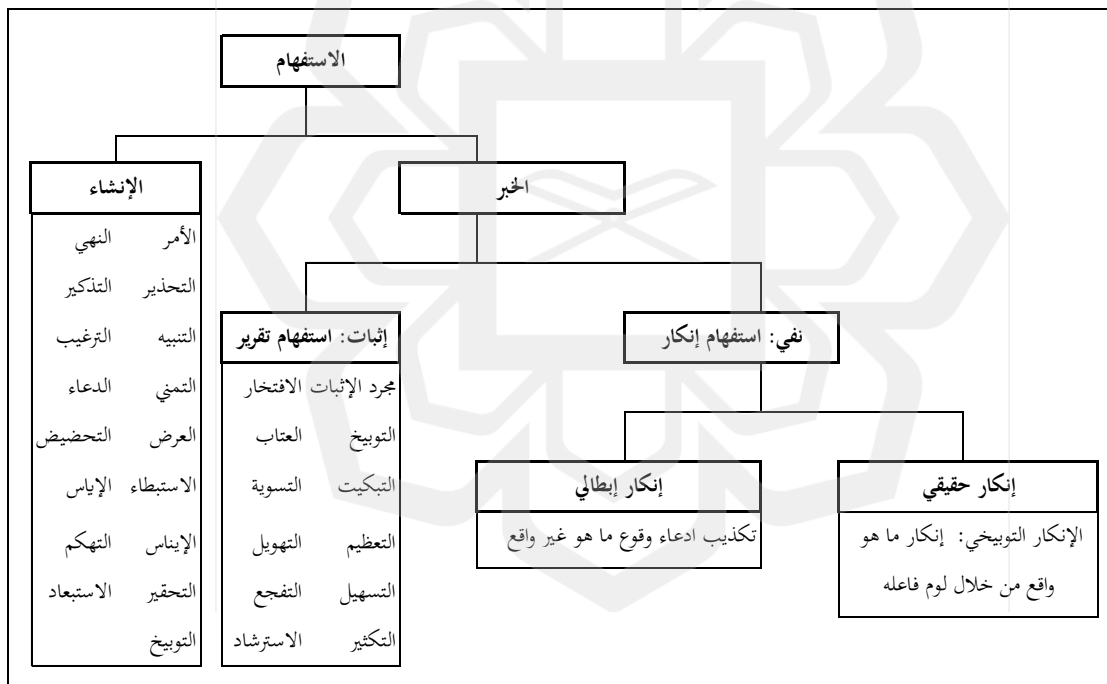
^{١٥٨} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الْإِنْسِاطِ إِلَى النَّاسِ، ٨: ٣٠ (٦١٢٩).

^{١٥٩} بن رسلان، أحمد بن حسين المقدسي الرملي، شرح سنن أبي داود، تحقيق عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، (القيوم: دار الفلاح للبحث، ٢٠١٦)، ١٩: ١٣.

^{١٦٠} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ مَسْحِ الرَّأْسِ كُلِّهِ، ١: ٨١ (٣٦١).

^{١٦١} ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١: ٢٩١.

ويُستخدم أسلوب الاستفهام أحياناً كطريق غير مباشر لنقل المعلومات أو الأخبار، على سبيل المثال، قال الله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ [النور ٢٤: ٥٠]، والواضح أن الهدف هنا الإخبار لا التساؤل عن حال المنافقين قلبياً لأن الله أعلم بحقيقتها، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإفهام، فكأن الله تعالى يعلمنا بأن في قلوبهم مرضاً، وأنهم شكوا وناققوا،^{١٦٢} وكذلك قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان ٧٦: ١]، أي قَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ...^{١٦٣} ومثال في الحديث قول النبي ﷺ: «أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ؟»^{١٦٤} مجيباً لسؤال عن الصلاة في ثوب واحد، واللفظ استخبار بمعنى إخبار عن ملك الناس ثياباً، والهدف تفهيم السائل أنه وآخرون من الناس ما لهم إلا ثوب واحد^{١٦٥}، وليس من المعقول استبعادهم من الصلاة من أجل ذلك.



الشكل ١: أقسام الاستفهام عند الإمام الزركشي

^{١٦٢} أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)، ٢:

^{١٦٣} ينظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٤: ٣٩٨.

^{١٦٤} البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصَّلَاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ مُلْتَحِفًا بِهِ، ١: ٨١ (٣٥٨).

^{١٦٥} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب الصَّلَاةِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَصِفَةِ لُبْسِهِ، ١: ٣٦٧ (٥١٥).

كما هو موضح في الشكل أعلاه، لقد قسم الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) الاستفهام إلى قسمين - الاستفهام الخبري والاستفهام الإنشائي. فأما الاستفهام الإنشائي، فيشمل ما يقصد به الأمر، أو النهي، أو التحذير، أو التذكير، أو التنبيه، أو الترغيب، أو التمني، أو الدعاء، أو العرض، أو التحضيض، أو الاستبطاء، أو الإيأس، أو الإيناس، أو التهكم، أو التحقير، أو الاستبعاد، أو التوبيخ. وأما الخبري، ففيه فرعان - إحداهما النفي، ويطلق عليه الاستفهام الإنكاري: إما إنكار حقيقي، حيث ينكر ما هو واقع من خلال لوم فاعله، أو إنكار إبطلائي، حيث يهدف الاستفهام إلى تكذيب ادعاء وقوع ما هو غير واقع في الحقيقة. وثانيهما الإثبات، ويطلق عليه الاستفهام التقريري، ويشمل ما يقصد به مجرد الإثبات، أو الإثبات مع الافتخار، أو التوبيخ، أو العتاب، أو التبكيت، أو التسوية، أو التعظيم، أو التهويل، أو التسهيل، أو التفجع، أو التكثير، أو الاسترشاد.^{١٦٦}

وتشير الدراسة في هذا القسم إلى أن الاستخدام الماهر للأسئلة يعزز القدرة على التواصل من خلال تقوية الطرق الدقيقة وغير المباشرة لنقل المعلومات والمشاعر عندما قد تبدو الطرق المباشرة قاسية أو غير مهذبة كما لوحظ في أمثلة الإنكار والتوبيخ والعتاب والنهي والاستهزاء والأمر وهلم جري، كما تشير إلى أن هناك العديد من الأهداف لطرح الأسئلة، وربما يكون هذا هو ادعاء أكثر أماناً من محاولة تحديد رقم معين. وقد يكون للسؤال نفسه عدة أهداف، والتي قد تختلف من سائل إلى آخر ومن سياق إلى آخر. وقد تحتوي بعض الأسئلة على قرائن تشير إلى هدف السائل، ولكن بالنسبة للأسئلة التي لا تحتوي على مثل هذه الأدلة، فإن أضمن طريقة لمعرفة الأهداف وراءها تعلّمها من المستجوبين أنفسهم، وإلا فسيكون هناك فرصة لسوء الفهم وسوء التفسير، وهذه الفكرة مدعومة بالمواقف حيث يقول فيها السائل أحياناً للمجيب "ليس هذا ما أسأل عنه" أو "ليس هذا ما قصدته بسؤالي" أو ما يقاربهما في المعنى، وقول المجيب للسائل "اعتقدت أنك قصدت كذا وكذا". والحاصل أن أغراض الأسئلة كثيرة وبينما

^{١٦٦} ينظر: الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة:

دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧)، ٢: ٣٢٨-٣٤٧

هو من الإمكان تحديد أغراض بعض الأسئلة بسهولة وبدقة إلى حد ما، إنه ليس كذلك لبعض إلا مع شرح السائل.

المبحث الثاني: الموقف الإسلامي من الأسئلة

هذا المبحث يتناول الموقف الإسلامي من الأسئلة من خلال تسليط الضوء على الحث والنبط بالنسبة للسؤال في الإسلام، والسعي إلى توضيح المفهومين الأبرزين عند نقاش ما يُكره في ممارسة التساؤل، وهما التكلف وكثرة السؤال. ويختتم المبحث بتقديم فهم متوازن للموقف الإسلامي تجاه الأسئلة. وعليه تم تنظيم المبحث في أربعة مطالب معنونة كالآتي:

المطلب الأول: تسليط الضوء على الحث والنبط بالنسبة للسؤال

المطلب الثاني: ما هو التكلف؟

المطلب الثالث: كثرة السؤال

المطلب الرابع: فهم متوازن.

المطلب الأول: تسليط الضوء على الحث والنبط بالنسبة للسؤال

مثل الكلام، للسؤال دور مهم في حياة البشر، وكما توجد ضوابط شرعية للكلام، نجد أيضًا ضوابط لممارسة التساؤل. فبالنسبة للكلام، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٢: ٨٣] وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء ١٧: ٥٣] وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام ٦: ١٥٢]، وفي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»،^{١٦٧} وقال ﷺ حين سئل عن النجاة: «أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^{١٦٨} وفي لفظ «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ...»^{١٦٩}، وبعدها دل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه على الأعمال التي تُدخله الجنة وتُباعده

^{١٦٧} البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، ٨: ١١ (٦٠١٨).

^{١٦٨} الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، أبواب الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، ٤: ١٨٣ (٢٤٠٦)، وقال حديث حسن.

^{١٦٩} الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، ١٧:

عن النار استمر الحديث: «... قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.»^{١٧٠}

أما الأسئلة، وهي جزء من الكلام، فإن الاطلاع على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يظهر أنها قد تُشجّع أحياناً، وقد تُثبِّط أو تُلام أحياناً أخرى، فعلى سبيل المثال، يقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ١٦: ٤٣] وأيضاً في [الأنبياء ٢١: ٨]، وجاء في القرآن أيضاً العديد من الأسئلة التي أعقبتها أجوبة الله دون لوم السائلين، مثلاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الدِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة ٢: ٢١٥]، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة ٢: ٢١٩]، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة ٢: ٢٢٠]، و﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة ٢: ٢٢٢]، و﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة ٥: ٤]، وهكذا. ومن الآيات المثبطة لطرح الأسئلة قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة ٢: ١٠٨]، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ • قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة ٥: ١٠١-١٠٢]. وفي الحديث، قد حث النبي ﷺ الجاهل على سؤال العالم، حيث قال في حديث صاحب الشَّجَّة: «أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا، إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»^{١٧١} وَقَالَ أَبُو الْعَسِيفِ الَّذِي زَنَى ابْنَهُ بِامْرَأَةٍ مُسْتَأْجَرَةٍ: «ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جُلْدُ مِائَةٍ

٢٧٠ (٧٤١).

^{١٧٠} الترمذي، السنن، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، ٤: ٣٠٨ (٢٦١٦)،

وقال حديث حسن صحيح.

^{١٧١} أبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب في المروح يتيمم، ١: ٩٣ (٣٣٦). حسنه الألباني.

وَتَغْرِيْبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا الرَّجْمَ»^{١٧٢} فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ سُؤَالُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ وَلَمْ يَعَاتِبْهُ، كَمَا طُرِحَتْ عِدَّةُ أَسْئَلَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَجَابَ بِدُونِ عِتَابِ السَّائِلِينَ كَسُؤَالِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِيْتَانِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ فَأَجَابَ قَائِلًا: «أَخْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاصَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَخْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ»^{١٧٣} وَسَأَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَسْعَدِ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَدَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْإِجَابَةِ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^{١٧٤}، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، قَالَ: "كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرْقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عَثْمَانَ، أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ قُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا، فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرْقُهُ فَقَالَ: "يَا سَلْمَانُ: أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟" قُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ قَالَ: "إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ، كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ"، وَقَالَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود ١١: ١١٤]،^{١٧٥} يُلَاحِظُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَجَّعَ سَلْمَانَ عَلَى طَرَحِ سُؤَالِهِ عَلَيْهِ ﷺ، وَفِي الْمَقَابِلِ نَجَدَ أَحَادِيثَ أُخْرَى تُثَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنْ طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: "هُيْنَا أَنَّ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ..."^{١٧٦} وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "... «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاجْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ،

^{١٧٢} البخاري، الصحيح، كتاب الأيمان والنذر، باب كيف كانت يمينا النبي ﷺ، ٨: ١٢٩ (٦٦٣٣).

^{١٧٣} البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٩: ١: ٦ (٢).

^{١٧٤} البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ١: ٣١ (٩٩).

^{١٧٥} ابن حبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، ٣٩: ١١١ (٢٣٧٠٧). وقال المحققون:

"حسن لغيره".

^{١٧٦} مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، ١: ٤١ (١٢).

وَإِذَا هَيَّئْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدْعُوهُ»^{١٧٧}، وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^{١٧٨}.

يتضح من هذا العرض الموجز أن القرآن والحديث يسيران في اتجاهين فيما يخص ممارسة التساؤل، فقد يتم التشجيع عليها أحياناً، وفي أوقات أخرى يُثَبِّط عنها أو يُلام صاحبها. لذا يمكن القول إن التساؤل أو الاستجواب مسموح به في الإسلام ضمن شروط أو إرشادات معينة، وخارج هذه الضوابط قد يصبح محظوراً أو مكروهاً أو مستوجباً للوم. ومن هنا تبرز الحاجة الملحة لفهم التساؤل من منظور إسلامي بما في ذلك فهم السبب الباعث عن التشيط عن السؤال فهماً جيداً.

التكلف وكثرة السؤال

وتكمن أهمية هذا القسم في أن الاعتدال ضروري في كل شيء، ولذا فمن المهم الحذر من الإفراط والتفريط في آن واحد. وخاصة بالنسبة للأسئلة والتساؤلات، قد يكون من التفريط أن يلتزم الجاهل الصمت، ومن الإفراط أن يطرح من الأسئلة أكثر مما يلزم لإزالة جهله. وأرى أن تناول مسألة كثرة السؤال مع التكلف سيساعد على فهم الإفراط في طرح الأسئلة بشكل أفضل.

قال القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) عند مناقشته للفظه "سأل": "وقوله: وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ فَإِنَّهَا مَسْأَلَةُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَقَدْ يَكُونُ [أَيْضاً -] مِنَ السُّؤَالِ عَنِ الْأُمُورِ وَكَثْرَةُ الْبَحْثِ عَنْهَا كَمَا قَالَ ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة ٥: ١٠١] وكما قَالَ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات ٤٩: ١٢]."^{١٧٩} وقال الإمام البخاري رحمه الله عند بداية الباب في الموضوع: "بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَغْنِيهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ

^{١٧٧} مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب فَرَضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ، ٢: ٩٧٥ (١٣٣٧).

^{١٧٨} البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَغْنِيهِ، ٩: ٩٥ (٧٢٨٩).

^{١٧٩} أبو غنيد، القاسم بن سلام البغدادي، غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان (حيدر آباد-الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤)، ٢: ٤٩-٥٠.

تُبَدِّلُكُمْ تَسْوُكُمُ ﴿ [المائدة ٥ : ١٠١] ،^{١٨٠} ثم روى في الباب تسعة أحاديث بعضها متعلق بكثرة السؤال وبعضها متعلق بتكلف السائل نفسه ما لا يعنيه وبعضها متعلق بسبب نزول الآية المذكورة في ترجمة الباب، والنقطة الجديرة بالملاحظة هي أن الإمام لخص الكراهة في نقطتين، أولاهما كثرة السؤال، والثانية التكلف، فبالتالي، إن الفهم الصحيح لهاتين النقطتين هدف مهم جدا في السعي وراء فهم الموقف الإسلامي من تساؤلات أو طرح الأسئلة.

المطلب الثاني: ما هو التكلف؟

التكلف من تكلف يتكلف تكلفاً، فالفاعل متكلف، والمفعول متكلف،^{١٨١} وقال أبو بكر الأزدی (ت. ٣٢١هـ): والكلف من قولهم: كلفَ بالشَّيءِ يكلفُ كلفاً، إذا أحبه فهو كلفٌ به. وتكلفْتُ الشَّيءَ تكلفاً، إذا تجشمته... والكلفة من التكلف. والتكلف: تكلفْتُك الشَّيءَ وتحملُك إياه.^{١٨٢} وهذا التعريف يبرز التحمل بالمشقة، ويتضمن ابن فارس (ت. ٣٩٥هـ) الولوع واهتمام المرء بما لا يعنيه بقوله: "(كلف) ... يدلُّ على إيلاجٍ بالشَّيءِ وتعلُّقٍ به... والكلفة: ما يتكلف من نائية أو حق. والمتكلف: العريض لما لا يعنيه. قال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص ٣٨ : ٨٦] ،^{١٨٣} وركز أبو عبد الله بن أبي نصر (ت. ٤٨٨هـ) على المنفعة والأمر فقال: "التكلف أصله جميع ما لا منفعة فيه أو ما لم يؤمر به بمشقة فإن كان فيه منفعة له أو لغيره أو فيما أمر به خرج عن الذم،"^{١٨٤} وقال ابن الأثير (ت. ٦٠٦هـ): "وتكلفْتُ الشَّيءَ، إذا تجشمته على مشقة، وعلى خلاف عادتك. والمتكلف: المتعريض لما لا يعنيه... وحديثُ عُمَرَ «هَيْئَةُ عَنِ التَّكْلِيفِ»^{١٨٥} أرَادَ كَثْرَةَ السُّؤَالِ،

^{١٨٠} البخاري، الصحيح، ج ٩، ص ٩٥.

^{١٨١} أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢ : ١٠١٩.

^{١٨٢} أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين،

١٩٨٧)، ٢ : ٩٦٩.

^{١٨٣} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥ : ١٣٦.

^{١٨٤} أبو عبد الله بن أبي نصر، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، تفسير غريب ما

في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، (القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٥)، ٤٨.

^{١٨٥} البخاري، الصحيح، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ٩ : ٩٥.

والبَحْثُ عن الأشياء الغامضة التي لَا يَجِبُ البَحْثُ عَنْهَا، والأخذ بِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَقَبُولُ مَا أَتَتْ بِهِ... والكَلْفُ: الوُلُوعُ بِالشَّيْءِ، مَعَ شُغْلِ قَلْبٍ وَمَشَقَّةٍ،^{١٨٦} وبالنظر إلى أن الشريعة لا تثقل كاهل الإنسان - ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢: ٢٨٦]، ولا تلزمه إلا بما ينفعه لأنها تهديه إلى الأعمال الصالحة التي هي من أسباب فلاحه في الدنيا والآخرة - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ١٦: ٩٧]، نرى أن تعريف ابن الأثير هو توسيع لتعريف أبي عبد الله بن أبي نصر.

تتمحور هذه المناقشة حول إلزام المرء بشيء ما. ومع ذلك، من المهم أن ندرك أن مصادر الإلزام متعددة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: التشريع الإسلامي، حيث يكلف الله الإنسان بأمر ما، وغير التشريع الإسلامي، حيث يكلف الشخص من نفسه أو من غيره. أوامر الشريعة الإسلامية تراعي قدرة الشخص المكلف. على سبيل المثال، يقول الإمام الطبري تعليقاً على الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢: ٢٨٦]: "إِلَّا بِمَا يَسْعُهَا، فَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهَا، وَلَا يُجْهِدُهَا"،^{١٨٧} وقال الزجاج (ت. ٣١١هـ): "أَيُّ إِلَّا قَدَرَ طَاقَتَهَا، لَا يَكْلِفُهَا فَرَضًا مِنْ فُرُوضِهِ مِنْ صَوْمٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَقْدَارِ طَاقَتِهَا"،^{١٨٨} وقال القرطبي (ت. ٦٧١هـ): "أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُ الْعِبَادَ مِنْ وَقْتِ نُزُولِ الْآيَةِ عِبَادَةً مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ أَوْ الْجَوَارِحِ إِلَّا وَهِيَ فِي وُسْعِ الْمُكَلَّفِ وَفِي مُقْتَضَى إِدْرَاكِهِ وَبَيْتِهِ".^{١٨٩} واعتبر أبو العباس (ت. ٧٥٦هـ) مفهوم المشقة في تعليقه فقال: "أَيُّ لَا يَحْمِلُهَا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا إِلَّا مَا هُوَ فِي طَوْقِهَا. وَبِهِ اسْتَدَلَّ مَنْ يَرَى تَكْلِيفَ مَا لَا يَطَاقُ. وَقِيلَ: لَا يَكْلِفُهَا إِلَّا مَا قَرَّرَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مِمَّا هُوَ فِي قَدَرَتِهَا؛ فَكُلُّ مَا قَرَّرَهُ الشَّارِعُ فَهُوَ فِي وَسْعِهَا وَإِنْ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّمَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا

(٧٢٩٣).

^{١٨٦} ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩)، ٤: ١٩٧.

^{١٨٧} الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ٥: ١٥٣.

^{١٨٨} الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ١: ٣٦٩.

^{١٨٩} القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤)، ٣: ٤٢٩.

على الخاشعين» [البقرة ٢: ٤٥]...^{١٩٠} وهذا يعني أن الأمر الذي في وسع المرء لا يستبعد بالضرورة بعض المشقة، وذلك مدعوم من خلال اعتبار الصيام مثلاً حيث يكون الشخص السليم الذي ليس في رحلة (أي، غير معذور) يواجه بعض الصعوبة في الصيام. ولذلك وصف أبو العباس ما هو الممدوح من التكلف بما يتحراه فاعله ليصير فعله سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحباً له، ثم قال: "وبهذا النظر استعمل التكليف في تكلف العبادات."^{١٩١} لذلك فإن أهم تعبير وارد في تعريفات التكلف هو "ما لم يؤمر به" كما في تعريف أبي عبد الله بن أبي نصر. فمن الواضح أن التزام المرء بما لم يؤمر به مذموم ولا سيما إذا كان الالتزام يتضمن المشقة وتعلق به مع شديد الحب. وأما إذا التزم بما هو مأمور به حبا فهو ممدوح وإن تضمن الأمر بعض المشقة. ومع ذلك فمن الجدير بالذكر أن الشريعة تبرز الملتزمين في حالات الصعوبة الشديدة أو الاستحالة مصداقاً لقوله ﷻ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢: ٢٨٦]، فبالنسبة للصيام مثلاً، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ٢: ١٨٥]، وقال فيما يتعلق بما حرم من الطعام ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة ٢: ١٧٣]، وقال ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة ٥: ٣].

ولقد أوضحت المناقشة حتى الآن التكلف في كلٍّ من ضوء الجدير بالثناء أو باللوم. والآن، أود ربط التكلف الجدير باللوم مع السؤال. وكما ذكرت آنفاً، لقد فسّر ابنُ الأثير التكلف بأنه كثرةُ السُّؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، وعليه فإن النقطة الجديرة بالانتفات في المطلب الآتي مفهوم كثرة السؤال.

^{١٩٠} أبو العباس، أحمد بن يوسف الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود،

(القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ٣: ٤١٨.

^{١٩١} المرجع نفسه.

المطلب الثالث: كثرة السؤال

وأما بخصوص السؤال، فقد ورد في حديث «رجل وجد مع امرأته رجلاً»^{١٩٢} أن عويمراً رضي الله عنه طلب من عاصم رضي الله عنه استفتاء النبي صلى الله عليه وسلم عن القضية فقال له عند رجوعه: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا"، وقال الخطابي^{١٩٣} (ت. ٣٨٨هـ) مركزاً على حاجة السائل المتعلق بالسؤال: "يريد به المسألة عما لا حاجة بالسائل إليها دون ما به إليه الحاجة، وذلك أن عاصماً إنما كان يسأل لغيره لا لنفسه فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في ذلك إثارة لستر العورات وكراهة لهتك الحرمات"، ثم أشار إلى أن المسألة في القرآن الكريم على وجهين:

١. التبيين والتعلم فيما يحتاجه الإنسان من أمور الدين أمر مباح ومطلوب، وقد وردت في ذلك عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ١٦: ٤٣]، وقوله: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَاقُرْءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس ١٠: ٩٤]، كما أوجب الله على من سُئل عن علم أن يجيب ولا يكتُم، فقال: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران ٣: ١٨٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ، أُجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{١٩٤}.
٢. ما كان على طريق التكلف والتعنت، وهذا مكروه، فإذا وقع السكوت عن جوابه فإنما هو زجر وردع للسائل؛ وإذا وقع الجواب فهو عقوبة وتغليظ. ومن أنواع الأسئلة في هذا الوجه أسئلة بني إسرائيل في قصة البقرة لما كان على سبيل التكلف لما لا حاجة بهم إليه، ومنها ما نقل أبو موسى الأصبهاني عن الحربي وصفها أنها "مسائل ذقائق لا يُحتاج إليها من غامض أمر الدين"^{١٩٥}.

^{١٩٢} البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله عَلَيْكُمْ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ الآية [النور ٢٤: ٦]، ٩٩: ٦ (٤٧٤٥).

^{١٩٣} أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، (حلب: المطبعة العلمية، ١٩٣٢)، ٣: ٢٦٣-٢٦٤.

^{١٩٤} أحمد، المسند، ١٣: ١٧ (٧٥٧١)، وقال الأرئوط وغيره: "إسناده صحيح".

^{١٩٥} أبو موسى الأصبهاني، محمد بن عمر، المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، تحقيق عبد الكريم العزباوي (جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨)، ٢: ٤٣.

ونستنتج من اعتبار الخطابي أن السؤال الجدير بالثناء مرتبط باحتياج السائل، وإلا فهو مذموم، خاصة إذا كان فيه التكلف والتعنت أو متعلق بغوامض أمور الدين. ومع ذلك، فهو يُقَصِّرُ اعتباره على أمور الدين، ولكنني أشعر أنه من المعقول أن يمتد إلى كل الأمور. ويمكن دعم هذا الرأي بما ذكره الإمام النووي (ت. ٦٧٦هـ) من معانٍ محتملة لكثرة السؤال عند شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»، وهي:

١. الْقَطْعُ فِي الْمَسَائِلِ وَالْإِكْتَارُ مِنَ السُّؤَالِ عَمَّا لَمْ يَقَعْ وَلَا تَدْعُو إِلَيْهِ حَاجَةً،
٢. سُؤَالُ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ،
٣. كَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ وَمَا لَا يَغْنِي الْإِنْسَانُ، ولكنه ضعف هذا التفسير رايًا أنه من ضمن قيل وقال،
٤. كَثْرَةُ سُؤَالِ الْإِنْسَانِ عَنْ حَالِهِ وَتَفَاصِيلِ أَمْرِهِ فَيَدْخُلُ ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ عَمَّا لَا يَغْنِيهِ،

وذكر أن كل ما يُعرف بهذه التفاسير منهي عنه في الأحاديث الصحيحة.^{١٩٦} ومن السهل ملاحظة أن كل تفسير من التفسيرات الأربعة يتضمن مفهوم الحاجة ؛ فهو مذكور بوضوح في الأول، أما في الثاني، فيمكن الاستدلال بحديث قبيصة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «لَا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَصَابَتْ مَالُهُ حَالِقَةٌ، فَيَسْأَلُ حَتَّى يُصِيبَ سَوَادًا مِنْ مَعِيشَةٍ، ثُمَّ يُمْسِكُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. وَرَجُلٍ حَمَلَ بَيْنَ قَوْمِهِ حِمَالَةً، فَيَسْأَلُ حَتَّى يُؤَدِّيَ حِمَالَتَهُ، ثُمَّ يُمْسِكُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. وَرَجُلٍ يُقْسِمُ ثَلَاثَةَ مِنْ دَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ بِاللَّهِ لَقَدْ حَلَّتْ لِفُلَانٍ الْمَسْأَلَةُ، فَمَا كَانَ سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ سُحْتٌ لَا يَأْكُلُ إِلَّا سُحْتًا»،^{١٩٧} ومن هنا نستنتج جواز التسول عند

^{١٩٦} ينظر: النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي،

١٩٧٢)، ١٢: ١١.

^{١٩٧} ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي)، كتاب الزكاة المُختَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ شَهَادَةَ دَوِي الْحِجَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هِيَ الْيَمِينُ، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمَّى الْيَمِينَ فِي اللَّعَانِ شَهَادَةً، ٤: ٦٥ (٢٣٦٠). قال الأعظمي: إسناده صحيح.

الحاجة، وفي الحديث نفسه أيضا جواز السؤال عن أخبار الناس عند الحاجة، والذي يتضمن كذلك جواز سؤال الإنسان عن حاله لأجل إثبات احتياجه لمساعدة ما، والذي لا يعد ضمن "سؤاله عما لا يعنيه"، أي السائل يسأل الإنسان عن حاله ما لا يعنيه.

وناقش ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) التساؤل على نمط بني إسرائيل مع موسى بالنسبة للتعنت والتكذيب والعناد، واعتبر ذلك منهيًا عنه، كما رأى سؤال عما لم يقع، إذ قال عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة ٢: ١٠٨] الآية: "نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة، عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾ [المائدة ٥: ١٠١] أي: وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم، ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه؛ فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة"،^{١٩٨} واستشهد بعدة أحاديث، منها حديث «أعظم المسلمين جرماً»^{١٩٩}، وحديث «رجل وجد مع امرأته رجلاً»^{٢٠٠} ورد فعله على حكم الملاعنة، وحديث النهي عن كثرة السؤال وإضاعة المال،^{٢٠١} وحديث «ذروني ما تركتكم»،^{٢٠٢} وحديث أنس «نهي أن نسأل رسول الله ﷺ»،^{٢٠٣} وختم تحليله قائلاً: "والمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ ذَمَّ مَنْ سَأَلَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، عَلَى وَجْهِ التَّعْنُتِ وَالْإِفْتِرَاحِ، كَمَا سَأَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْنُتًا وَتَكْذِيبًا وَعِنَادًا".

^{١٩٨} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١: ٣٨٠-٣٨١.

^{١٩٩} البخاري، الصحيح، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ٩: ٩٥ (٧٢٨٩).

^{٢٠٠} البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ الآية [النور ٢٤: ٦]، ٦: ٩٩ (٤٧٤٥).

^{٢٠١} البخاري، الصحيح، ٦: ٩٥ (٧٢٩٢).

^{٢٠٢} مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ٢: ٩٧٥ (١٣٣٧).

^{٢٠٣} مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، ١: ٤١ (١٢).

وبعد سرد الروايات عن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في كراهية كثرة السؤال، قال الشاطبي^{٢٠٤} (ت ٧٩٠هـ): "والحاصل أن كثرة السؤال ومتابعة المسائل بالأبحاث العقلية والاحتمالات النظرية مذموم" ثم ذكر عشرة مواضع لكراهية السؤال:

١. السؤال عما يخلو من المنفعة الدينية، كسؤال عبد الله بن حذافة: "من أبي؟"^{٢٠٥}
٢. أن يسأل بعد ما بلغ من العلم، كسؤال الرجل عن الحج. ويبدو لي كأنه يقصد بهذا طلب الإيضاح أو المزيد من التفاصيل بعد صدور الحكم.
٣. السؤال من غير احتياج إليه في الوقت، كسؤال ما لم ينزل فيه حكم. وعلق المحقق عليه في الهامش قائلاً: "هذا متعين، وإلا لمنع من تعلم العلم الزائد عما يحتاج إليه الشخص في الوقت، ولا يقول بهذا أحد."
٤. أن يسأل عن صعب المسائل وشرارها، كالأغلوطات،
٥. أن يسأل عن علة الحكم، كما في حديث قضاء الصوم دون الصلاة،^{٢٠٦}
٦. أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق،
٧. أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي،
٨. السؤال عن المتشابهات، كالسؤال عن الاستواء،
٩. السؤال عما شجر بين السلف الصالح،
١٠. سؤال التعنت والإفحام وطلب الغلبة في الخصام.

قد تكون أنواع الأسئلة السابعة والتاسع والعاشر مرتبطة بالجدال، والتي لم يتم النظر فيها صراحة من قبل أولئك الذين ذكرناهم سابقاً. ومع ذلك، قد توصف جميع أنواع الأسئلة العشرة بأنها عديمة الفائدة للسائل، باستثناء النوعين الثاني والخامس، واللذان أعتقد أنهما قابلان للنقاش، وسأعلق عليهما في نهاية المطلب التالي بعد عرض بعض المفاهيم ذات الصلة بالنقاش.

^{٢٠٤} الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، **الموافقات**، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (القاهرة: دار ابن عفا، ١٩٩٧)، ٥: ٣٧٤-٣٩٢.

^{٢٠٥} ينظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب العلم، باب الغَضَبِ فِي الْمُعْظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، ١: ٣٠ (٩٢٩).

^{٢٠٦} مسلم، **الصحيح**، كتاب الحيض، باب وَجُوبِ قَضَاءِ الصَّوْمِ عَلَى الْحَائِضِ دُونَ الصَّلَاةِ، ١: ٢٦٥ (٣٣٥).

وحلل ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الاختلاف في سبب نزول قول الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة ٥: ١٠١] الآية وخلص إلى أنه لا مانع أن تتعدّد الأسباب وأنها نزلت بسبب كثرة المسائل إمّا على سبيل الاستهزاء أو الامتحان وإمّا على سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة،^{٢٠٧} ورأى أن ظاهر الآية اختصاص المنع عن السؤال بزمان نزول الوحي ودعم رأيه بحديث «أعظم المسلمين جرماً»^{٢٠٨} وفسر ما ثبت من أسئلة الصحابة في الأحاديث النبوية قائلاً: "وأما ما ثبت في الأحاديث من أسئلة الصحابة فيحتمل أن يكون قبل نزول الآية ويحتمل أن النهي في الآية لا يتناول ما يحتاج إليه بما تقرر حكمه أو ما لهم بمعرفته حاجة راهنة"، ثم قال في الذين تعلقوا بالآية في كراهية كثرة المسائل عما لم يقع أنهم "أخذوه بطريق الإلحاق من جهة أن كثرة السؤال لما كانت سبباً للتكليف بما يشقّ فتحقق أن تجتنب"،^{٢٠٩} ونقل عن بعض الأئمة^{٢١٠} - لم يسمهم - أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين، فالمطلوب المحمود منهما يهدف إلى دخول المباحث في دلالة النص على اختلاف وجوهها وقد يكون فرضاً على القادر عليه من المجتهدين، وقال: "ومن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله ﷻ يحفظاً على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه وعن معاني السنة وما دلّت عليه كذلك مقتصر على ما يصلح للحجة منها فإنّه الذي يُحمّد ويُنتفع به". والمكروه المذموم منهما - المضيع الزمان بما لا طائل تحته، الموصوف بالتنطع - هو إما تدقيق النظر في وجوه الفروق وتفريق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع أو جمع بين المتفرقين بوصف طردّي، ومن مثاله:

١. الإكثار من التفريع على مسألة النادرة الوقوع جداً والتي لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، وصرف الزمان في غيرها أولى ولا سيما إن لزم إغفال التوسع في بيان ما يكثر وقوعه، وقال: "ومن توسّع في تفريع المسائل وتوليدها

^{٢٠٧} ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٨: ٢٨٢.

^{٢٠٨} البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكليف ما لا يغبى، ٩: ٩٥ (٧٢٨٩).

^{٢٠٩} ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١٣: ٢٦٦.

^{٢١٠} ابن حجر، الفتح، ١٣: ٢٦٧.

وَلَا سِيَّمَا فِيمَا يَقُلُّ وَثِقُوهُ أَوْ يَنْدُرُ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْحَامِلُ عَلَى ذَلِكَ الْمُبَاهَاةِ
وَالْمُعَالَبَةِ فَإِنَّهُ يَذْمُ فِعْلُهُ وَهُوَ عَيْنُ الَّذِي كَرِهَهُ السَّلَفُ،

٢. والبحث في أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها،

٣. وما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة كما جاء في حديث «لا يزال الناس

يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟»^{٢١١}

وقسم الناس إلى قسمين بالنسبة للعمل بما ورد في الكتاب والسنة والتشاغل به: واحد
منهما، مَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّخْرِيرِ فَتَشَاغُلُهُ بِذَلِكَ أَوَّلَى مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ
وَتَشَاغُلُهُ بِالْعِبَادَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي، فإنه لَوْ تَرَكَ الْعِلْمَ لَأَوْشَكَ أَنْ يُضَيِّعَ بَعْضَ
الْأَحْكَامِ بِإِعْرَاضِهِ. والآخر، مَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ قُصُورًا فَأَقْبَلَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ أَوَّلَى لِعُسْرِ اجْتِمَاعِ
الْأَمْرَيْنِ، فإنه لَوْ أَقْبَلَ عَلَى الْعِلْمِ وَتَرَكَ الْعِبَادَةَ فَاتَهُ الْأَمْرَانِ لَعَدِمَ حُصُولُ الْأَوَّلِ لَهُ وَإِعْرَاضِهِ بِهِ
عَنِ الثَّانِي.^{٢١٢}

المطلب الرابع: فهم متوازن

بعد مناقشة التكلف وكثرة السؤال، يبدو لنا أن هناك أربعة مفاهيم مترابطة يجب مراعاتها بجد
في الأمور العامة، بما في ذلك ممارسة التساؤل. والمفاهيم هي: الأمر والعناية والحاجة والمنفعة،
وإليك صور خاطفة لها:

١. الأمر: من أمر يأمر أمراً، والفاعل أمر، والمفعول مأمور، والمعنى المقصود هنا هو
طلب إيجاد الفعل،^{٢١٣} وفي سياق مناقشتنا أن يدرك المرء وينشغل فقط بما أمر
به، سواء بشكل صريح أو ضمني. ومن الواضح أنه ما أمر الناس به شرعاً فإن
فيه منفعتهم - علموه أم جهلوه - وبالتالي هم بحاجة إليه، وهو أهم ما ينبغي أن
يعنيهم. وهذا يدل على الترابط بين الأمر والعناية والحاجة والمنفعة.

^{٢١١} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَاسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا، ١: ١١٩ (١٣٤).

^{٢١٢} ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١٣: ٢٦٧-٢٦٨.

^{٢١٣} سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله
بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧)، ٢: ٣٤٨.

٢. العناية: من عني يعني عناية، والمراد به هنا القصد للشيء بانكماش فيه وحرص

عليه، كقولك عناني هذا الأمر يعني عنايةً، وأنت معني به،^{٢١٤} وبالعناية، نعني

انغماس الإنسان فيما يعنيه بدلاً مما لا يعنيه، والذي هو من وسائل تحسين دينه

كما روى أبو هريرة مرفوعاً: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَزَكُّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».^{٢١٥}

٣. الحاجة: (اسم) بمعنى ما يفتقر إليه إنسان ويطلبه أو ضروري لا بد منه ولا يمكن

استغناء عنه.^{٢١٦} وفي سياق هذا البحث، المراد بحاجة هو متابعة ما يحتاج إليه

المرء واجتنابه ما لا يحتاج إليه، خاصة في التساؤل، ككون السائل هادفاً إلى

إعنات المسؤول، والإشفاق عليه، وإدخال السأمة والملل عليه، وإغلاطه.^{٢١٧}

٤. المنفعة: من الجذر (نفع ينفع نفعاً ومنفعة)، ونفع كلمة تدل على خلاف

الضرر،^{٢١٨} ومعنى منفعة هو ما فيه الخير والصالح والفائدة،^{٢١٩} ونعني بالمنفعة قصر

سعي الشخص على ما هو مفيد له. وهذا يحدد له ما يحتاج إليه وما ينبغي أن

يهمه أو ينبغي أن يعنيه، والذي يجب عليه التمسك به بدلاً من شيء آخر.

إذا ركزنا على ممارسة طرح الأسئلة في ضوء هذه المفاهيم الأربعة، فإننا نفهم أن الإنسان

قد أُمر بالسؤال إن كان لا يعلم. ومع ذلك، يجب أن تكون الأسئلة التي يطرحها حول ما

يحتاج إليه، وبالتالي، ما هو مفيد له ويعنيه. فأما ما ورد في تحريم التساؤل، فالافتراض المعقول

أنه يتعلق بالأسئلة التي لا صلة لها بهذه المفاهيم الأربعة. مثلاً، الأسئلة المطروحة على سبيل

الأهداف الذميمة كالاستهزاء أو الإمتحان أو التعنت أو الإشفاق على المسؤول أو إدخال

الملل عليه وهكذا. فمن الحديث "هُيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ

^{٢١٤} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤: ١٤٦.

^{٢١٥} ابن ماجه، السنن، كِتَابُ الْفَتَنِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ كَفِّ اللَّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، ١: ٢٩٥ (٢١٠).

^{٢١٦} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١: ٥٧٧.

^{٢١٧} ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح رياض الصالحين، (الرياض: دار الوطن للنشر، ٢٠٠٥)، كتاب

آداب العامة، باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم، ٣: ٢١٢.

^{٢١٨} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥: ٤٦٣.

^{٢١٩} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ٢٢٥٩.

يَجِيءُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ...^{٢٢٠} يبدو كأن النهي كان مقصوراً على الصحابة الذين كانوا مع الرسول ﷺ في المدينة المنورة ولم يكن مستهجن عموماً طرح الأسئلة على النبي ﷺ لأسباب وجيهة. وإلا، لَنَصَحَ ﷺ أهل البادية الذين أتوا لاستجوابه كما نصح الذي بال في المسجد.^{٢٢١} ولقد عرف ذلك نواس بن سمعان فاختر أن لا يهاجر لكيلا تفوته فرصة المسألة، فقال: " أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ، كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ.»^{٢٢٢} أما الحكمة من هذا النهي واقتصاره على أهل المدينة، فقد يُتصور أن الصحابة كانوا يجدون متعة عظيمة في الاختلاط والتفاعل مع النبي بسبب طبيعته اللطيفة وأخلاقه الكريمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٦٨: ٤]، وكان ذلك من رحمة الله ﴿فَمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران ٣: ١٥٩]. لذلك، كان من الضروري وضع ضوابط تمنع كثرة السؤال لمجرد الحوار دون طلب العلم النافع. ومن غير المرجح أن يسافر أحد من خارج المدينة المنورة لمجرد طرح الأسئلة من أجل محادثة لا علاقة لها باحتياجاته.

يكشف النظر في المصادر الحديثية عن العديد من الأسئلة التي طرحها الصحابة على الرسول ﷺ، كما أشار إلى ذلك ابن حجر ، والذي اقترح الاحتمال أن تلك الأسئلة قد طرحت قبل نزول آية النهي أو أن الآية تستبعد مسائل التي تقرر حكمها وكانت الصحابة بحاجة إلى معرفتها. قلت: إذا نظرنا إلى هذا في ضوء المفاهيم الأربعة التي قدمناها أعلاه فإننا نؤيد الاقتراح بأن النهي في الآية تستبعد ما كان محتاجاً، ولكن يصعب إثبات حصرها في المسائل ذات الأحكام المقررة، كما يصعب إثبات وقوع الأسئلة قبل نزول الآية بالرغم من أنه اقتراح معقول، وهكذا يبدو لنا أن أسلم الافتراض هو أن النهي في الآية لم يشمل ما كان الصحابة بحاجة إلى معرفتها وإن لم تقرر أحكامها. ونجد دعماً لهذا الموقف من تعليق النووي

^{٢٢٠} مسلم، الصحيح، كتابُ الإيمان، بابُ في بيانِ الإيمانِ باللهِ وشرائعِ الدين، ٤١: ١ (١٢).

^{٢٢١} ابن ماجه، السنن، كتابُ الطَّهَّارَةِ وَسُنَنِهَا، بابُ الْأَرْضِ يُصِيبُهَا الْبُؤْلُ، كَيْفَ تُغَسَّلُ، ١٧٦: ١ (٥٢٩).

^{٢٢٢} مسلم، الصحيح، كتابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، ٤: (٢٥٥٣).

عند شرحه للحديث «إِنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^{٢٢٣} حيث رأى أن الصواب من الأقوال المتعلقة بهذا الحديث هو أنه "فِيمَنْ سَأَلَ تَكَلُّفًا أَوْ تَعَنُّتًا فِيمَا لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ سَأَلَ لِضَرُورَةٍ بِأَنْ وَقَعَتْ لَهُ مَسْأَلَةٌ فَسَأَلَ عَنْهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عُتْبَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل ١٦: ٤٣]"، وقال ابن حجر: "فَمَنْ سَأَلَ عَنْ نَازِلَةٍ وَقَعَتْ لَهُ لِضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا فَهُوَ مَعْدُورٌ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عُتْبَ فَكُلُّ مَنْ الْأَمْرِ بِالسُّؤَالِ وَالزَّجْرِ عَنْهُ مَخْصُوصٌ بِجَهَةِ غَيْرِ الْأُخْرَى".^{٢٢٥}

استنتاج منطقي من الحديث "ذروني ما تركتكم" هو أن الرسول كان يسعى لحماية أمته من الوقوع في المشقة التي قد تنشأ عن كثرة السؤال، كما حدث مع الأمم السابقة مثل بني إسرائيل. وبما أن بعض الأحكام شرعت تدريجياً كأحكام الصلاة والصيام والخمر والربا وغيرها، فيبدو أن الرسول لم يكن يفضل طرح التساؤلات قبل اكتمال تشريع الأحكام، خشية أن يضيق الناس على أنفسهم أو يتشددوا. ومن هذا المنطلق، استثمر الرسول سؤال الأقرع بن حابس عن الحج "أفي كل عام؟" لتنبية الناس إلى مخاطر الإكثار من السؤال، ولم يكن سؤاله بالذات غير ذي صلة كما لم يكن مبنياً على الأهداف المستحقة اللوم التي ناقشناها أعلاه. بدلاً من ذلك، شعر بالحاجة إلى المعرفة من أجل العمل به، فلذلك أجابه النبي ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ، لَوَجِبَتْ، ثُمَّ إِذَا لَا تَسْمَعُونَ، وَلَا تُطِيعُونَ، وَلَكِنَّهُ حَجَّةٌ وَاحِدَةٌ»^{٢٢٦}، وفي لفظ: «لَوْ قُلْتُهَا لَوَجِبَتْ، وَلَوْ وَجِبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا، وَلَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، الْحُجُّ مَرَّةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^{٢٢٧}، لذلك، ينبغي فهم تشييط النبي ﷺ عن التساؤل على أنه يقتصر على فترة الوحي عندما لم يتم إثبات معظم الأحكام بعد. وهذا بمثابة قيام ليالي رمضان جماعة، الذي أوقفه النبي ﷺ خوفاً من أن يفرض على الأمة،^{٢٢٨} وقام به المسلمون بعد فترة الوحي إلى يومنا هذا. ومن

^{٢٢٣} البخاري، الصحيح، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ٩: ٩٥ (٧٢٨٩).

^{٢٢٤} النووي، شرح صحيح مسلم، ١٥: ١١١.

^{٢٢٥} ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٣: ٢٦٨.

^{٢٢٦} النسائي، السنن، كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج، ٥: ١١١ (٢٦٢٠). صححه الألباني.

^{٢٢٧} أحمد، مسند، ٤: ٣٩٢ (٢٦٤٢). وقال المحققون: "صحيح".

^{٢٢٨} النسائي، السنن، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب قيام شهر رمضان، ٣: ٢٠٢ (١٦٠٤). قال الألباني: صحيح.

هنا يجب أن تستمر ثقافة طرح الأسئلة الجيدة بما يتماشى مع الأمر: "فاسألوا أهل الذكر"، مع مراعاة الآداب الإسلامية المتمثلة في ترك ما لا يعيننا، والسعي وراء ما نحتاج إليه مع التركيز على الاستفادة من سعيينا. قال العثيمين (ت. ١٤٢١هـ) تعليقا على النهي عن كثرة السؤال ما اعتبره مؤيدا لقولي: "ويحتمل أن يراد به كثرة السؤال عن العلم الذي لا يحتاج إليه الإنسان ولا سيما في عهد النبوة لأنه يخشى أن يسأل الإنسان عن شيء لم يحرم فيحرم من أجل مسألته أو عن شيء لم يجب فيوجب من أجل مسألته ولكن الأخير هذا يقيد بما إذا لم يحتاج الإنسان إلى السؤال فإن كان يحتاج إلى ذلك كطالب العلم الذي يسأل ويستفهم فإنه لا بأس أن يسأل ويستفهم ويزيل اللبس عن نفسه".^{٢٢٩} في هذا السياق، اعتُبرت كمحل للنقاش، حيث ذكر الشاطبي سؤالاً عن علة الحكم ضمن المواضع التي يُكره فيها السؤال، وضرب لذلك مثلاً السؤال عن قضاء الصوم دون الصلاة، يعني ما جاء في حديث معاذة: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ. فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَتُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا تُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ»"،^{٢٣٠} فإن السؤال كان بعد انقطاع الوحي وثبوت الأحكام، وليس هناك قرائن أن معاذة طرحت السؤال هادفة إلى الاستهزاء أو الإمتحان أو التعنت أو الإشفاق على أم المؤمنين وهكذا، فالأحسن إحسان الظن أنها كانت حريصة على اكتساب المعرفة لفهم دينها كما صرحت "لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ" - وكم من مستفيدين من هذا الحديث الذي روته هي؟ والجدير بالذكر في هذا السياق قول ابن عباس "بِلِسَانٍ سَوْوِلٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ" مجيباً عن السؤال "كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟" والجدير بالذكر في هذا السياق قول ابن عباس "بِلِسَانٍ سَوْوِلٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ" مجيباً عن السؤال "كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟"^{٢٣١} والذي يعني أن الطرح السؤال من السلاح الرئيسية لابن عباس في طالب العلم، فسأل واستفهم حتى حاز ما حاز من العلم الكثير. لذا، فلا حرج على طالب العلم السؤال المستفسر المستفهم.

^{٢٢٩} العثيمين، شرح رياض الصالحين، ٦: ٥٥٢-٥٥٣.

^{٢٣٠} مسلم، الصحيح، كتاب الحيض، بابٌ ومُجَوِّبٌ قَضَاءِ الصَّوْمِ عَلَى الْحَائِضِ دُونَ الصَّلَاةِ، ١: ٢٦٥ (٣٣٥).

^{٢٣١} ينظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس (بيروت:

مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣)، ٢: ٩٧٠ (١٩٠٣)

قسّم علماء مقاصد الشريعة الأمور إلى ثلاث مراتب: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات أو الكماليات. فالضروريات هي ما لا غنى عنه لمصالح الدنيا والدين، وغيابها يؤدي إلى الفساد والفوضى وضياع الحياة في الدنيا والخسارة في الآخرة. أما الحاجيات فهي ما يمكن العيش بدونها لكن مع مشقة وضيق، وتشمل الرخص التي تسهّل شؤون الدين والدنيا للمستحقين مثل المريض والمسافر والمضطر، وكذلك إباحة الصيد والتمتع بالمباحات. وأما التحسينيات فهي ما يحقق الكمال في أمور الدين والدنيا، مثل التزين وأداء النوافل وفعل الخيرات، وهي بمثابة ما يجمّل الحياة ويكمّلها.^{٢٣٢}

وبالاستعانة بهذه المصطلحات (أي، الضروريات والحاجيات والتحسينيات)، نرى أن هناك ثلاثة أنواع من الأسئلة التي لا بأس في طرحها: (١) أسئلة تتعلق بمعرفة ضرورات الشؤون الدينية والدينية، والتي سيؤدي عدم وجودها إلى الفشل في الدنيا والآخرة، (٢) أسئلة حول المعرفة التي تجعل من الأسهل نسبيًا الوفاء بالالتزامات الدينية والدينية في ظل ظروف مختلفة، وفي غيابها لا يزال من الممكن أن تستمر الحياة، ولكن مع الصعوبات، (٣) الأسئلة المتعلقة بالفضائل التي تتجاوز الضرورات التي هي تحسينات على التقوى والتعامل المناسب مع بقية الخليقة. من الواضح أن الأنواع الثلاثة من الأسئلة تؤدي إلى إجابات تعود بالفائدة على السائل. ومن ثم، فإن النقطة المتعلقة بمتابعة ما هو محتاج في الاستجواب تشمل جميع الأنواع الثلاثة من الأسئلة الموضحة، ولا تقتصر على الضرورات فقط.

المبحث الثالث: مفهوم حديث السؤال

لقد ناقشنا تعريف السؤال لغة واصطلاحاً، و لذلك سنتناول في هذا المبحث، المكوّن من مطلبين، تعريف الحديث، ثم توضيح المقصود بحديث السؤال في هذه الدراسة.

^{٢٣٢} ينظر: الشاطبي، **الموافقات**، ٢: ١٧-٢٢.

المطلب الأول: الحديث

كلمة "الحديث" في اللغة لها عدة معانٍ، ومنها كلام ويُفهم بأنه كل ما يتحدث به من كلام وخبر كقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء ٤: ١٤٠]، ومنها حُلْم كقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف ١٢: ٦]، ومنها عبرة وعظة كقوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبا ٣٤: ١٩]،^{٢٣٣} ومنها الجديد (جمع حدث) وهو نقيض القديم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء ٢١: ٢]، ومحدث يعني جديد، وكذلك تعني العبارة "بناء حديث" بناء جديد وتعني "حديث السن" صغير و"العصر الحديث" العصر الذي نعيش فيه.^{٢٣٤}

أما في اصطلاح المحدثين، فالحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو وصفاً إما خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة، سواء قبل البعثة كان أو بعدها،^{٢٣٥} وهذا التعريف يستثني الآثار المنسوبة إلى الصحابة، وهي الأحاديث الموقوفة، كما يستبعد ما أضيف إلى التابعين، أي الأحاديث المقطوعة، وبالنظر إلى هدف العام لبحثنا، من المناسب إضافة هذين النوعين من الروايات إلى الأحاديث. وذلك بسبب وجود الأسئلة والأجوبة في الروايات التي جرت إما بين الصحابة أو بين التابعين أو بين الصحابة وبين التابعين. فلذا نلتفت إلى من أدرج في تعريفه ما ينسب إلى الصحابي أو إلى التابعي^{٢٣٦} مع مراعاة التعريف الأول أيضاً، فيصبح التعريف العملي للحديث في هذا البحث:

ما أضيف إلى النبي ﷺ - سواء قبل البعثة أو بعدها - أو إلى الصحابي أو إلى التابعي من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلْقِيٍّ أو خُلُقِيٍّ.

^{٢٣٣} أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١: ٤٥٤.

^{٢٣٤} ينظر: كافي الكفاة، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤)، ٣: ٣٣-٣٤.

^{٢٣٥} ينظر: أبو الليث، محمد الخير الآبادي، علوم الحديث - أصيلها ومعاصرها، ط٧ (ماليزيا: دار الشاكر، ٢٠١١)، ٩.

^{٢٣٦} ينظر: الملا القاري، علي بن (سلطان) الهروي، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم (بيروت: دار الأرقم)، ١٥٦.

ومن هنا نعتبر تحت هذا التعريف سؤال مجاهد ابن عباس رضي الله عنه عن السجدة في سورة ص: "أَفِي ص سَجْدَةٌ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام ٦: ٨٤] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام ٦: ٩٠]، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مِنْهُمْ»، زَادَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَسَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، عَنِ الْعَوَّامِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «نَبِيُّكُمْ ﷺ مَنَّ أَمْرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ»^{٢٣٧}، وَأَيْضاً رَوَاةُ الْقَاسِمِ أَبِي بَرَّةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ: "هَلْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان ٢٥: ٦٨] فَقَالَ سَعِيدٌ: قَرَأْتُهَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا قَرَأْتُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: «هَذِهِ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةُ مَدَنِيَّةٌ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ»^{٢٣٨}، وَهَكَذَا.

المطلب الثاني: حديث السؤال

هو حديث يتضمن استدعاء لواحد على الأقل من الأشياء الخمسة التالية أو ما يؤدي إليها بشكل مباشر أو غير مباشر، وهي: الحقيقة، والمعرفة، والفهم، والمعلومة، والحكمة. ولقد تم وضع اشتقاق هذا التعريف من جزء من تعريف أبي البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ) للسؤال بأنه استدعاء معرفة أو ما يُؤدِّي إلى المعرفة^{٢٣٩} ومن الفكرة أن السؤال ممارسة معرفية هادف إلى الحصول على حقيقة ومعرفة وفهم ومعلومة وحكمة.^{٢٤٠}

المقصود بالطرق المباشرة هو الاستخدام الواضح والصريح لأدوات الاستفهام التسع،^{٢٤١} كما في البحث عن الوجود: "هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟"^{٢٤٢} والبحث عن أنواع الموجودات: "ما

^{٢٣٧} البخاري، الصحيح، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿أَوَّلِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام ٦: ٩٠]، ٥٧: ٦، (٤٦٣٥).

^{٢٣٨} البخاري، الصحيح، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٢٥: ٦٨] «الْعُقُوبَةُ»، ٦: ١١٠ (٤٧٦٢).

^{٢٣٩} أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٥٠١.

^{٢٤٠} Lani, "Why Ask," 21.

^{٢٤١} أبو الحسين، إسحاق بن إبراهيم الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفي محمد شرف (القاهرة: مكتبة

الشباب، ١٩٦٩)، ٧٥.

^{٢٤٢} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الرُّكَاةِ مِنَ الْإِسْلَامِ، ١: ١٨ (٤٦).

الإسلام؟^{٢٤٣} والبحث عن الفصل بين الموجودات: "أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟"^{٢٤٤} والبحث عن أحوال الموجودات: "كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟"^{٢٤٥} والبحث عن عدد الموجودات: "كَمْ كَانَ بَيْنَ فَرَاغِهِمَا مِنْ سَحُورِهِمَا وَدُخُولِهِمَا فِي الصَّلَاةِ؟"^{٢٤٦} والبحث عن زمن الموجودات: "مَتَى كَانَ يَقُومُ؟"^{٢٤٧}، والبحث عن مكان الموجودات: "مِنْ أَيْنَ تَأْمُرُنَا أَنْ نُهْلَ؟"^{٢٤٨}، والبحث عن أشخاص الموجودات: "مَنْ الْقَوْمُ؟ - أَوْ مِنَ الْوَفْدِ؟"^{٢٤٩} والبحث عن علل الموجودات: "لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟"^{٢٥٠}

وأما الطرق غير المباشرة، فنعني بها الأفعال أو الإيماءات أو الإشارات أو التصريحات التي لا تنطوي على الاستفهامات العادية ولكن تُفهم على أنها أسئلة. ومن أمثال الفعل أو الإيماء أو الإشارة كسؤال رواية البخاري بسنده عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَاحِبُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ أَنْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ، وَقَالَ: «أَطْنُكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟»، قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشَرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»،^{٢٥١} والشاهد

^{٢٤٣} البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، ١ : ١٩ (٥٠).

^{٢٤٤} البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟، ١ : ١١ (١١).

^{٢٤٥} البخاري، كِتَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ، ١ : ٦ (٢).

^{٢٤٦} البخاري، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ وَقْتِ الْفَجْرِ، ١ : ١١٩ (٥٧٦).

^{٢٤٧} البخاري، كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ مَنْ نَامَ عِنْدَ السَّحْرِ، ٢ : ٥٠ (١١٣٢).

^{٢٤٨} البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا فِي الْمَسْجِدِ، ١ : ٣٨ (١٣٣).

^{٢٤٩} البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَذَاءِ الْخُمْسِ مِنَ الْإِيمَانِ، ١ : ٢٠ (٥٣).

^{٢٥٠} البخاري، كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ مِنَ الْكِبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، ١ : ٥٣ (٢١٦).

^{٢٥١} البخاري، كِتَابُ الْجَزِيَّةِ، بَابُ الْجَزِيَّةِ وَالْمَوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ، ٤ : ٩٦-٩٧ (٣١٥٨).

في الحديث، قوله: " فَتَعَرَّضُوا لَهُ"، وقال ابن حجر: "أي سألوه بالإشارة"،^{٢٥٢} ولقد أدرك الرسول ذلك، وسألهم سؤالاً ليؤكد لهم أنه قد فهمهم، واستغل الفرصة ليعلمهم درساً مهماً قبل أن يمنحهم رغبتهم، ومنها حديث عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْعَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبَرًّا عِنْدَنَا، فَكِرِهْتُ أَنْ يُنْسِيَ - أَوْ يَبَيِّتَ عِنْدَنَا - فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»،^{٢٥٣} والشاهد: "رَأَى مَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ"، وفهم من ما ظهر في وجوه الصحابة سؤالاً كأنهم قالوا: "ما حملك على هذه السرعة، يا رسول الله؟" فأجاب كما في الحديث مبيناً لهم سبب سرعته.

ومن أمثال التصريحات التي لا تنطوي على الاستفهامات العادية ولكن تُفهم على أنها أسئلة حديث ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَتْ امْرَأَةٌ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَعْتَبُ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، وَلَكِنِّي لَا أُطِيقُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ» قَالَتْ: نَعَمْ.^{٢٥٤} وقد يصح أن نفترض أن المرأة لديها سؤال للنبي أو طلب لم تذكره صراحة، لكن يُفهم مما قالت، أي: هل يمكنني أن أختلع من زوجي؟ أو "ساعدني في الحصول على خلع من زوجي"، ومنها حديث أبي هريرة: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا أَجَرَ لَهُ». فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهِمَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: «لَا أَجَرَ لَهُ». فَقَالُوا: لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ: الثَّالِثَةُ. فَقَالَ لَهُ: «لَا أَجَرَ لَهُ»»،^{٢٥٥} وقول الرجل: "رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا" حذف منه ما يجعله سؤالاً أو استفهاماً، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم فهم كأنه قال "ما حال رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا؟"

^{٢٥٢} ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦: ٢٦٣.

^{٢٥٣} البخاري، الصحيح، كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب يُفَكِّرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ، ٢: ٦٧ (١٢٢١).

^{٢٥٤} البخاري، كتاب الطلاق، باب الخُلْعِ وَكَيْفَ الطَّلَاقِ فِيهِ، ٧: ٤٧ (٥٢٧٤).

^{٢٥٥} أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب فِي مَنْ يَغْزُو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا، ٣: ١٤ (٢٥١٦). وحسنه الألباني.

وفي بعض الروايات، تحدث بعض الوقائع في غياب الرسول ﷺ أو غيره، ولكن يخبر عنها لاحقاً، ومن العبارات المستخدمة هي: "فأخبرناه" أو "فأخبرته" أو "فذكرت له" أو "فذكر له" وهكذا دواليك. وفي مثل هذه الحالات، قد يكشف الفحص الدقيق للسياق أنها لم تكن مجرد معلومات تم تقديمها للغائب ولكن طُرح عليه أسئلة. ومن أمثالها حديث فاطمة بنت قيس: "أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَتَسَحَّطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»...^{٢٥٦} والشاهد العبارة "فذكرت ذلك له"، أي استفتته.

ومنها حديث شقيق عن أبي موسى الأشعري في قضية تيمم من أجنب ولم يجد ماء أو عماراً قال لعمر: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهَمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهَمَا وَجْهَهُ»^{٢٥٧}، والشاهد قوله "فذكرت ذلك للنبي ﷺ"، وعند أحمد (٢٤٨/٣٠) "فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ"، وإخباره هنا يعني سؤاله عن صحة ما فعله عمار ﷺ.

ومنها حديث أمير جيش الذي أراد أن يحرق أعضاء جيشه: "... فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^{٢٥٨}، وحديث رُقِيَّةَ سيدة قوم، الملدوغ، بعدما أبوا ضيافة الصحابي الراقي وأصحابه: "... فَجَعَلُوا لَنَا ثَلَاثِينَ شَاةً، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَأَمْسَحُ الْمَكَانَ الَّذِي لُدِغَ حَتَّى بَرَأَ، فَأَعْطُونَا الْغَنَمَ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا نَأْكُلُهَا، مَا أَذْرِي مَا الرَّفِيُّ، وَلَا أَحْسِنُ الرَّفْيَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، وَمَا عَلَّمَكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟ نَعَمْ، فَكُلُوهَا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»" أخرجه

^{٢٥٦} أبو داود، السنن، كتاب الطلاق، باب في نفقة المبتوتة، ٢: ٢٨٥ (٢٢٨٤). صححه الألباني.

^{٢٥٧} البخاري، الصحيح، كتاب التيمم، باب التيمم ضرباً، ١: ٧٧ (٣٤٧).

^{٢٥٨} البخاري، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه، ٩: ٨٨ (٧٢٥٧).

البخاري^{٢٥٩} ومسلم^{٢٦٠} والنسائي^{٢٦١} واللفظ له، وعند مسلم: "... فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا رَقِيتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ مَعَكُمْ»"، ويقع مشتقتان للكلمة "سأل" عند البخاري: "... لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ»"، وهذا مثل ما جاء في حديث سبيعة المتوفى عنها زوجها وهي حامل إذ وضعت حملها وتعلت من نفاسها وتحملت للحطاب: " فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ بَجَمَلٍ لِلْحُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ؟ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوُجِ إِنْ بَدَأَ لِي»".

ونلاحظ من هذه الأمثلة من الروايات التي استخدمت فيها مشتقات الكلمات "أخبر" و"ذكر" و"سأل" للإشارة إلى إبلاغ شخص ما حدث في غيابه، مما يدل على الاستجواب على الرغم من أن الأسئلة لم تُذكر صراحة. وفي كل من الحالات، من خلال مراقبة السياق، من الممكن إلى حد ما افتراض ماهية السؤال المحتمل.

خلاصة الفصل

لقد ناقشنا في هذا الفصل مفهوم السؤال مع الموقف الإسلامي منه، وتم تسليط الضوء على أهمية الاستجواب على جميع مستويات التنظيم البشري، وقدّمنا عرضًا موجزًا للمصطلحات "السؤال" و"التساؤلات" و"الاستجواب" واعتمدنا المعنى العام للاستجواب بدلًا من تقييد الاستخدام القانوني. وعلاوة على ذلك، ناقشنا العلاقة بين المصطلحات وثيقة الصلة: الطلب

^{٢٥٩} البخاري، كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ٧: ١٣١ (٥٧٣٦).

^{٢٦٠} مسلم، الصحيح، كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ جَوَازِ اخْتِذَاكَ الْأَجْرَةَ عَلَى الرُّقِيَةِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَذْكَارِ، ٣: ١٧٢٧ (٢٢٠١).

^{٢٦١} أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي (بيروت:

مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، كتاب عمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، باب مَا يَقُولُ عَلَى الْمَلْدُوحِ، وَذِكْرُ الْإِخْتِلَافِ عَلَى أَبِي بَشِيرٍ

جَعْفَرِ بْنِ إِيَّاسٍ فِي ذَلِكَ، ٩: ٣٧٧ (١٠٧٩٩).

والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام، وعلى الرغم من أنها قد تُعتبر أحياناً مرادفات، فقد لاحظنا أن الترتيب الذي سردناه هنا جرى من الأعم – أي، الطلب – إلى الأخص، وهو الاستعلام. وفيما يتعلق بأهداف الأسئلة، رأينا أن الأسئلة تُستخدم في نقل أنواع مختلفة من المعلومات والمشاعر إلى جانب البحث عن إجابات، مما يجعل الاستجواب الجيد مقوياً للتواصل. وفيما يتعلق بالموقف الإسلامي من الأسئلة، هناك أسئلة تستحق الإشادة، مثل تلك التي تهدف إلى طلب المعرفة بأمور مأمور بها أو الأمور التي يحتاج السائل إليها – وتشمل الضروريات والحاجيات والتحسينيات، أو الأمور التي تعنيه، أو الأمور التي تُرد عليه النفع. والأسئلة المستحقة اللوم والنبط، فهي ذات أهداف معاكسة للأهداف المذكورة آنفاً أو المطروحة استهزاءً أو امتحاناً أو تعنتاً أو شاقاً على المسؤول وما إلى ذلك من الأهداف الذميمة. واختتم الفصل بعرض لمفهوم حديث السؤال، حيث تم تقديم تعريف عملي للحديث لهذا البحث كمزيج من التعريف الذي يقتصر على الروايات المنسوبة للنبي ﷺ والذي يتضمن ما ينسب إلى الصحابة والتابعين، ثم تابعه بتعريف حديث السؤال في ضوء الأسئلة المباشرة وغير المباشرة.

الفصل الثالث

العلاقة بين الأسئلة والمعرفة والتفكير

يركز هذا الفصل على استكشاف العلاقة بين التساؤل والمعرفة والتفكير، وتبسيط الضوء عليها. وقد أوضحت الفصول السابقة بجلاء مدى الارتباط بين التساؤل والمعرفة، كما تكرر ذكر الأمر القرآني بسؤال أهل العلم عند الجهل، فضلاً عن إبراز دور التساؤل في تحفيز التفكير وتوجيهه نحو اتجاهات عديدة ولأغراض عديدة.^{٢٦٢} وإن المعرفة الخلفية تساعد في التفكير والفهم بطرق مختلفة، وتتجلى أهمية المعرفة في الفهم والتفكير من خلال الأسئلة التي نطرحها أثناء المحادثات وجلسات الفصل والمحاضرات وما إلى ذلك. منطقياً، يُسهم التساؤل في اكتساب المعرفة، والمعرفة – خاصة المعرفة الأساسية (أو الخلفية) – تعزز التفكير، وبالتالي، فإن التساؤل، من خلال دوره في اكتساب المعرفة، يعزز التفكير أيضاً، وهكذا يتضح أن هناك علاقة بين التساؤل وبين المعرفة كما توجد بينه وبين التفكير.

أما بالنسبة للعلاقة بين المعرفة والتفكير، فإن الملاحظ أن التفكير لا يحدث في فراغ، بل يستند عادةً إلى شيءٍ معلوم، وأنّ حيازة قدر كافٍ من المعرفة تؤدي إلى تحسين مهارات التفكير وتسهيل التعلم وتعزيز العمليات المعرفية نحو حل المشكلات والتفكير المنطقي، وكلما زاد ثراء المعرفة الخلفية، زادت سلاسة وفعالية هذه العمليات المعرفية، والمعرفة تجلب المزيد من المعرفة من خلال تمكين العارف من اكتساب معلومات جديدة والتفكير فيها وتذكرها.^{٢٦٣}

ولإيضاح كيفية إسهام المعرفة في الحصول على معلومات جديدة، يُقال إن الفهم يعتمد على تقديم استنتاجات صحيحة، لكن هذا معتمد على المعرفة الخلفية للشخص كما يمكن ملاحظته في قدرته على قراءة النصوص وفهمها،^{٢٦٤} ومن خلال المعرفة العامة الثرية، من المرجح

²⁶² Paul and Elder, "Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning", 36-37.

²⁶³ Daniel T. Willingham, "How knowledge helps," *American Educator* 30, no. 1: (2006): 30-37.

²⁶⁴ George J. Kosmoski, Geneva Gay, and Edward L Vockell, "Cultural Literacy and Academic Achievement," *Journal of Experimental Education* 58, no. 4 (1990): 265-272.

أن يكون لديه المعرفة اللازمة لإجراء الاستنتاجات اللازمة لفهم النص، ونادراً ما يضطر إلى مقاطعة القراءة من أجل البحث بوعي عن روابط في النص للمساعدة في فهمه.^{٢٦٥}

وفيما يتعلق بالتفكير في المعلومات الجديدة، يقول الخبراء أنها تحدث في الذاكرة العاملة (working memory)، وهي نظام معرفي بمساحة محدودة يمكنها الاحتفاظ بالمعلومات مؤقتاً،^{٢٦٦} والتي وفقاً لرأي علماء الإدراك، مهمة للتفكير والاستدلال وتوجيهات اتخاذ القرار والسلوك.^{٢٦٧}

وتتيح المعرفة الخلفية إمكانية تنظيم المعلومات وتجميعها في الذاكرة العاملة مما يسهل استرجاع المعلومات وتحرير مساحة للتفكير في المعلومات الجديدة،^{٢٦٨} وتساعد هذه الميزة أيضاً في حل المشكلات لأن نقص المعرفة الخلفية الكافية يؤدي إلى بذل جهد لفهم المشكلة لاستهلاك معظم الذاكرة العاملة دون ترك مساحة للنظر في الحلول.

وتساعد المعرفة أيضاً في تعلم معلومات جديدة وتذكرها كما يمكن ملاحظته من سهولة حفظ المواد الجديدة عندما يكون لدى المرء بالفعل بعض المعرفة المتعلقة بها.^{٢٦٩}

والشخص الذي يمتلك ثروة شبكة ارتباطات العناصر متمتع بذاكرة قوية، إذ من المرجح أن يتذكر المواد الجديدة إذا كانت مرتبطة بما هو موجود بالفعل في ذاكرته. ومن الصعب تذكر المعلومات حول موضوع جديد تماماً لأنه لا توجد شبكة حالية في ذاكرة الشخص يمكن ربط المعلومات الجديدة بها. لكن تذكر معلومات جديدة حول موضوع مألوف أمر سهل نسبياً لأن تطوير الارتباطات بين الشبكة الحالية والمواد الجديدة أمر سهل.^{٢٧٠، ٢٧١} لذلك، المعرفة تحسن التفكير بطريقتين: أولاً، تساعد في حل المشكلات عن طريق تحرير مساحة في الذاكرة العاملة. ثانياً، تساعد في التحايل على التفكير من خلال التصرف كمصدر جاهز للأشياء التي فكر

²⁶⁵ Johanna K. Kaadinen, Jukka Hyona, and Janice M. Keenan, "How prior knowledge, WMC, and relevance of information affect eye fixations in expository text," *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 29, (2003): 447-457.

²⁶⁶ Priti Shah and Akiya Miyake, "Models of Working Memory: An Introduction," Chapter, in *Models of working memory: Mechanisms of Active Maintenance and Executive Control*, edited by Akira Miyake and Priti Shah, 1-27, (Cambridge University Press, 1999). ISBN 978-0-521-58325-1.

²⁶⁷ Adele Diamond, "Executive functions," *Annual Review of Psychology* 64, (2013): 135-68..

²⁶⁸ Donna R. Recht and Lauren Leslie, "Effect of prior knowledge on good and poor readers' memory of Text," *Journal of Educational Psychology* 80, (1988): 16-20.

²⁶⁹ Tannis Y. Arbutle, Virginia F Vanderleek, Mary Harsany, and Steven Lapidus, "Adult age differences in memory in relation to availability and accessibility of knowledge-based schemas," *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 16, (1990): 305-315.

²⁷⁰ Carol H. Walker, "Relative importance of domain knowledge and overall aptitude on acquisition of domain-related information," *Cognition and Instruction*, 4, (1988): 25-42.

²⁷¹ Recht and Leslie, "Effect of Prior Knowledge", 1988.

بما الشخص بالفعل، ويجب على الشخص الذي لا يعرف حل مشكلة ما أن يفكر في الأمر في كل مرة يواجهه، لكن الشخص الذي يعرف الحل لا يحتاج إلى التفكير فيه إلا قليلاً. لقد أظهر هذا التمهيد الموجز الارتباط الوثيق بين التساؤل وبين المعرفة والتفكير. وفي المطالب الثلاثة الآتية، سيتم التركيز على التفكير النقدي والاستقلال التفكير والإبداع في ضوء الارتباط بينها وبين المعرفة بشكل عسى أن يوضح المفاهيم قبل النظر إلى الأسئلة المتعلقة بها الواردة في الأحاديث في الفصل القادم. والمطالب الخمسة الأخيرة تتناول التفكير ونظريات التعلم، والتفكير ذو المرتبة السافلة والتفكير ذو المرتبة العالية، وتصنيف الأسئلة حسب مستويات التفكير التي تثيرها، ونقد التصنيفات المتسلسلة، وتصنيف غير هرمي.

المطلب الأول: نظرية التفكير النقدي

يهدف هذا المطلب إلى تقديم لمحة موجزة عن نظرية التفكير النقدي بالاستناد إلى ركنيها الرئيسين: "التفكير" و"النقدي". وتبدأ المعالجة بعرض سريع لهذين المفهومين، ثم تنتقل إلى استعراض أبرز التعريفات المتداولة للتفكير النقدي، مع التركيز على النقاط المشتركة والعناصر الأساسية التي تشكّل قوام هذه التعريفات. ويأتي ذلك إلقاء الضوء على دور الأسئلة في صوغ التفكير النقدي، ثم بيان علاقته بما يُعرف بـ"كمال الفكر". وسيختتم المطلب بالنظر في مفهوم كمال الفكر من منظور إسلامي، بما يوضح أبعاد التفكير النقدي في سياق الثقافة العربية الإسلامية.

أ - التفكير

التفكير اسم، من (فَكَرَّ يَفْكُرُ تَفْكُيراً)، ويقال فَكَّرَ فلانٌ بمعنى مارس نشاطه الذهني، وفَكَّرَ في الأمر أو تَفَكَّرَ فيه إذ تأمَّله أو تدبره، أيّ أعمل عقله أو خاطره فيه هادفاً إلى الوصول إلى نتيجة أو حلٍّ أو قرار.^{٢٧٢} وقيل التَّفَكُّر هو "تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب"،^{٢٧٣} والتفكر إعمال العقل أو الذهن على المعلومات المدركة أو المحسوسة في استنباط

^{٢٧٢} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٧٣٣.

^{٢٧٣} ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة)، ١٤٢.

أو استخراج معان غائبة عن النظر المباشر،^{٢٧٤} ويشمل أعمال الذهن أو العقل في تكوين وترتيب عملية حل المشكلات أو الوصول إلى قرار خاصة عند مواجهة خيارات عديدة ممكنة. ولقد ورد في عدة آيات القرآنية العبارة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،^{٢٧٥} ووصف الله الذين يستفيدون من آياته بأنهم أولوا الألباب، أي ذوو العقول الذين يذكرونه دائماً ويتفكرون في المخلوقات بشكل يائثر في إيمانهم به عَلَيْكَ إِيجَابِيًّا.^{٢٧٦} وسبب تبين وتفصيل الآيات للناس وضرب لهم الأمثال وتقديم القصص هو دعوة لهم للتفكير - ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.^{٢٧٧} والتفكير الخاطيء بمثابة عدم التفكير أو غيابه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٦: ٥٠]، وفي الآية الاستفهام الإنكاري يعني لا يستوي الضال والمهتدي، أو المسلم والكافر أو من اتبع ما أوحى إليه ومن لم يتبعه، والكلام تمثيل أفلا تتفكرون في ذلك حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما، فإنه بين، لا يلتبس على من له أدنى عقل وأقل تفكير.^{٢٧٨}

ب - النقدي

والنقدي اسم منسوب إلى النقد من (نَقَدَ يَنْقُدُ نَقْدًا)، والذي يدل على عدة معاني - نَقْدَ العملة: مِيزَها أو فرزها أو فصلها وفحصها ليعرف جيّدَها من رديئِها، ونَقْدَ الدراهم كشف عن حالها جودةً أو غير ذلك أو تمييزها وإخراج الزيف منها، ويقال درهمٌ نَقْدٌ إن كُشف عن حاله وعُلم، وعلى هذا المعنى يقال عامةً "نَقْدُ الشَّيْءِ" بمعنى بيّنَ حسنَه وِردِيئَه، أظهر عيوبه ومحاسنه، و"نَقْدُ النَّاسِ" بمعنى أظهر ما بهم من عيوب. ونَقْدَ فلانا مالاً: أعطاه إيّاه. وبنفس معنى في سياق التجارة يدل على خلاف النسيئة حيث يقال نَقْدَ التَّاجِرِ الثَّمَنَ (أو نَقْدَ للتاجر الثَّمَنَ)، أي أعطاه إيّاه نَقْدًا معجلاً كما جاء في حديث جابر وجملته: "فنقدني ثمنه".^{٢٧٩} وأحياناً، يأتي

^{٢٧٤} انظر: الهذيلي، ماجد بن محمد بن علي، مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، إشراف: محمد

بن حسين بن أحمد (الشاملة الذهبية: ٢٠١١-٢٠١٢)، ١٧.

^{٢٧٥} [الرعد ١٣: ٣]، و[الروم ٣٠: ٢١]، و[الزمر ٣٩: ٤٢]، و[الجنّة ٤٥: ١٣].

^{٢٧٦} انظر: [آل عمران ٣: ١٩٠-١٩٤].

^{٢٧٧} انظر: [الأعراف ٧: ١٧٦]، و[النحل ١٦: ٤٤]، و[الحشر ٥٩: ٢١].

^{٢٧٨} محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٤)، ٢: ٣٥.

^{٢٧٩} مسلم، الصحيح، كتابُ المُسَاقَاةِ، بابُ بَيْعِ البَعِيرِ وَاسْتِثْنَاءِ رُكُوبِهِ، ٣: ١٢٢١ (٧١٥).

"نقد" بمعنى "لدغ" كقولهم "نقدته الحية"، أي لدغته. وإذا لم يزل فلان ينظر إلى شيء يقال ما زال ينقده.^{٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢} وعليه، فالمعنى المرتبط بهذه الدراسة هو ما يدل على التمييز بين الجيد (أو الحسن) والرديء (أو الفاسد) بحيث يُفهم التفكير النقدي، كما سنرى قريباً، على أنه نوع من التفكير الذي من بين خصائصه هذه الخاصية.

ج - التفكير النقدي بالتركيب

ولقد تم الاعتراف بمنهجية طرح الأسئلة التي استخدمها سقراط في تحدي الافتراضات، وكشف التناقضات، والسعي إلى اكتساب المعرفة والحكمة الجديدة، وتبسيط الضوء على الحاجة إلى التفكير من أجل الوضوح والاتساق المنطقي بأنها أقدم سجل المتاح للتفكير النقدي^{٢٨٣}، وحتى الآن (أي ٢٠٢٤م) تدور برامج التفكير النقدي للمعلمين والمدارس حول موضوعات التساؤلات السقراطية، ولا تزال تظهر مقالات بحثية حول التفكير النقدي في مختلف المجالات. وبالرغم من ذلك، يُنسب أول استخدام المصطلح إلى جون ديوي "John Dewey" في العام ١٩١٠م عندما أطلق عليه مصطلح التفكير التأملي والذي يعتبر مرادفاً للتفكير النقدي،^{٢٨٤} وعرفه بأنه: "اعتباراً نشطاً ومستمر ومتأن لأي معتقد أو شكل مفترض للمعرفة في ضوء الأسس التي تدعمه والاستنتاجات المزيّدة أو الإضافية التي تميل إليها."^{٢٨٥}

ومنذ ذلك الحين، تم اقتراح تعريفات مختلفة لهذا المصطلح. وفي الواقع، يعتبر التفكير النقدي مصطلحاً واسعاً يتم تطبيقه بشكل مختلف على العديد من التخصصات.^{٢٨٦} ويقدم (إينيس "Ennis"، ٢٠١٦) سبعة عشر تعريفاً للمصطلح منها أربعة عشر ذات توجه فلسفي

^{٢٨٠} ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥: ٤٦٧-٤٦٨.

^{٢٨١} ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب،

ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤)، ٣: ٤٢٥-٤٢٦.

^{٢٨٢} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ٢٢٦٤.

²⁸³ David Hitchcock, "Critical Thinking," *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2022 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.).
<https://plato.stanford.edu/cgi-bin/encyclopedia/archinfo.cgi?entry=critical-thinking>. (Retrieved 4 Nov 2022).

²⁸⁴ Hitchcock, "Critical Thinking," 2022.

²⁸⁵ John Dewey, *How We Think*. Boston: (D. C. Heath, 1910), 6.

²⁸⁶ Leila Christenbury and Patricia Kelly. *Questioning: A Path to Critical Thinking*, (ERIC, 1983), 1. ED226372. <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED226372.pdf> (Retrieved 17 Nov 2022).

بما في ذلك التعريف أعلاه والثلاثة المتبقية هي تعريفات قاموسية، ويخلص إلى أن التعاريف جميعها أوصاف مختلفة لنفس المفهوم الأساسي، والتي تشير إلى اتفاق قوي بين التيار الرئيسي للمجتمع في هذا المجال وبين عامة الناس حول ماهية التفكير النقدي.²⁸⁷ وعند إلقاء نظرة فاحصة على التعريفات المقدمة، أتفق مع تقييم إينيس "Ennis" للتعريفات. في الواقع، هو نفسه يعرف التفكير النقدي بأنه التفكير التأملي: "التفكير التأملي المعقول الذي يركز على تقرير ما يجب تصديقه أو فعله" (إينيس "Ennis"، ١٩٨٧)، وهو ما يتفق بوضوح مع تعريف ديوي "Dewey" أعلاه. أيضاً، يعرف (ليمان "Lipman"، ١٩٨٨) المصطلح بأنه "تفكير ماهر ومسؤول يؤدي إلى الحكم الجيد لأنه حساس للسياق، ويعتمد على المعايير، ويصحح نفسه بنفسه". وألاحظ أن التفكير المصحح للذات يجب بالضرورة أن يختبر نفسه طلباً لأخطائه من أجل التصحيح للتحسين، وذلك في الأساس عملية انعكاسية. وفي الواقع، إذا اعتبرنا التعريفات المختلفة للتفكير النقدي وركزنا على الأفكار الأساسية المنقولة، يظهر التكافؤ بينها بوضوح. فعلى سبيل المثال، نستخلص "دراسة متأنية لأي معتقد أو شكل من أشكال المعرفة من حيث أساسه واستنتاجاته" من (ديوي "Dewey"، ١٩١٠)، ونلاحظ أنه ما لم يُنقل صراحةً في هذا التعريف، وإن كان ضمناً، هو الهدف من الاعتبار، وهو الوصول إلى الحكم على الاعتقاد أو شكل المعرفة. والفكرة الأساسية في (سكريفين وبولس "Scriven and Paul"، ١٩٨٧) هي "عملية منضبطة فكرياً كدليل للاعتقاد والعمل". يجب أن تكون العملية المنضبطة فكرياً بالضرورة حذرة ويجب أن يكون الاعتقاد والفعل حول ادعاء ما في شكل اعتقاد أو شكل من أشكال المعرفة. وبالتالي، من السهل رؤية التكافؤ التقريبي بين هذه الفكرة الأساسية والفكرة المنقولة من (ديوي "Dewey"، ١٩١٠) أعلاه. وينطبق هذا التحليل أيضاً على الفكرة الأساسية المنقولة من تعريف (فيشر وسكريفن "Fisher and Scriven"، ١٩٩٧)، وهي "دليل للفكر والعمل".

والفكر المستخرج من تعريف (إينيس "Ennis"، ١٩٨٧) هو "تفكير تأملي معقول لتقرير ما يجب تصديقه أو فعله"، وفقط من خلال تسميته التفكير التأملي يظهر أنه يعني نفس

²⁸⁷ Robert H. Ennis, "A Three-Dimensional Analysis with Bearing on Key Concepts. In Patrick Bondy and Laura Benacquista (eds.), *Argumentation, Objectivity, and Bias: Proceedings of the 11th International Conference of the Ontario Society for the Study of Argumentation (OSSA)*, 18-21 May 2016, Windsor, ON (pp. 1-19) OSSA.

الشيء مثل (ديوي "Dewey"، ١٩١٠)، والعبارة "تقرير ما يجب تصديقه أو فعله" يعني نفس الشيء كالعبارة "اتخاذ قرار بشأن الإيمان والعمل" المستخرج من تعريف سكريفن وبول "Scriven and Paul" (١٩٨٧) مما يوضح التكافؤ بين مصدري استخراج العبارتين. وأيضًا، كلمة "معقول" تعني الحكم السليم، وهو "القدرة على تقييم المواقف أو الظروف بموضوعية باستخدام جميع المعلومات ذات الصلة وتطبيق الخبرات السابقة من أجل التوصل إلى نتيجة أو اتخاذ قرار". وبالتالي، فإن وصف التفكير بأنه معقول يعني أن المفكر يسعى إلى استخدام الموارد المتاحة بشكل صحيح بهدف الوصول إلى نتيجة أو قرار، مما يجعل العملية دليلًا للاعتقاد والعمل، ومن ثم، فإن التكافؤ مع العبارة "عملية الوصول إلى حكم منطقي" المستخرجة من (بيلين وبتيرسي "Bailin and Battersby"، ٢٠١٠)، و"التفكير الذي يحرك المفكر بأسباب" من (سيجيل "Siegel"، ١٩٨٨)، و"توفير أسباب وجيهة للمعتقدات والقيم والأفعال" من (بوسين "Possin"، ٢٠٠٢)، و"التحقيق والحجة المعقولة" من (كوهن "Kuhn"، ٢٠١٥).

والفكرة الأساسية المأخوذة من (ليمان "Lipman"، ١٩٨٨) هي "التفكير الذاتي التصحيحي المؤدي إلى الحكم الصائب"، والملاحظ هو أنه يجب أن يفحص التفكير المصحح للذات نفسه بالضرورة طلبًا لأخطائه من أجل إجراء التعديلات، وهي في الأساس عملية عاكسة، مما يشير إلى التكافؤ مع (ديوي "Dewey"، ١٩١٠) وبالتالي، مع جميع التعاريف أعلاه. والفكرة الأساسية المستخرجة من (فاسيون "Facione"، ١٩٩٠) هي أن التفكير النقدي حكم التنظيم الذاتي. أي التفكير القادر على التحكم أو تعديل نفسه من أجل التحسينات. وبالتالي، فهو يكافئ تقريبًا التفكير التصحيحي الذاتي أو التفكير التأملي. ومن (هاتشر وسبينسار "Hatcher and Spencer"، ٢٠٠٦) الفكر الأساسي هو أن التفكير النقدي محاولات للوصول إلى حكم على أساس الأدلة والحجج المتاحة، أي السعي إلى الحكم الصحيح عن طريق الاستدلال من خلال الأدلة والحجج المتاحة، وهي عملية تتطلب الحذر واليقظة للأخطاء، والتي سيتم تصحيحها عندما وجدت. ومن ثم، يمكننا أن نستنتج أنه ينطوي على التفكير التأملي، وبالتالي يتكافؤ مع أفكار (ديوي "Dewey"، ١٩١٠). ويبدو أن الفكرة الأساسية "الحكم الحذر سواء بقبول أو رفض أو تأجيل القرار بشأن ادعاء" المستخرجة من (مور وباركر "Moore and Parker"، ٢٠١٤) تدخل أيضًا في التكافؤ بسبب العبارة "الحكم الحذر". ويرى

(هيتشكوك "Hitchcock"، ٢٠٢٢) أن المفهوم الأساسي في تعريفات التفكير النقدي هو "التفكير الدقيق الموجه نحو الهدف".^{٢٨٨}

د - التفكير النقدي من حيث الأسئلة

وقد عبر الباحثون عن التفكير النقدي من خلال الأسئلة والتساؤلات. على سبيل المثال، ترى الباحثتان (كريستينبوري وكيلى "Christenbury and Kelly"، ١٩٨٣) أنه غالباً ما يكشف طرح الأسئلة والإجابات عنها عن أفكار المفكر ومشاعره له وكذلك للآخرين، وبالتالي يساعد في توضيح وجهات نظره وتركيز فكره، ثم قدما مناقشة تشير إلى أن التفكير النقدي هو: عملية فكرية مستهلة من خلال الأسئلة وهادفة إلى دمج محتوى نص أو كلام، وتجربة القارئ أو المستمع، وتجربة الآخرين في كلٍ (أو كيان) متناغم.^{٢٨٩}

ولقد قدم (براون وكيلى "Browne and Keeley"، ٢٠٠٧) وصفاً للتفكير النقدي من حيث الأسئلة بأنه: "الوعي بمجموعة من الأسئلة الحرجة بالإضافة إلى القدرة والاستعداد لطرحها والإجابة عليها في الأوقات المناسبة محاولة للوصول إلى قرارٍ شخصيٍّ بشأن قيمة ما تم الاستماع إليه أو قراءته، حيث تهدف الأسئلة إلى الكشف عن معلومات مهمة كالتضايات المعترية، والاستنتاجات وأسسها، والكلمات أو العبارات الغامضة، والافتراضات، والمغالطات في الاستدلال، وصحة وموثوقية الأدلة والإحصاءات، وحذف المعلومات المهمة، والاستنتاجات المعقولة الممكنة، وهكذا".^{٢٩٠}

ه - التفكير النقدي من حيث كمال الفكر

ووفقاً ل(بولس وبلينكر "Paul and Binker"، ١٩٩٠)، يصل الفكر إلى الكمال عندما يمتلك خصائص مثل الوضوح، والدقة، والخصوصية، والضبط، والملاءمة، والاتساق، والمنطقية،

²⁸⁸ Hitchcock, "Critical Thinking," 2022.

²⁸⁹ Christenbury, Leila and Kelly, Patricia. Questioning: A Path to Critical Thinking (ED226372). ERIC. (1983). <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED226372.pdf> (Retrieved 17 Nov 2022).

²⁹⁰ Neil M. Browne and Stuart M. Keeley, *Asking the Right Questions: A Guide to Critical Thinking*, (Pearson Education Inc., 2007), 2-3.

والعمق، والاكتمال، والأهمية، والإنصاف، والكفاية للغرض. ويتطلب اكتساب هذه الخصائص بعض السيطرة على عناصر الفكر، والتي تشمل فهمًا وقدرة على صياغة وتحليل وتقييم:

١. المشكلة المعتبرة أو السؤال المطروح،
٢. الغرض أو الهدف من التفكير،
٣. الإطار المرجعي أو وجهات النظر المورطة،
٤. الافتراضات المقدمة،
٥. المفاهيم والأفكار المركزية المورطة،
٦. المبادئ أو النظريات المستخدمة،
٧. الأدلة أو البيانات أو الأسباب المتقدمة،
٨. التفسيرات والادعاءات المقدمة،
٩. الاستدلالات والمنطق وخطوط التفكير المصاغ،
١٠. الآثار والنتائج الناتجة عن الفكر.

وعرّف التفكير النقدي من حيث كمال الفكر بأنه: التفكير المنضبط والموجه ذاتيًا والذي يجسد إتقان التفكير المناسب لنمط معين أو مجال فكري معين.^{٢٩١}

وصنفا التفكير النقدي إلى فئتين: واحد منهما التفكير النقدي السفسطائي أو بالمعنى الضعيف، وهو التفكير المنضبط لخدمة مصالح فرد أو مجموعة معينة، مع استبعاد الأشخاص والمجموعات الأخرى ذات الصلة، والآخر التفكير النقدي المنصف أو بالمعنى القوي، والذي يكون منضبطاً لمراعاة مصالح مختلف الأشخاص أو المجموعات. ويقترح أن ذلك أنه من أجل أن يصبح المرء مفكراً نقدياً بالمعنى القوي، فبالإضافة إلى عناصر الفكر، هناك سمات ذهنية يجب تنميتها، ومنها:

١. التواصل الفكري، وهو وعي المفكر بحدود معرفته ووجهات نظره وحساسيته تجاه الأنانية،

²⁹¹ Richard W. Paul, and Binker, A. J. A., *Critical Thinking: What Every Person Needs to Survive in a Rapidly Changing World*, (ERIC, 1990) (ED338557).
<https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED338557.pdf> (Retrieved 12 Apr 2021).

٢. الشجاعة الفكرية، وهي الرغبة في مواجهة وتقييم الأفكار أو المعتقدات أو وجهات النظر التي لم يتم أخذها في الاعتبار بجدية بغض النظر عن ردود الفعل السلبية القوية،
٣. التعاطف الفكري، أي، اعتراف المفكر بالحاجة إلى وضع نفسه بشكل خيالي في مكان الآخرين لفهمهم حقًا،
٤. حسن النية الفكرية (النزاهة)، أي، إدراك الحاجة إلى أن يكون صادقًا مع تفكيره والحفاظ على الاتساق في المعايير الفكرية الصارمة للأدلة والإثبات الذي يتوقعه من الجميع بما في ذلك هو نفسه،
٥. المثابرة الفكرية، أي، الاستعداد لمتابعة الأفكار والحقائق الفكرية على الرغم من الصعوبات والعقبات والإحباطات،
٦. التصديق بالعقل، أي، الثقة بأن المصالح العليا للفرد ومصالح الجنس البشري بشكل عام ستُخدم على المدى الطويل بشكل أفضل من خلال منح العقل حرية أكبر وتشجيع الناس على التوصل إلى استنتاجاتهم الخاصة من خلال تطوير قدراتهم العقلية الخاصة،
٧. الشعور الفكري بالعدالة، أي، الرغبة في النظر في جميع وجهات النظر بالتعاطف وتقييمها بنفس المعايير الفكرية، دون الإشارة إلى مشاعر المرء، أو اهتماماته الخاصة، أو المشاعر، أو المصالح الخاصة لأصدقائه، أو مجتمعه، أو دولته والمصالح المكتسبة،
٨. الاستقلال الفكري، وهو امتلاك سيطرة عقلانية على معتقدات الفرد وقيمه واستدلالاته. إن المثل الأعلى للتفكير النقدي هو أن يتعلم المرء أن يفكر بنفسه، وأن يسيطر على عمليات التفكير الخاصة به. إنه يستلزم التزامًا بتحليل وتقييم المعتقدات على أساس العقل والأدلة، والتساؤل متى يكون من المنطقي التساؤل، والاعتقاد عندما يكون من المنطقي الاعتقاد، والتوافق عندما يكون من المنطقي التوافق.^{٢٩٢}

²⁹² Paul and Blinker, *Critical Thinking: What Every Person Needs*,

سنخصص المبحث التالي للاستقلال الفكري، حيث سننظر فيه بالتفصيل. ومع ذلك، سنبرزه بالمرور في هذا المبحث كلما لاحظناه من صفات السائلين.

باختصار، يطبق المفكرون النقاد المعايير الفكرية مثل الوضوح والدقة والانضباط على عناصر التفكير كالمشكلات والأهداف والافتراضات، بهدف تنمية السمات الفكرية مثل التواضع والشجاعة والتعاطف وغيرها. وبالتالي فإن الأسئلة التي تساعد في عملية التفكير النقدي هي الأسئلة التي تتحقق من المعايير الفكرية من أجل ضمان كمال الفكر، والأسئلة التي تركز على الوفاء بالمعايير في عناصر الفكر من أجل ضمان التفكير النقدي بالمعنى القوي ومن أجل الحماية ضد التفكير النقدي بالمعنى الضعيف. وهذه السمات الفكرية السبع مترابطة، لأنه لكي يدرك المرء حدود معرفته كما هو الحال في التواضع الفكري، فإنه يحتاج إلى الشجاعة لمواجهة تحيزه وجهله كما هو الحال في الشجاعة الفكرية، ولكن لا يمكن اكتشاف ذلك إلا إذا كان قادرًا للتعاطف مع وجهات النظر والعقل ضمنها التي هو لا يفضلها (أي، التعاطف الفكري)، لكنه ليس بالأمر السهل للواحد التفكير في وجهة نظر الذي هو متحيز ضدها إلا مع المثابرة بمرور الوقت (أي، المثابرة الفكرية)، ولكن بالترتيب للقيام بذلك، يجب أن يكون واثقًا من أنه لن ينخدع بما هو خاطئ أو مضلل في وجهة النظر المعارضة (أي، تصديق بالعقل) وبينما هو على ذلك، يشعر بأنه مضطر لسماع وجهة النظر المعارضة في أقوى أشكالها من أجل التأكد من عدم إدانتها عن جهل أو تحيز من جانبه (أي، الحس الفكري للعدالة)، وهذا أيضا أمر يتطلب التواضع الفكري، أي الشجاعة لمواجهة تحيزه وجهله.^{٢٩٣}

و - كمال الفكر من خلال عدسة إسلامية

ومن الاهتمامات الرئيسية للخبراء في مجال التفكير النقدي، التفكير النقدي بالمعنى الضعيف، والذي ينتج عن التحيز، أي، الميل إلى أو ضد فرد أو مجموعة، لا سيما بطريقة تعتبر غير عادلة. وفي الواقع، لا ينبغي أن يكون هذا النقص مع الملتزمين بجدية بالتعاليم الإسلامية لأنهم مطالبون بأن يكونوا حساسين له على سبيل التدين، فإنه فيما لا يقل عن ثلاث آيات قرآنية، ورد أن

²⁹³ Ibid

الله يحب المقسطين،^{٢٩٤} وجاء في عدد من الآيات أن الله لا يحب الظالمين.^{٢٩٥} وبالمثل، يُنبه المؤمنون على تأدية كراهية الناس إلى العدوان والظلم، ويؤمنون بالعدل لأنه أقرب للتقوى،^{٢٩٦} وكما يُدْعَوْنَ إلى القيام بالقسط شاهدين لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، أو أغنياء الناس أو فقراءهم.^{٢٩٧} وبالتالي، لا ينبغي السماح للروابط الأسرية ولا للوضع الاجتماعي والاقتصادي بالتدخل في عملية الاعتبارات العادلة. لقد علّم النبي ﷺ صراحةً هذا الدرس عندما قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَهَمُّ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا». ^{٢٩٨} والمعنى في هذه التعليمات يجسد صراحةً مبدأ حسن النية الفكري، الذي يحمل كل شيء على المعيار نفسه بما في ذلك المفكر نفسه. والأحاديث ذات الصلة بهذا الموضوع عديدة، بما في ذلك أن المقسطين سيجزون يوم القيامة بإكرام عظيم حيث تكون لهم منابر من نور،^{٢٩٩} وأن الإمام العادل من ضمن الذين سيظلمهم الله يوم القيامة،^{٣٠٠} ومنها التحذير من الظلم لأن الظلم ظلّمات يوم القيامة،^{٣٠١} وقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأُقْضَى لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ». ^{٣٠٢} وكذلك ما ورد في حديث قدسي

^{٢٩٤} ينظر: [المائدة ٥: ٤٢]، و[الحجرات ٤٩: ٩]، و[المتحنة ٦٠: ٨].

^{٢٩٥} ينظر: [آل عمران ٣: ٥٧]، و[آل عمران ٣: ١٤٠]، و[الشورى ٤٢: ٤٠].

^{٢٩٦} ينظر: [المائدة ٥: ٢، ٨]

^{٢٩٧} ينظر: [النساء ٤: ١٣٥]

^{٢٩٨} البخاري، الصحيح، كتاب الخُذُودِ وَمَا يُحْدَرُ مِنَ الْخُذُودِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ الشَّقَاعَةِ فِي الْحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ، ٨: ١٦٠ (٦٧٨٨).

^{٢٩٩} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيُ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، ٣: ١٤٥٨ (١٨٢٧).

^{٣٠٠} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الأَذَانِ، بَابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَّلَ الْمَسَاجِدَ، ١: ١٣٣ (٦٦٠).

^{٣٠١} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤: ١٩٩٦ (٢٥٧٨).

^{٣٠٢} البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، بَابُ مَوْعِظَةِ الْإِمَامِ لِلْخُصُومِ، ٩: ٢٥ (٦٩٦٧).

أن الله حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده،^{٣٠٣} وفي حديث «أَنْصُرْ أَهْلَكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، أي، أن يُنصر بإعانتة على الحصول على حقه إن كان مظلوماً، وبمحجزه أو منعه أو الأخذ على يديه إن كان ظالماً.^{٣٠٤} ومن ثم، فإن التعاليم الإسلامية تزرع عدالة الفكر في الملتزمين بها على سبيل الاعتقاد والتدين، وهذا يتعارض مع ادعاء (بولس وبلينكر "Paul and Blinker"، ١٩٩٠) أنه ليس هناك مجموعة في الوجود التي تفعل ذلك بمواطنيها.

مما سبق يمكن القول إن ما تتضمنه الشخصية الإسلامية هو الإحساس الفكري بالعدالة، الأمر الذي يتطلب تقييماً عادلاً للأفكار أو المعتقدات أو وجهات النظر، بغض النظر عن بعض المشاعر السلبية مثل الكراهية تجاه أصحاب تلك الأفكار أو المعتقدات أو وجهات النظر. ويتطلب هذا بالضرورة، السعي إلى الفهم الصحيح، والحساسية للتحيز، والاعتراف بحدود معرفة المقيّم لما يقيّمه، وكلها تعني الشجاعة الفكرية، والمثابرة الفكرية، والتعاطف الفكري، والتواضع الفكري. وبعبارة أخرى، إن العدالة أساس النقد في الإسلام، ومن الأمثلة القرآنية الدالة على ذلك بعض الآيات الناقدة لأهل الكتاب نحو: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٥: ٦٦] و﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران ٣: ٧٥]، والعدالة في النقد ملحوظ في استبعاد غير المستحقين النقد من المجموعة المنتقدة وعدم تعميمه على المجموعة كلها. والنقد في القرآن غير مقصور على غير المسلمين فقط، بل يمتد إلى المؤمنين وحتى إلى إمامهم النبي ﷺ، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد ٥٧: ١٦] إلا أربع سنين." ^{٣٠٥} وفي قوله تعالى للنبي ﷺ بالنسبة لقضية زيد وزينب ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾

^{٣٠٣} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤: ١٩٩٦ (٢٥٧٧).

^{٣٠٤} ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب الإكرام، باب يمين الرجل لصاحبه إنّه أخوه، ٩: ٢٢ (٦٩٥٢).

^{٣٠٥} مسلم، الصحيح، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، ٤:

٢٣١٩ (٣٠٢٧).

[الأحزاب ٣٣: ٣٧] يُرى شدة العتاب للنبي ﷺ حتى قيل "لو كان محمدٌ ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل إليه لكتّم هذه الآية".^{٣٠٦} وفي قول النبي ﷺ لأبي هريرة ؓ: «صدقك وهو كذوب»^{٣٠٧} بالنسبة للشيطان الذي كان يحثو من الطعام من زكاة رمضان إشارة إلى علو مستوى العدالة في النقد الذي يجعل الناقد يدرك ويعترف بفعلٍ إيجابي من مصدر ذي سيء السمعة، ويمنعه من التحيز بشكل افتراضي.

وأما بالنسبة للتصديق بالعقل، فأنا لا أتفق تماماً مع المتطلبات الموضوعية له، والتي نصت على ما يلي: الثقة بأن المصالح العليا للفرد ومصالح الجنس البشري بشكل عام ستُخدم على المدى الطويل بشكل أفضل من خلال منح العقل حرية أكبر وتشجيع الناس على التوصل إلى استنتاجاتهم الخاصة من خلال تطوير قدراتهم العقلية الخاصة وعلى الرغم من أنني أتفق على أن المصالح العليا للأفراد والمجتمعات والبشرية بشكل عام ستُخدم على أفضل وجه من خلال ممارسات التفكير الجيد مثل التفكير النقدي بالمعنى القوي، فإنه يبدو لي أن تحديد إعطاء حرية أكبر للعقل كوسيلة لتحقيق هذا الهدف يتعارض مع تحديد المعايير للمفكرين للوفاء بها سعياً وراء تكميل أفكارهم. ويمكن تشجيع الناس على التوصل إلى استنتاجاتهم الخاصة من خلال تطوير قدراتهم العقلية الخاصة، ولكن لا يمكن ضمان كمال الفكر بدون تلبية المعايير المطلوبة. إن منح دور أكثر حرية وغير مقيد للعقل يعني ضمناً مكانة عليا للهوى، وهو مِثْلُ النَّفْسِ إلى الشَّهْوَةِ أو قيل هو العِشْقُ، ويكون في الحَيْرِ والشرِّ.^{٣٠٨} ولقد قيل أيضاً أن العقل البشري متمركز بشكل طبيعي على الذات ومتمحور حول المجتمع، بينما يقوم أيضاً بتطوير بعض المهارات الفكرية بشكل طبيعي، ولكنه يتطلب التنشئة النشطة للسّمات الفكرية والحساسيات الأخلاقية والعديد من المهارات الفكرية.^{٣٠٩} وقد نبه الله عن اتباع الهوى كمانع العدالة: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا

^{٣٠٦} مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؟، ١: ١٥٨ (١٨٥).

^{٣٠٧} البخاري، الصحيح، كتاب الوكالة، باب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَارَهُ الْمَوْكَلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ، ٣: ١٠١ (٢٣١١).

^{٣٠٨} انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي)، ٥: ٣٥٩.

^{٣٠٩} Richard Paul and Linda Elder, *The Miniature Guide to Critical Thinking: Concepts & Tools*, (7th Edition, Foundation for Critical thinking, Dillion Beach, CA., 2019), 24.

الْهُوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء ٤: ١٣٥]، و﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص ٣٨: ٢٦]. وبعد رفض المشركين الدعوة إلى الهدى طالبين الرسول ﷺ أن يأتيهم بمثل ما أتى به موسى ﷺ من قبل، أمر الله الرسول أن يتحداهم أن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة والقرآن، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص ٢٨: ٥٠]، أي: يتبعون "آراء قُلُوبِهِمْ وَمَا يَسْتَحْسِنُونَهُ وَيُحِبُّهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ"^{٣١٠}، وقلت: إن منبع الرأي هو الفكر، ولكن المشركين فشلوا في ممارسة العدالة في فكرهم وغمرتهم رغبتهم في الدفاع عن آلهتهم بدلاً من التقييم العادل للرسول ﷺ والأفكار التي قدمها لهم في دعوته للوصول إلى استنتاجات غير متحيزة، فاتبعوا أهواءهم الذميمة في أفكارهم، وأصبحوا أضل الناس كما استمرت الآية باستفهام إنكاري للنفي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [٥٠: ٢٨]، أي لا أضل ممن اتبع هواه، بل هو أضل من كل ضال.^{٣١١}

ز - ارتباط التفكير النقدي بأهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

من المناقشة السابقة، يبدو أن التفكير النقدي وتطبيقه في كمال الفكر بالمعنى القوي هو وسيلة لإرساء السلام، والقضاء على التحيز، وتحسين التفاهم بين الناس. ومع ذلك، لاحظ الباحثون أن العالم الاجتماعي غالباً ما يكون غير عقلاني وغير عادل، حيث يتم استغلال التفكير الماهر في كثير من الأحيان لتعزيز المصالح المكتسبة، وغالباً ما يتحايّل الذين يهدفون إلى تعزيز جدول الأعمال لهم الأناني بمهارة على المعايير الراسخة للتفكير السليم كما هو الحال في الدعاية والمناظرات السياسية والدفاع عن مصالح المجموعة، وما إلى ذلك.^{٣١٢} ونلاحظ أن سوء استخدام التفكير الماهر أو الفشل في استخدامه يتسبب في سيادة التحيز على العدالة، وبالتالي قد يكون من بين المساهمين الرئيسيين في الصراعات التي تمنع أو تبطئ التقدم نحو تحقيق الخطط التنموية. فعلى سبيل المثال، يُظهر تقرير التقدم الصادر عن الأمم المتحدة لعام ٢٠٢٤ م حول أهداف

^{٣١٠} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ١٣: ٢٩٥.

^{٣١١} محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي

السعود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٧: ١٨.

^{٣١٢} Paul and Binker, 1990, 5.

التنمية المستدامة أن "فقط سبعة عشر بالمائة من الأهداف تمضي قُدماً نحو الإنجاز، بينما يُعاني ما يقارب النصف من تقدم ضئيل أو متوسط، وقد توقف التقدم أو تراجع في أكثر من ثلث الأهداف".³¹³ وبالإضافة إلى جائحة كوفيد-١٩، يشير التقرير إلى أن الأسباب الأخرى لتباطؤ التقدم تتضمن الزيادة في الصراعات والتوترات الجيوسياسية والتجارية، وتفاقم تأثيرات تغير المناخ. كذلك، تسهم النواقص الكبيرة في الأنظمة الاقتصادية والمالية العالمية، مع الظلم التاريخي ونقص التضامن العالمي، في جعل البلدان النامية والأفراد الأكثر عرضة للخطر يحملون الجزء الأكبر من العبء.³¹⁴ ومن بين التفاصيل التي يقدمها التقرير، يذكر: "ومع دخول الغزو الروسي لأوكرانيا عامه الثالث الآن، والحرب الوحشية الدائرة الآن في غزة، والصراع في السودان الذي لم يُظهر بعد أي علامات على التراجع، وصل عدد النازحين قسراً في جميع أنحاء العالم إلى ١١٠ ملايين شخص وهو رقم غير مسبوق. وفي الفترة بين عامي ٢٠٢٢ و٢٠٢٣م، زادت الخسائر المدنية في الصراعات المسلحة بنسبة اثنين وسبعين في المئة".³¹⁵

إن الأسباب التي أدت إلى هذه المشاكل عديدة، ومن أهمها: الفشل أو عدم القدرة على استخدام التفكير النقدي بالمعنى القوي، وخاصة فيما يتصل بالصراعات. والواقع أن هذه مشكلة خطيرة تؤثر بشكل مباشر على الأمم المتحدة ذاتها. ففي مناسبات عديدة، تجد الأغلبية الساحقة من الأعضاء أن تمرير قرار يتعلق بطرف مسيء السلوك في صراع أمر مبرر، ولكنهم يُمنعون من ذلك بواسطة حليف للجاني يستخدم حق النقض ضد القرار. ويلاحظ أحد الباحثين أن استخدام حق النقض كثيراً ما يخلف تأثيراً سلبياً على عمل مجلس الأمن وأدائه. فقد أدى الاستخدام المتزايد لحق النقض إلى إعاقة قدرة المجلس على الوفاء بواجباته فيما يتصل ببعض أشد التهديدات خطورة للسلم والأمن الدوليين، وهو ما يشكل في كثير من الأحيان انتهاكاً مباشراً لمقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. وعلاوة على ذلك، فإن مجرد التهديد باستخدام حق النقض يمنع مجلس الأمن من التعامل مع القضايا التي تقع بوضوح ضمن نطاق اختصاصه، الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى عواقب إنسانية كارثية.³¹⁶

³¹³ "Progress towards the Sustainable Development Goals," United Nations, p2.
<https://unstats.un.org/sdgs/files/report/2024/SG-SDG-Progress-Report-2024-advanced-unedited-version.pdf>. (accessed August 19, 2024),

³¹⁴ "Progress towards the Sustainable Development Goals," United Nations.

³¹⁵ Ibid.

³¹⁶ Christian Wenaweser and Sina Alavi. Innovating to Restrain the Use of the Veto in the United

هذه المناقشة الموجزة أبرزت أهمية التفكير النقدي بالمعنى القوي للإنسانية. ولو تم تطبيق التفكير على نطاق واسع، ربما كانت الصراعات والتوترات أقل بكثير مما هي عليه اليوم، وكانت إدارة وحل الصراعات أيسر للأمم المتحدة لأنه لقلّ التحيز من قبل حاملي حق النقض، ولعله من الممكن تحقيق عدد أكبر من أهداف التنمية المستدامة مما تم ذكره في التقرير.

ح - التفكير النقدي في الفكر العربي قبل الإسلام

وبما أن أغلب المتلقين الأوائل لرسالة الإسلام كانوا من العرب، ويمكن تتبع تفاعلهم مع النبي ﷺ من خلال الأحاديث، فإن معرفة مهارات التفكير لديهم قبل اعتناق الإسلام قد توضح سبب إثارة الأسئلة والأجوبة بينهم وبين النبي ﷺ حول بعض جوانب التفكير..

عادة ما يتم مناقشة التفكير النقدي عند العرب في مجال النقد الأدبي، وخاصة في مجال نقد الشعر. وهذا أمر مفهوم إذا نظرنا بشكل تقريبي إلى ماهية النقد الأدبي، أي تفسير الأدب، أو تحليله، أو تقييمه، أو الحكم عليه، حيث يتم تكوين الرأي بناء على الأدلة، وهو في الأساس تفكير نقدي. ولقد رأى المستعصمي أن نقد الشعر أصعب من نظمه، وعبر رأيه حول الفرق بين ناظم الشعر وبين ناقدته من خلال مثل جميل قائلاً: "وَنَاقِدُ الشَّعْرِ كَالْبَزَّازِ الَّذِي يَبِيعُ الثَّوْبَ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فَهُوَ لِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِهِ لِلثِّيَابِ، وَمُدَاوَمَةِ بَيْعِهِ لَهَا وَمَقَايِسَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ يَعْرِفُ مِنْهَا الرَّفِيعَ مِنَ الْغَلِيظِ، وَالرَّسْمِيَّ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ، وَالَّذِي لَهُ بَقَاءٌ عَلَى الْكَدِّ مِنَ الَّذِي لَا بَقَاءَ لَهُ. فَصَنَاعَةُ الْبَزَّازِ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْخَائِكِ، وَكَذَلِكَ صَنَاعَةُ نَقْدِ الشَّعْرِ غَيْرُ صَنَاعَةِ نَظْمِهِ".^{٣١٧} يلاحظ من المثال أن الناقد وعمق تفكره ونظره في الأدلة ذات الصلة المتاحة في عملية تنفيذ انتقاداته. وكل ذلك أيضاً من متطلبات التفكير النقدي. ولنضع في اعتبارنا أن للتساؤلات دور مفتاحي في عملية النقد سواءً ضمنياً أو صراحة بالنظر إلى أن الخطوة النهائية الحكم على ما ينقده الناقد.

Nations Security Council. Case W. Res. J. Int'l L. 52, no. 1 (2020): 65-72,

^{٣١٧} محمد بن أيدير المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقّق كامل سلمان الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية،

٢٠١٥)، ١: ٣٠٥-٣٠٩.

وكان نقاد القصائد في فترة ما قبل الإسلام من الشعراء المشهورين الذين استمعوا للشعراء أثناء الإلقاء وألقوا نقدهم على جوانب مختارة من القصائد مثل المعنى، والمصور، والتميز الإيقاعي، وما إلى ذلك. ومن البيئات المعروفة بنقد الشعر كانت قبائل مثل قريش، وحاضرة مثل يثرب، وبلاط مثل بلاط المناذرة في الحيرة وبلاط الغساسنة في الشام، وسوق تجاري مثل عكاظ. وقد أظهرت ممارسات العرب المتعددة سمات التفكير النقدي، فمثلاً أطلقوا على الشعراء ألقاب مدلة على مهارة الشعراء شعرية، مثل قولهم: "يقال للشاعر المفلح: خنْذِيذٌ، ولمن دونه: شاعرٌ، ولمن دونه: شُويعِر، ولمن دونه: شُعُور"، وهذا يدل على القدرة على الدراسة النقدية للشعراء وتصنيفهم حسب جودة شعرهم،^{٣١٨} ومثال ذلك أن حسان بن ثابت أنشد لزياد بن معاوية المعروف بالنابعة بعكاظ:

لنا الجفَنَاتُ العُرُّ يلمعن بالضُّحَى وأسيافُنا يقطن من نجدة دَما
ولدنا بني العنقاء وابْنِي مُحَرِّقٍ فأكرم بنا خالاً بنا ابنما

فقال النابغة ناقدًا: "أنت شاعر"، فوضعه في الدرجة الثانية بعد خنْذِيذ. ثم زاد: "ولكنك أقللت جفانك وسيوفك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك"،^{٣١٩} ومراده بذلك أن كلا الجفنات والأسياف جمع لأدنى، والكثير لهما الجفان والسيوف، وهذا من جهة اللغة، ومن جهة الثقافة، نقده لافتخاره بالأبناء بدلا من الآباء كما هو عادة العرب. ولقد اشتهر اعتبار هذه القصة من أوائل النظرات النقدية للشعر عند العرب، ومما يدل على الحيوية في هذا المجال أن النقد لم يكن حكرًا على قلة من الخبراء فحسب، بل كان النقاد الخبراء أنفسهم يتعرضون للنقد وكانت آرائهم تعارض أحيانا، وهذه الرواية تدل على هذه الحقيقة، إذ اختلف عدد من العلماء مع النابغة في نقده لحسان، ورأوا أن حسان أصاب في نظمه. ولاحظتُ فيما عثرتُ عليه أن معظم المخالفين مع النابغة، ركزوا على مسألة الجمع وعدم اختيار حسان للألفاظ الأكثر مبالغة

^{٣١٨} الصغاني، الحسن بن محمد، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الكتب، د.ط، ١٩٨٣)، ٣: ٤٨.

^{٣١٩} العسكري، الحسن بن عبد الله، المصون في الأدب، ط ٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤)، ٣.

في أوصفاه إلا أبو عبد الله المرزباني الذي قال بعدما ذكر أن قوما رفضوا هذه الانتقادات واحتجوا لصالح حسان: "فَأَمَّا قَوْلُهُ: فخرت بمن ولدت ولم تَفْخَرْ بمن ولدك فَلَا عذر عِنْدِي لحسان فِيهِ على مَذْهَب نقاد الشَّعر"،^{٣٢٠} وذلك يدل على موافقته مع النابغة في حكمه على البيت الثاني. ومن أمثلة نقد الشعراء الخبراء من أشهر النقاد ما ورد أن النابغة قدم إلى يثرب فقدم له المواطنون هناك غناءً بعض أبياته للفت انتباهه إلى عيب فانتبه به وقال: "قدمت الحجاز وفي شعري صَنْعَةٌ ورحلت عَنْهَا وَأَنَا أشعر النَّاس".^{٣٢١} ومن هذا القبيل يروى أن امرؤ القيس بن حُجْرٍ أول من انتقد عليه الشعر ورد عليه.^{٣٢٢} والصبيان أيضاً لم يُستبعدوا من هذا الدور إذ انتقد عمرو بن العبد بن البكري (المعروف بطرفة) جرير بن عبد المسيح، من بني ضُبَيْعَة (المعروف بالملتمس) الذي أنشد قوماً من شعره ما يتضمن البيت:

وإني لأمضي الهَمَّ عِنْدَ احتضاره بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مِيسَمٌ

فقال طرفة - وكان صبياً يلعب مع الصبيان - "استنوق الجمل" لأن الصيغرية سمة من سمات الإبل الإناث خاصة لا الذكور.^{٣٢٣} ومن خلال ممارسة تنقيح الشعر، يمكن ملاحظة سمة النقد الذاتي لبعض الشعراء، وذلك حين يقوم الشاعرُ شعره بالثقافة وينقحه بطول التفتيش ويعيد فيه النظر بعد النظر كما روي شأن زهير بن أبي سلمى وجرول بن أوس (المعروف بالحطيئة) أنهما وأشباههما عبيد الشعر لأنهم تنقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وأن الحطيئة كان يقول أن "خير الشعر الحولَى المنقح المحكَّك".^{٣٢٤} كما كان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات،^{٣٢٤} وفي

^{٣٢٠} المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٧٧.

^{٣٢١} أبو عبد الله، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني)، ١: ٦٨ (٨٩).

^{٣٢٢} ينظر: المستعصي، الدر الفريد وبيت القصيد، ١: ٣٠٧.

^{٣٢٣} ينظر: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١)، ٧٤.

^{٣٢٤} ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢)، ١.

مثل هذه العملية لا بد من الكثير من التساؤلات الذاتية وكذلك التفكير وإعادة التفكير في قصائدهم لفترات طويلة من الزمن قبل الانتهاء منها.

وتتعلق المناقشة أعلاه بالأحداث في مجال الشعر، والتي يمكن القول بأنها تمثل الثقافة العربية لأنها ثقافة شعرية بعمق. ومع ذلك، يمكن العثور على أمثلة لتطبيق التفكير النقدي في جوانب أخرى من الثقافة العربية إلى جانب مجال الشعر. فمثلاً ورد في صحيح البخاري (٤٠/٥، ٣٨٢٦) أن زيد بن عمرو بن نفيل، على الرغم من غياب الإسلام في عصره، كان ينتقد ذبائح قومه الوثنية، وكان يقول إذا ذبحوا لأصنامهم: "الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله." ومن السهل تقدير بساطة بيانه وعمقه. والملاحظة المثيرة للاهتمام هي أن العناصر الأساسية في فكره تشكل معتقدات عن الله مشتركة بينه وبين من يخاطبهم كما أكد القرآن فيما بعد، مما ساعد على وضوح حجته ومنطقيتها. وفي الواقع، لم يكن زيد وحده الذي تراوده أفكار من هذا النوع. وقد ذكر أنه لقي ورقة بن نوفل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث يوماً في عيد لقريش عند صنم من أصنامهم الذي كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، فاعتزل زيد والثلاثة منهم، ثم اتفقوا على أن يتصادقوا وأن يكتم بعضهم على بعض، فقال بعضهم لبعض: "تعلموا وَاللَّهِ مَا قَوْمُكُمْ عَلَى شَيْءٍ! لَقَدْ أَخْطَأُوا دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، مَا حَجَرُ نُطِيفٍ بِهِ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ؟ يَا قَوْمِ التَّمَسُّوا لَأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ يَلْتَمِسُونَ الْحَنِيفِيَّةَ، دِينَ إِبْرَاهِيمَ." ٣٢٥ ومن بين سمات العقل ذات الصلة بالتفكير النقدي والتي أظهرها هؤلاء الرجال بوضوح: التواضع الفكري من خلال الاعتراف بالحاجة إلى البحث عما كانوا يعتقدون أنه الحقيقة، وهو ما يعني اعترافهم بأنهم لا يعرفون بالضبط ما هو؛ والشجاعة الفكرية من خلال شجاعتهم في معارضة الوضع الراهن؛ وحسن النية الفكرية من خلال صدق تفكيرهم؛ والمثابرة الفكرية باستعدادهم لمتابعة ما يعتقدون أنه صحيح؛ والتصديق بالعقل من خلال ممارسة تفكيرهم بحرية واتباع النتيجة التي توصلوا إليها. ومن نماذج المفكرين الناقدين عمرو بن عبسة الذي قال في حديث تعبيراً لاعتناقه بالإسلام: "كُنْتُ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ

٣٢٥ ينظر: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: شركة الطباعة

الفنية المتحدة)، ١: ٢٠٤-٢٠٧.

أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ. وَأَتَاهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ. وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا. فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي. فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ. فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مستخفياً، جُراءٌ عَلَيْهِ قَوْمُهُ. فَتَلَطَّيْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ «أَنَا نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ «أُرْسَلَنِي اللَّهُ» فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ «أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ «حُرٌّ وَعَبْدٌ» (قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ) فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ...^{٣٢٦} والواضح أنه فكر فيما يجري في بيئته من عبادة الأوثان وخلص إلى أنها غير ذات جدوى مما يدل على الشجاعة الفكرية وحسن النية الفكرية والتصديق بالعقل تماماً كما لاحظنا في شأن زيد بن عمرو بن نفيل وأصحابه الثلاثة أعلاه، وبالإضافة إلى ذلك فقد أظهر التفكير في طريقته لاستخدام الأسئلة كوسيلة التحصيل على فهم النبي ﷺ ورسالته قبل أن يقرر اتباع الدين الذي كان يدعو إليه. وبالفعل فإن الملخص الموجز أعلاه يقدم لمحة عن ممارسة التفكير النقدي عند العرب، خاصة في عصر ما قبل الإسلام. ومثال عمرو بن عبسة يبين مدى سهولة تدفق هذا الموقف إلى عصر الإسلام كما سنرى قريباً في دراستنا للأسئلة المطروحة على النبي والتي تظهر خصائص التفكير النقدي. ومن الثمار الواضحة لممارسة التفكير النقدي في الإسلام النجاح الذي حظي به في مجال نقد الحديث في جهد الحفاظ على الأحاديث. فعلى سبيل المثال، في مجال الجرح والتعديل، اهتم العلماء بنقد الرواة بهدف قبول رواياتهم أو ردها بشكل صحيح وفق شروط التي أوضعوه، فصنفوا الرواة من حيث مراتب مشيرة إلى قوة موثوقيتهم أو مدى عدم موثوقيتهم.^{٣٢٧} وهذا العمل يتطلب العلم الجيد للرواة الذي لا يتم إلا باستخدام الجيد للأسئلة. ولم يقتصر المناقشة في المجال على الرواة فحسب، بل يوجد كذلك تصنيف النقاد إلى أئمة النقد الكبار،

^{٣٢٦} مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ١: ٥٦٩ (٨٣٢).

^{٣٢٧} ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي، الجرح والتعديل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٢)،

وأئمة الثقافات، ونقاد متوسطين، والمتشددین، والمتساهلین^{٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠} مما يمكن الدارسین من استخدام مواد المجال بالقسط والعدالة.

المطلب الثاني: الاستقلال الفكري

أ - الاستقلال

استقلال اسم (مصدر استقل يستقل استقل استقلالا)، واستقل ينقل معان عديدة: يُقال سياسيا "استقل البلد" إشارة إلى استكمال سيادته وانفراده بإدارة شئونه الداخلية والخارجية بدون خضوع في ذلك لرقابة دولة أخرى، ويقال بالمثل استقل الشخص بالحكم إذا انفرد بتدبير أمره، وكذلك يقال استقل الراتب إن وجده قليلا، وفي سياق السفر يقال استقل الطائرة بمعنى علاها وركبها،^{٣٣١} وكذلك استقل القوم إذا مضوا لمسیرهم، وذلك من الإقلال أيضا، كَأَتَمُّ استَحَقُّوا السَّيْرَ واستَقْلُوهُ^{٣٣٢}. وقال ابن منظور: "يُقَالُ: أَخَذَهُ قِلٌّ مِّنَ الْعَصَبِ إِذَا أُزْعِدَ وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا غَضِبَ: قَدِ اسْتَقْلَّ"^{٣٣٣}.

ب - الاستقلال الفكري

والمعنى المنقول من التعريفين الأولين أعلاه هو المقصود في التركيب "الاستقلال الفكري" كإشارة إلى امتلاك فرد سيطرة عقلانية على معتقداته وقيمه واستدلالاته (أي، تفكير الشخص لنفسه)، والذي يستلزم التزامًا بتحليل وتقييم المعتقدات على أساس العقل والأدلة، والتساؤل متى يكون

^{٣٢٨} نظر: البغدادي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، شرح علل الترمذي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد (الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٧)، ٣٠-٣٣.

^{٣٢٩} ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، الموقظة في علم مصطلح الحديث، ط ٢، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٢)، ٨٣-٨٥.

^{٣٣٠} ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ١: ٣-٤.

^{٣٣١} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٨٥٣.

^{٣٣٢} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥: ٣.

^{٣٣٣} ابن منظور، لسان العرب، ١١: ٥٦٦.

من المنطقي التساؤل، والاعتقاد عندما يكون من المنطقي الاعتقاد، والتوافق عندما يكون من المنطقي التوافق،^{٣٣٤} فإن الفكرة الكامنة وراء مفهوم الاستقلال الفكري هي أن الشخص العقلاني يفكر دائماً لنفسه (أي، بدون اعتماد علي غيره)، وهو ما يعتبره بعض الباحثين غير واقعي. على سبيل المثال، يقول هاردويج "Hardwig" مجادلاً على هذا المنوال: "قائمة الأشياء التي أعتقد بها، على الرغم من عدم وجود دليل على صدقها، هي بلا نهاية تقريباً إن لم تكن لانهاية... على الرغم من أنني أستطيع أن أتخيل بسهولة ما سأفعله للحصول على الدليل الذي يدعم أياً من معتقداتي، لا أستطيع أن أتخيل أن أكون قادراً على القيام بذلك لجميع معتقداتي... إذا كنت، بدون الدليل المتاح، أعتقد مع ذلك اقتراحاً ما، فهل أنا واعتقادي غير منطقيين بالضرورة؟"^{٣٣٥}

وهذا تعبيره لاستحالة إثبات شخص بدليل لكل من اعتقاداته، وجادل في المقالة لصالح الاعتماد المعرفي في ثلاث نقاط: أولاً، يمكن أن يكون لدى المرء أسباب وجيهة للاعتقاد بمقترح ما إذا كان لديه أسباب وجيهة للاعتقاد بأن الآخرين أسباب وجيهة للاعتقاد به، وبالتالي، هناك نوع من الأسباب الوجيهة للاعتقاد غير مكونة من أدلة على حقيقة التقدم للمقترح. ثانياً، أحياناً، لأن الشخص العادي أدنى مرتبة من الخبير المعرفي (في الأمور التي هو فيها خبير)، فإن العقلانية تتمثل في اعتماد الشخص العادي على الخبير فكرياً وعدم تفكيره لنفسه. ثالثاً، العلاقة بين الخبير وبين الشخص العادي ضرورية للسعي العلمي والأكاديمي للمعرفة. وعلاوة على ذلك، يجادل في مقالة أخرى أن "الثقة مطلوبة لدعم الكثير من معرفتنا" ويقول أن العقلانية تتضمن أحياناً إذعانا للسلطة المعرفية، وأن نموذج الشخص العقلاني الذي يفكر دائماً لنفسه هو نموذج غير واقعي، بحيث يكون العارف المستقل فكرياً غير موجود في الواقع.^{٣٣٦} ولقد حصر هاردويج "Hardwig" مناقشته في مجال العلوم، لكن يرى (ويب "Webb"، ١٩٩٣) أن نفس الأسباب التي يقدمها هاردويج "Hardwig" لأهمية الثقة في المؤسسة العلمية هي أيضاً أسباب مقنعة للاعتقاد بأن الثقة ضرورية في الممارسات المعرفية الأكثر تواضعاً وأساسياً وانتشاراً، ويخلص إلى أن الثقة ضرورية إذا كان المرء يرغب في معرفة أي شيء مثير للاهتمام يتجاوز تجربته

³³⁴ Paul and Elder, "Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning," 36-37.

³³⁵ John Hardwig, "Epistemic Dependence," *The Journal of Philosophy* 82, no. 7 (1985): 335-349.

³³⁶ John Hardwig, "The Role of Trust in Knowledge," *The Journal of Philosophy* 88, no. 12 (1991): 693-708.

المباشرة.^{٣٣٧} ويقترح (غاون ونوريس "Gaon and Norris"، ٢٠٠١) أن الخبراء يعتمدون دائماً على الأكثرين دراية منهم لبناء المعرفة العلمية المجتمعية مثلاً؛ وأن ثقة الشخص العادي بالخبراء لا تختلف في النوع عن ثقة الخبراء أنفسهم بالخبرة. ومع ذلك، فقد لاحظ أنه على الرغم من أن الخبير وحده يستطيع تقييم الصلاحية المنهجية للمطالبات الإثباتية، فإن غير الخبير يمكنه، بل وينبغي له، دائماً طرح أسئلة تكشف الافتراضات وتساعد على فهم أوضح لكيفية عرض الأدلة لدعم المطالبات. وعلى وجه التحديد، يمكن لطلاب العلوم اكتساب فهم أكثر ثراءً للعلوم الثابتة إذا تم تعليمهم طرح الأسئلة مثل: هل تم ترك أي جزء من البيانات خارج التحليل نتيجة لحالته الشاذة؟ ما هو الجزء أو الأجزاء التي تم حذفها لأغراض التجربة، ولماذا؟ هل إدراج هذه البيانات سيغير النتائج بأي طريقة مهمة؟ ما الأسئلة التي تم اعتبارها غير قابلة للإجابة وبالتالي غير مناسبة كأطر للدراسة؟ ما هي التناقضات والشكوك أو الالتباسات التي تم حلها بالفعل، والتي تم تبسيطها بدلاً من ذلك للأغراض العلمية؟^{٣٣٨} أثناء دراسته للاستقلال الفكري باعتباره الهدف الرئيسي للجامعات في نيوزيلندا، يلاحظ (شيبارد "Shephard"، ٢٠٢٢): "قد يكون أحد التوقعات الرئيسية أن يسعى خريجو نيوزيلندا دائماً إلى تحديد مصداقية ادعاءات الخبراء، بما يرضيهم، وأنه كلما تيهوا أكثر من مجال دراستهم الخاص، كلما زادت حاجتهم إلى الاعتماد على السلطة المعرفية للخبراء. وبالمثل، فإن توقع أن يمارس الخريجون المستقلون فكرياً استقلالهم بنفس الدرجة في جميع السياقات هو أمر غير منطقي".^{٣٣٩}

باختصار، لا ينبغي فهم الاستقلالية الفكرية من منظور الاستقلالية المطلقة، والتي اعتبرها العلماء غير منطقية. ومن المعقول احترام آراء الخبراء والثقة بسلطتهم المعرفية كما هو الحال في استجوابهم من أجل اكتساب فهم أفضل للمعرفة الراسخة. وحتى في مجال خبرة الشخص، قد تكون هناك مواقف تستدعي الاعتماد الفكري على خبراء آخرين في المجال نفسه لامتلاكهم بعض المعرفة أو الخبرة التي لا يمتلكها هو. ومن ثم، ينبغي أن تُفهم فكرة تفكير الشخص لنفسه والسيطرة على عمليات تفكيره على أنها تعني أن الشخص يفهم حدود معرفته

³³⁷ Mark Owen Webb, "Why I know About as Much as You: A Reply to Hardwig," *The Journal of Philosophy* 90, no. 5 (1993): 260-270.

³³⁸ Stella Gaon and Stephen P. Norris, "The Undecidable Grounds of Scientific Expertise: Science Education and the Limits of Intellectual Independence," *Journal of Philosophy of Education* 35, no. 2 (2001): 87-201.

³³⁹ Kerry Shephard, "On Intellectual Independence: The Principal Aim of Universities in New Zealand," *New Zealand Journal of Educational Studies* 57, no. 1 (2022): 269-284.

ويكون قادراً على تحديد متى يمضي قدماً فكرياً بشكل مستقل ومتى يكون مناسباً الاعتماد على الآخرين فكرياً والثقة بهم، لا سيما الخبراء. وبعبارة أخرى، هذا هو التواضع الفكري، وهو أحد السمات المتوقعة للمفكرين النقديين. وهكذا، فإن فهم الاستقلال الفكري من حيث الاستقلال المطلق يتناقض في الواقع مع سمة التواضع الفكري، إلا في حالة من يعرف كل شيء، وهو أمر مستحيل بشرياً. وهذا في الواقع مُلخص في التوصية القرآنية لسؤال أهل الذكر وكذلك قول النبي ﷺ: "أفلم يكن شفاء العي السؤال؟"^{٣٤٠} وبالطبع، فإن الاقتراب من ذوي المعرفة بأسئلة يعني ضمناً ثقة السائل بإمكانيتهم على تقديم إجابات مفيدة. والنقطة المثيرة للاهتمام ذات الصلة هي الحجة لصالح عقلانية الشخص الذي يعتقد اقتراحاً ما دون أن يكون لديه بالفعل دليل على صدقه، ولكن بدلاً من ذلك، بسبب الثقة بشخص يُعتقد أن لديه أسباب وجيهة لاعتقاد الاقتراح. وتتجلى هذه النقطة فعلياً في استقبال المؤمنين للمعلومات القرآنية والنبوية فيما يتعلق بأمور الغيب، والتي قد يصعب أو يستحيل عليهم فهمها فكرياً، لكن ثقتهم بصدق النبي باعتباره رسول الله ييسر عليهم الاعتقاد بمثل هذه الأمور، والشاهد على هذا ما وقع لما سعى المشركون إلى أبي بكر بخبر الإسراء والمعراج ليشوشوا عليه "فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَىٰ صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوُتَصَدَّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ".^{٣٤١}

يُشير النقاش هنا إلى وجود علاقة وثيقة بين الاستقلال الفكري والتفكير النقدي، وهو أمر جدير بالملاحظة. من بين تعريفات التفكير النقدي، هو "العملية المنضبطة لتصوير المعلومات وتحليلها وتركيبها وتقييمها بنشاط ومهارة للوصول إلى أحكام منطقية،"^{٣٤٢} والتي يمكن اعتبارها عملية تُزود الأفراد بالأدوات اللازمة لطرح التساؤلات حول الافتراضات، وفحص الأدلة، ودراسة وجهات نظر بديلة. لذلك، من خلال ممارسة التفكير النقدي، يتعلم الأفراد تأسيس

^{٣٤٠} أبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب في المجروح بتييم، ٩٣: ١ (٣٣٦). حسنه الألباني.

^{٣٤١} أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرک

على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ٣: ٨١ (٤٤٥٨).

^{٣٤٢} Paul, Richard, and Linda Elder. *Critical Thinking: Tools for Taking Charge of Your Learning and Your Life*. 3rd ed. (Boston: Pearson, 2014), 21.

معتقداتهم على الأدلة والمنطق، وهو أمر أساسي للاستقلال الفكري. كذلك، من خلال اعتبار الاستقلال الفكري "القدرة على التفكير الذاتي، وإصدار أحكام سليمة، ومقاومة التلاعب أو ضغط الجماعة"،^{٣٤٣} يمكننا ملاحظة سمة اتخاذ القرارات بناءً على تحليل الفرد الذاتي بدلاً من الاعتماد كلياً على السلطة أو التقاليد أو تأثير الأقران. في الواقع، يُنمّي التفكير النقدي هذه الاستقلالية بتوفير استراتيجيات لمقاومة التحيزات، وكشف المغالطات، وتبرير استنتاجات الفرد. وبالتالي، يُمكن اعتبار الاستقلال الفكري هدفاً ونتائجاً للتفكير النقدي. وتتوافق هذه الفكرة مع وجهة نظر مُنظري التربية الذين يُؤكّدون على أن تعزيز التفكير النقدي لدى الطلاب يُنمّي بطبيعته الاستقلال الفكري، ويُهيئهم ليصبحوا متعلمين مستقلين ومواطنين مسؤولين (بروكفيلد، ٢٠١٢، ٤١-٤٢).^{٣٤٤}

المطلب الثالث: الإبداع

تتجلى أهمية الإبداع من خلال ارتباطه بمجموعة واسعة من المواضيع التي تتراوح بين الفنون والاقتصاد والتعليم. وإلى جانب كونها سمة مرغوبة لطلاب الدراسات العليا وتسميتها بأهم مورد في القرن الحادي والعشرين الميلادي، فقد تمّ تحديدها كعنصر مهم في حل المشكلات والقدرات المعرفية الأخرى، فضلاً عن كونها مؤشراً للنجاح التعليمي، والسلامة العقلية والاجتماعية^{٣٤٥}. ويهدف هذا القسم إلى إعطاء نبذة مختصرة عن مفهوم الإبداع ضمن ثلاثة مطالب فرعية، وهي: تعريف الإبداع، والإبداع في الاصطلاح، والإبداع في الثقافة العربية الإسلامية.

أ - تعريف الإبداع

الإبداع كلمة ذات معان عديدة، والمعنى المراد في هذا البحث هو الذي ينقل فكر الإتيان بالجديد، وعليه الإبداع اسم مصدره "أبداع يُبداع إبداعاً" - فعل رباعي لازم متعد بحرف -

³⁴³ Ennis, Robert H. *The Nature of Critical Thinking: An Outline of Critical Thinking Dispositions and Abilities*. (University of Illinois, 2011), 2.

³⁴⁴ Brookfield, Stephen D. *Teaching for Critical Thinking: Tools and Techniques to Help Students Question Their Assumptions*. (Jossey-Bass, 2012), 41-42.

³⁴⁵ Roger Wolf, "Defining the concept of creativity," (Master's Thesis, University of Twente, 2014), 2.

والفاعل مُبدِع، والمفعول مُبدَع (للمتعدّي)،^{٣٤٦} ويُقال أْبَدَعَ اللهُ تَعَالَى الخَلْقَ إِبْدَاعًا بمعنى خَلَقَهُمْ لَا عَلَى مِثَالٍ^{٣٤٧} أو أَوْجَدَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ^{٣٤٨} فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ مُبْدِعٌ وَبَدِيعٌ^{٣٤٩} (صفة مشبهة من بَدَعَ يبدع)^{٣٥٠} ومنه قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَدِيعُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة ٢: ١١٧]، وَأَبْدَعَ الشَّيْءَ وَابْتَدَعَهُ اسْتَخْرَجَهُ وَأَخْدَثَهُ، ولذلك يقال في الدين الإسلام أْبَدَعَ الرجل إذا أحدث في الدين بعد الاكتمال، أي أتى بالبدعة، وهو أمر محدث، كما يقال أْبَدَعَ الأمر (أو أْبَدَعَ في الأمر) بمعنى اخترعه، أي ابتكره على غير مثال سابق، أتقنه وأجاد فيه. ومن الجذر [ب د ع] بالمعنى نفسه البَدْعُ، وهو الأول على الإطلاق من بعض النواحي كما ورد في القرآن: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف ٤٦: ٩]، أي ما كنت أول من أرسل إلى قومه برسالة من الله، ولا أول فيما أَدْعُو إِلَيْهِ،^{٣٥١} وعلى هذا المعنى أيضا يقال "لا بَدْعٌ من" أو "لا بَدْعٌ في" بمعنى لا عجب،^{٣٥٢} كما يقال "فلان عالم بدع في علمه" بمعنى يأتي بالعجب، أي بالمحدث والمبتكر.

ب - الإبداع في الاصطلاح

لقد ميز ابن سينا (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٧م) بين الإبداع والتكوين من خلال النظر إلى أشكال الوجود والعلتية والوساطة والمادية فقال: "ومن الناس من يجعل الإبداع لكل وجود صوري كيف كان، وأما المادي، وإن لم تكن المادة سبقت فيخص نسبته إلى العلة باسم التكوين... فنجد بعضها له وجود عن علة دوماً بلا مادة، وبعضها بمادة، وبعضها بواسطة، وبعضها بغير واسطة،

^{٣٤٦} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١: ١٧١.

^{٣٤٧} أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية)، ١: ٣٨.

^{٣٤٨} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١: ١٧١.

^{٣٤٩} ينظر: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ٩.

^{٣٥٠} ينظر: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ١: ٦.

^{٣٥١} ينظر: أبو العباس، المصباح المنير، ١: ٣٨.

^{٣٥٢} ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١: ٢٧١.

ويحسن أن يسمى كل ما لم يوجد عن مادة سابقة غير متكون، بل مبدعاً، وأن نجعل أفضل ما يسمى مبدعاً ما لم يكن بواسطة عن علته الأولى مادية كانت أو فاعلية أو غير ذلك.^{٣٥٣}

يمكن تطبيق كلمة الإبداع على ثلاثة أنواع من الأشياء: شخص، أو عملية، أو نشاط، أو منتج، ويتم أخذ المنتج على نطاق واسع لتضمين فكرة في ذهن شخص ما أو أداء أو قطعة أثرية يمكن ملاحظتها. وتركز معظم التعريفات على المنتج نظراً لوجهة النظر القائلة بأن الأشخاص أو العمليات مبدعون إلى الحد الذي ينتجون فيه منتجات إبداعية، ويكون المنتج مبدعاً إذا استوفى شرطين، وهما: أن يكون جديداً وقيماً.^{٣٥٤} وقد يكون المنتج جديداً بمعنى أنه لم يتم إنتاجه من قبل مطلقاً، وفي هذه الحالة يشار إليه على أنه "مبدع تاريخي"، ولكن إذا كان جديداً بالنسبة لمبدعه على الرغم من أنه موجود بالفعل، فهو إذاً "مبدع نفسي".^{٣٥٥} يعبر الباحثون عن قيمة المنتج من حيث كونه "مفيداً" أو "فعالاً" أو "جديراً بالاهتمام" أو "مناسباً" أو "مناسباً للمهمة التي بين أيدينا". هذا الوصف للإبداع معروف بين علماء النفس بالتعريف القياسي، وهو ما استبقه تعريف إيمانويل كانط للعبقريّة الفنية بأنها القدرة على إنتاج أعمال أصلية ومثالية.^{٣٥٦} في حين أنه لا جدال في أن الجِدَّة (أو الحداثة) مطلوبة للإبداع، إلا أن ضرورة شرط القيمة للإبداع قد تم تحديدها من قبل بعض الباحثين الذين استشهدوا بأمثلة منتجات إبداعية التي لم يعتبروها ذات قيمة بسبب آثارها السلبية كاستخدام الإبداع في الإعلانات، حيث يستخدم لترويج مبيعات الأطعمة غير الصحية أو المنتجات الخطرة، من بين أمور أخرى؛ وفي مجال الترفيه، حيث يتم استخدامه لتعزيز القيم البغيضة، وتمجيد الجريمة، وما إلى ذلك؛ في السياسة، حيث تم استخدامه للترويج، على سبيل المثال، للكرهية العنصرية؛ وفي العلوم والتكنولوجيا، حيث تم تطبيقه على تطوير وبناء أسلحة الدمار الشامل.^{٣٥٧} ولقد اقترح بعض الباحثين شروطاً إضافية للإبداع (مع أو بدون شرط القيمة) مثل المفاجأة^{٣٥٨} والأصالة

^{٣٥٣} ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي البخاري، الكتاب الشقاء (الإلهيات)، تحقيق:

الأب قنواني وسعيد رايد، ٢٦٧.

^{٣٥٤} Morris. I. Stein, "Creativity and Culture," *Journal of Psychology* 36, no. 2 (1953): 311-322

^{٣٥٥} Margaret A. Boden, "What is Creativity?" In *Dimensions of Creativity*, Margaret A. Boden (ed.), (The MIT Press, 1994), 75-117.

^{٣٥٦} Elliot S. Paul and Dustin Stokes, "Creativity." The Stanford Encyclopedia of Philosophy, Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), (2023). <https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/creativity> (Last modified: March 12, 2024)

^{٣٥٧} Cropley, D. H., *The dark side of creativity*, (Cambridge University Press, 2010).

^{٣٥٨} Margaret. A. Boden, *Creativity Art: Three Roads to Surprise*, (Oxford University Press. 2010).

والعفوية^{٣٥٩} والفاعلية^{٣٦٠، ٣٦١} لقد اقترح (بودين "Boden"، ١٩٩٤م) ثلاثة أنواع من الإبداع، وهي التوافقي والاستكشافي والتحويلي، فأما الإبداع التوافقي فيحدث عندما يتم دمج الأفكار القديمة بطرق جديدة للتوصل إلى منتج جديد. وأما الإبداع الاستكشافي فيحدث ضمن مساحة مفاهيمية معينة، أي النظام التوليدي الذي يقوم عليه هذا المجال ويحدد نطاقاً معيناً من الاحتمالات الفكرة الجديدة التي ظهرت هي فكرة كانت ممكنة بالفعل في ذلك الفضاء، لأنها كانت مسموحة بموجب قواعد ذلك الفضاء. وأما إن قام المبدع بتحويل الفضاء المفاهيمي نفسه عن طريق تغيير قواعده أو قيوده التأسيسية لأنه لا يمكن أن يأتي بما يريد ضمن المساحة المفاهيمية الأساسية، فحينئذ يشار إلى إبداعه بإبداع تحويلي.^{٣٦٢}

ويقول (بوب "Pope"، ٢٠٠٥م) أنه على الرغم من أن شخصيات بارزة في الفلسفة الغربية تناولت أفكاراً يشار إليها الآن بالإبداع، إلا أن الباحثين أشاروا إلى أن كلمة الإبداع "creativity" لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، على سبيل المثال، تسجيل استخدامها لأول مرة باللغة الإنجليزية كان في عام ١٨٧٥م.^{٣٦٣} ولم تكن متداولة على نطاق واسع حتى الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين (لم تظهر على الإطلاق في طبعة ١٩٣٣م من قاموس أوكسفورد الإنجليزي)، وعندما تم استخدامها، تم الاستناد إليها في سياقات وتطبيقات كانت محددة للغاية لذلك الوقت. وفي هذا الصدد، فإن "الإبداع" (بمفهومه الضيق) هو نتاج منتصف القرن العشرين والغرب الحديث. إنها استجابة "حديثة" على وجه التحديد للمشاكل المرتبطة بالتغير الاجتماعي والتكنولوجي السريع. ويتم الإصرار على أن الإبداع ضروري من أجل مواجهة التحدي المتمثل في تسريع التغييرات ذات الحجم غير المسبوق؛ والمجالات الرئيسية للتغير والتحدي هي مجالات الاكتشاف العلمي، والاختراع التقني، والمنافسة التجارية، والتنافس العسكري.^{٣٦٤}

³⁵⁹ Maria E.Kronfeldner, "Creativity Naturalized," *The Philosophical Quarterly* 59, no. 237 (2009): 577-592.

³⁶⁰ Berys Gaut, "The Philosophy of Creativity," *Philosophy Compass* 5, no. 12 (2010): 1034-1046.

³⁶¹ Peter Carruthers, "Creative Action in Mind," *Philosophical Psychology* 24, no. 4 (2011): 437-461.

³⁶² Margaret A. Boden, "What is Creativity?" In *Dimensions of Creativity*, Margaret A. Boden (ed.), (The MIT Press, 1994), 75-117.

³⁶³ Rob Pope, *Creativity: Theory, history, practice*, (Routledge, 2005), 2.

³⁶⁴ Pope, *Creativity: Theory, history, practice*, 19.

وقد حدد الباحثون في مختلف التخصصات العديد من المكونات الأساسية التي تشكل معًا العملية الإبداعية، ومنها: (١) الطلاقة، وهي القدرة على توليد عدد كبير من الأفكار أو الحلول لمشكلة معينة،^{٣٦٥} والتي من المتوقع أن تزيد من احتمالية إنتاج أفكار أصلية ومفيدة، (٢) المرونة، وهي القدرة على التفكير في فئات متنوعة أو تغيير النهج عند مواجهة مشكلة، مما يسمح للأفراد بالانتقال بين وجهات نظر أو أطر ذهنية مختلفة،^{٣٦٦} (٣) الأصالة، وهي القدرة على إنتاج أفكار نادرة أو فريدة أو غير تقليدية،^{٣٦٧} مما يميز الأفكار الإبداعية عن الأفكار الشائعة أو الروتينية، (٤) التفصيل، وهو القدرة على تطوير أو تحسين أو توسيع فكرة بالتفاصيل والتعقيد،^{٣٦٨} مما يجعل الأفكار الإبداعية عملية وقابلة للتنفيذ وغنية بالمعنى، (٥) حساسية المشكلة، وهي القدرة على التعرف على المشاكل أو الفجوات أو مجالات التحسين.^{٣٦٩} (٦) التفكير المتباعد، وهو عملية استكشاف حلول متعددة ممكنة بدلاً من حل واحد صحيح،^{٣٧٠} مما يشجع على استكشاف مسارات جديدة والخروج عن الأنماط الثابتة. (٧) التفكير المتقارب: القدرة على تقييم الأفكار الإبداعية وصقلها باختيار الحل الأكثر فعالية.^{٣٧١} فالإبداع لا يقتصر على الخيال فحسب، بل يتطلب أيضًا الحكم والأهمية (أو الترابط).

لقد ناقشتُ بإيجاز العلاقة بين التفكير النقدي والاستقلال الفكري. في الواقع، يرتبط الإبداع بكليهما: فبما أن الإبداع يتطلب تفكيرًا متباعدًا، تُؤد من خلاله أفكار متعددة وتُخضع للتفكير المتقارب لاختيار الفكرة الأكثر فعالية، فإن هذا يعني تقييم الأفكار المتعددة نقديًا للوصول إلى القرار النهائي، الذي يربط الإبداع بالتفكير النقدي مباشرة.^{٣٧٢} من ناحية أخرى، يُقال إن الإبداع الفكري يدوم عندما "يقاوم الأفراد التقليد غير النقدي" ويطبقون التفكير

³⁶⁵ Guilford, J. P. "Creativity." *American Psychologist* 5, no. 9 (1950): 444–454.

³⁶⁶ Torrance, E. Paul. *The Torrance Tests of Creative Thinking: Norms-Technical Manual*. (Ginn and Company, 1974).

³⁶⁷ Runco, Mark A., and Garrett J. Jaeger. "The Standard Definition of Creativity." *Creativity Research Journal* 24, no. 1 (2012): 92–96.

³⁶⁸ Torrance, E. Paul. *The Torrance Tests of Creative Thinking: Norms-Technical Manual*. (Ginn and Company, 1974).

³⁶⁹ Sternberg, Robert J. "WICS as a Model of Giftedness." *High Ability Studies* 14, no. 2 (2003): 109–137.

³⁷⁰ Guilford, J. P. "Creativity." *American Psychologist* 5, no. 9 (1950): 444–454.

³⁷¹ Cropley, Arthur J. *Creativity in Education and Learning: A Guide for Teachers and Educators*. (Routledge, 2001).

³⁷² Sternberg, Robert J., ed. *Handbook of Creativity*. (Cambridge University Press, 1999), 5.

النقدي بطرق مبتكرة.^{٣٧٣} وهكذا، يدعم الاستقلال الفكري الإبداع بتمكين الأفراد من تحدي الأفكار التقليدية وتطوير وجهات نظر أصيلة.

ج - الأسئلة والإبداع

غالبًا ما ينبع الإبداع من التساؤل، لأن الأسئلة تتحدى الافتراضات، وتحفز التأمل، وتشجع على رؤية جديدة. ويُقال إن التفكير الإبداعي ينشأ من إعادة صياغة الأسئلة بما يسمح للعقل بالتحرك من أنماط التفكير المألوفة.^{٣٧٤} وبالمثل، يؤكد أن المبدعين لا يكتفون بالإجابة على الأسئلة، بل يعيدون صياغتها، ويوجهون البحث في اتجاهات جديدة.^{٣٧٥} ولقد اقترح الباحثون ممارسة التساؤل الذي يثير التفكير العالي من بين طرق تنمية الإبداع عن طريق إشراك الدماغ من خلال الجمع بين الذكاء العاطفي والذكاء المنطقي والذكاء المكاني.^{٣٧٦} وبعبارة أكثر واقعية، هذه هي الأسئلة التي تثير أنشطة مثل تحليل المعلومات، وتوليدها، وتفسيرها، وتقييمها، والحكم عليها،^{٣٧٧} ويجب أن تكون الأسئلة مفتوحة بمعنى أنها تثير نطاقًا واسعًا من الإجابات المحتملة بدلاً من مجرد "نعم" أو "لا" أو إجابة واحدة أو اثنتين صحيحتين، وغالبًا ما يكون لديها القدرة على تحفيز مستوى أعلى من التفكير. إنها تعزز المناقشة وتشجع المشاركين على الافتراض والتكهن وابتكار الاحتمالات والتفسير والتفصيل وشرح واستكشاف أفكارهم ومشاعرهم ومشاركة الأفكار، فهي تتطلب من المجيبين تقديم آرائهم وتبريرها، واستنتاج أو تحديد الآثار المترتبة على ذلك، وإصدار الأحكام بناءً على قيمهم ومعاييرهم الخاصة.^{٣٧٨، ٣٧٩} وعلى الرغم من أن الباحثين اقترحوا بعض الأمثلة المحددة لصيغ الأسئلة المحفزة للإبداع،^{٣٨٠} إلا أنه يبدو لي أنه من الأفضل النظر في توصيف عام مثل "أيُّ سؤال يتحدى المجيب فكريا لإيجاد

³⁷³ Bailin, Sharon. *Critical Thinking and Creativity*. (Detselig Enterprises, 1987), 83.

³⁷⁴ De Bono, Edward. *Lateral Thinking: Creativity Step by Step*. (Harper & Row, 1970).

³⁷⁵ Gardner, Howard. *Creating Minds: An Anatomy of Creativity Seen Through the Lives of Freud, Einstein, Picasso, Stravinsky, Eliot, Graham, and Gandhi*. (Basic Books, 1993).

³⁷⁶ Altalib, H., Abusulayman, A., and Altalib, O. *Parent-child relations: A guide to raising children*. (International Institute of Islamic Thought, 2013). <https://www.jstor.org/stable/j.ctvkvtrvqn.25>.

³⁷⁷ Brown, "School and Thoughtfulness," 3-15.

³⁷⁸ Christine Chin, "Questioning students in ways that encourage thinking," *Teaching Science* 50, no. 4 (2004): 16-21.

³⁷⁹ Wei Liu, "Design of Text-based Questions from the Study of Typology of Questions," *Sino-US English Teaching, USA* 2, no. 5, (2005): 16-24.

³⁸⁰ Mehmet Arslam, "The role of questioning in the classroom," *Hasan Ali Yücel Eğitim Fakültesi Dergisi* 2, (2006): 81-103.

إجابات أو حلول للمشكلات بطرق لم تكن معروفة له من قبل." ويرتبط هذا التوصيف بالمجيبين الأفراد، وهو أكثر انسجاماً مع الملاحظة في المطلب الخامس أعلاه بأن حالة مشكلة من حيث مستوى التفكير المطلوب تختلف من شخص إلى آخر بسبب تفاوت الأفراد من حيث الخلفية المعرفية، مثلاً، قد تتطلب المشكلة نفسها تفكيراً عالي المستوى من فردٍ ومستوى تفكير أدنى من فردٍ آخر. وعسى أن تتضح النقاط المذكورة في هذا القسم أكثر عند اعتبار أمثلة في الفصل القادم للأسئلة الواردة في الأحاديث التي تحفز الإبداع.

د - الإبداع في الثقافة العربية الإسلامية:

وتتجلى أهمية الإبداع (والأصالة) في الثقافة العربية الإسلامية في اهتمام المؤلفين بموضوع الانتحال والسرقة الشعرية، والذي تم تقسيمه إلى ثلاث فئات: (١) موافقة في اللفظ، (٢) موافقة المعاني الكثيرة المرتبط بعضها ببعض، (٣) الموافقة اليسيرة في المعاني أو الألفاظ. والواضح أن تناول الموضوع غير مقصور في الألفاظ، بل متضمن المعاني أيضاً. ومن أمثلة الإشارة إلى أخذ بعض الشعراء من شعر غيرهم قول ابن سلام (ت. ٢٣٢هـ) عن قراد بن حنش من شعراء الجاهلية: "كَانَ قَرَادُ بْنُ حَنْشٍ مِنْ شُعْرَاءِ غُطْفَانَ وَكَانَ قَلِيلَ الشَّعْرِ جَيِّدَهُ وَكَانَتْ شُعْرَاءُ غُطْفَانَ تَغْيِرُ عَلَى شَعْرِهِ فَتَدْعِيهِ،" ^{٣٨١} كما علق على أصالة امرئ قيس قائلًا: "سَبَقَ الْعَرَبُ إِلَى أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ اسْتِيقَافَ صَحْبِهِ وَالتَّبَكُّاءِ فِي الدِّيَارِ وَرَقَةِ النَّسِيبِ وَقَرَبِ الْمَأْخَذِ وَشَبْهِ النِّسَاءِ بِالطُّبَاءِ وَالْبَيْضِ وَشَبْهِ الْحَيْلِ بِالْعُقْبَانِ وَالْعَصَى وَقَيْدِ الْأَوَابِدِ وَأَجَادَ فِي التَّشْبِيهِ وَفَصَلَ بَيْنَ النَّسِيبِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى. كَانَ أَحْسَنَ أَهْلِ طَبَقَتِهِ تَشْبِيْهَا وَأَحْسَنَ الْإِسْلَامِيِّينَ تَشْبِيْهَا ذُو الرِّمَةِ،" ^{٣٨٢} والأمثلة عنده في الباب كثيرة. ويبدو أن الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ) يرى حتمية تأثير القدماء من الشعراء في اللاحقين منهم بالنسبة للمعاني، والشأن في عجز الشاعر اللاحق في إكساء المعنى المشترك في ألفاظه نفسه لا في اشتراك المعنى، فقال: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما

^{٣٨١} أبو عبد الله، طبقات فحول الشعراء، ٢: ٧٣٣ (٩٠٥).

^{٣٨٢} أبو عبد الله، ١: ٥٥ (٦٦).

الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير.^{٣٨٣} وعبرَ وضعَ الشاعرِ قائلاً: "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تامّ، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلّا وكلّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه. أو لعلّه أن يحدد أنّه سمع بذلك المعنى قطّ، وقال إنّّه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بال الأوّل.^{٣٨٤} وفي الباب أيضاً، أمثلة كثيرة عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦)، ومنها إشارته إلى أخذ زهير بعض ألفاظ امرئ قيس،^{٣٨٥} وأخذ زهير والنابعة معنى بيت أوس بن حجر،^{٣٨٦} وجاوز دائرة اللفظ والمعنى وتناول النهج والطريقة كقوله في وصف طبيعة شعر مسلم بن الوليد الأنصاري وإشارته إلى من أخذها منه: "وهو أول من ألطف في المعاني ورقق في القول، وعليه يعول الطائي".^{٣٨٧}

ومما يبرز إبداع الشعراء ممارستهم للإجازة بينهم، والإجازة هي إتمام شاعر مصراع شاعر آخر، أو نظام بيت على غرار بيت آخر، مع حفاظ التساوق بين المصراعين أو البيتين حتى كأنها نسيج شاعر واحد لا شاعرين.^{٣٨٨} ولقد قام ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) بتعريف المفهوم وتوضيحه حيث قال: "وأما الإجازة فإنّها بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيد على ما قبله، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة، فأما ما أجز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبي العتاهية:

^{٣٨٣} عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٣: ٦٧.

^{٣٨٤} الجاحظ، الحيوان، ٣: ١٤٩.

^{٣٨٥} ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١: ١٣١-١٣٢.

^{٣٨٦} ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١: ٢٠١.

^{٣٨٧} ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢: ٨٢٢.

^{٣٨٨} ينظر: العاكوب، عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب: مدخل إلى نظرية الأدب العربي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٥)، ٣٦.

أجز برد الماء وطابا فقال: حبذا الماء شراباً،^{٣٨٩} ومن أمثال إجازة بيت بيت ما جرى بين حسان بن ثابت وابنته:

حسان: متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت... أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها
ابنته: مقاويل للمعروف خرس عن الخنا... كرام يعاطون العشيرة سولها
حسان: وقافية مثل السنان ردفتها... تناولت من جو السماء نزولها
ابنته: يراها الذي لا ينطق الشعر عنده... ويعجز عن أمثالها أن يقولها^{٣٩٠}
وذكر أبو زيد (ت ٢٦٢هـ) الالتقاء بين النابغة والربيع بن أبي الحقيق حيث يأتي النابغة بمصرع ثم يقول "أجز يا ربيع" فيختم الربيع البيت باخترع مصرع مناسب:

النابغة: كَادَتْ تَهْدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلِي
الربيع: وَالشَّعْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أُوجِسَتْ خَلِقُ
النابغة: لَوْلَا أَكْهَنُهَا بِالسَّوْطِ لَا نْتَرَعَتْ
الربيع: مِني الزَّمَامِ وَإِيَّيَ رَاكِبٌ لَبِقُ
النابغة: قَدْ مَلَّتِ الْحُبْسَ بِالْأَطَامِ وَاشْتَعَفَتْ
الربيع: تُرْبِعُ أَوْطَانَهَا لَوْ أَنَّهَا عَلِقُ^{٣٩١}

المطلب الرابع: التفكير ونظريات التعلم

إنّ تصفح الأبحاث المتعلقة بالتدريس والتعلم، ولو بشكل عرضي، يكشف أن معظم الباحثين، إن لم يكن جميعهم، يرون أن المهمة (أو الهدف) الرئيسي للتعليم هو تعزيز التفكير مع الكثير

^{٣٨٩} ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط ٥، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ١٩٨١)، ٢: ٨٩-٩٠.

^{٣٩٠} أبو علي، العمدة.

^{٣٩١} أبو زيد، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، تاريخ المدينة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، (جدة: السيد حبيب محمود أحمد، ١٩٧٩)، ١: ٢٨٩.

من التركيز على التفكير النقدي،^{٣٩٢،٣٩٣،٣٩٤} خاصة بالنسبة للتعليم في المستويات الأعلى، حيث أنه من خلال التعليم الجامعي يتم إعداد الطلاب لدخول سوق العمل من خلال اكتساب الموارد وإتقانها للقدرة على مواجهة التحديات المستقبلية^{٣٩٥} من خلال استخدام ما تعلموه طوال سنوات تعليمهم الجامعي ومن المعرفة التي اكتسبوها في تلبية متطلبات عملهم أو وظيفتهم.^{٣٩٦،٣٩٧} يمكن تلخيص التفكير النقدي في التعلم بأنه قدرة المتعلمين على تصور المعلومات وتحليلها وتقييمها وتطبيقها بفعالية ومهارة لتوجيه معتقداتهم وقراراتهم وأفعالهم. فهو ينقل الطلاب من الحفظ اللفظي إلى فهم أعمق وحل المشكلات. على سبيل المثال، من بين تعريفات التفكير النقدي "تفكير منطقي وتأملي يركز على تحديد ما نعتقد أو نفعله،"^{٣٩٨} مما يشير إلى أن المفكر النقدي يتجاوز الحفظ اللفظي، بل يصل إلى القرارات والمعتقدات بعد تفكير متعمق. وفيما يتعلق بربطه بالتساؤل، ينص أحد تعريفات المصطلح على أنه "يتضمن التساؤل عن الافتراضات، وتقييم الأدلة، وإصدار أحكام منطقية."^{٣٩٩} أما بالنسبة لدوره في التعليم، فيقال إن التفكير النقدي يعزز الفهم، بمعنى أن المتعلمين يتفاعلون مع المحتوى، ويحددون التحيزات، ويربطون الأفكار.^{٤٠٠} يُنمّي التفكير النقدي مهارات حل المشكلات، إذ يتعلم الطلاب تحليل المشكلات، والتفكير في البدائل، وتبرير الحلول،^{٤٠١} كما يُشجّع على التعلم المستقل، حيث يُشكّك الطلاب في مصادر المعرفة، مُقلّلين بذلك الاعتماد على السلطة، ومُعزّزين الاستقلال الفكري. تشمل الاستراتيجيات التي تُعزّز التفكير النقدي طرح أسئلة "لماذا"

³⁹² Cynthia A. Barnes, "Critical thinking revisited: Its past, present, and future," *New Directions for Community Colleges*, Summer 2005, no. 130 (2005): 5-13.

³⁹³ Tim van Gelder, "Teaching critical thinking: Some lessons from cognitive science," *College Teachings* 53, (2005): 41-46.

³⁹⁴ Nel Noddings, "What does it mean to educate the WHOLE CHILD?" *Educational Leadership* 63, (2008): 8-13.

³⁹⁵ Barnes, "Critical thinking revisited," 5-13.

³⁹⁶ Diane F. Halpern, "Teaching critical thinking for transfer across domains: Dispositions, skills, structure training, and metacognitive monitoring," *American Psychologist*, 53, (1998): 449-455.

³⁹⁷ van Gelder, "Teaching Critical Thinking," 41-46.

³⁹⁸ Ennis, Robert H. "The nature of critical thinking: An outline of critical thinking dispositions and abilities." *University of Illinois* 2, no. 4 (2011) 1-8.

³⁹⁹ Paul, Richard, and Linda Elder. *The miniature guide to critical thinking concepts and tools*. (Rowman & Littlefield, 2019).

⁴⁰⁰ Brookfield, Stephen. "Teaching for critical thinking." *International Journal of Adult Vocational Education and Technology (IJAVET)* 4, no. 1 (2013): 1-15.

⁴⁰¹ Halpern, Diane F. *Thought and knowledge: An introduction to critical thinking*. (Psychology Press, 2013).

و"كيف"، مما يُشجّع على التأمل العميق،^{٤٠٢} والتعلّم النشط من خلال دراسات الحالة، والمناظرات، والتعلّم القائم على حل المشكلات الذي يُعزّز مهارات التقييم،^{٤٠٣} وتحسين التفكير المنطقي من خلال التأمل في عملية التفكير الذاتية.^{٤٠٤} وفيما يتعلق بتأثير التفكير النقدي على التعليم، يُعتقد أن الطلاب الذين يتمتعون بمهارات تفكير نقدي قوية يُؤدّون أكاديميًا بشكل أفضل، ويتكيفون مع المواقف الجديدة، ويُطوّرون عادات تعلّم مدى الحياة.^{٤٠٥}

المطلب الخامس: التفكير ذو المرتبة السافلة والتفكير ذو المرتبة العالية

ودعوات الإصلاح التعليمي تشجع المدارس بشكل مختلف على العمل على غرس مهارات التفكير لدى طلابها مثل القدرة على التفكير النقدي والإبداعي، وحل المشكلات، وممارسة الحكم، والوصول إلى المعلومات واستيعابها وتطبيقها، والتواصل بشكل فعال مع الآخرين.^{٤٠٦} وقد لخص البعض مهارات التفكير هذه في المصطلح التفكير ذو مرتبة عالية.^{٤٠٧} ويبدو أن الباحثين متفقون على تصنيف عام للتفكير إلى فئتين، وهما التفكير ذو مرتبة سافلة والتفكير ذو مرتبة عالية، على الرغم من وجود اختلافات فيما يتعلق بالتمييز بين المرتبتين. وقد تم توضيح هذا التصنيف من حيث التفكير الإنتاجي والإنجابي، حيث يشار إلى السلوك الناتج عن التكرارات السابقة للعلاقات بين التجارب المتجاورة بالسلوك المتعلم والتفكير المتضمن في العملية بالتفكير الإنجابي أو التفكير ذي مرتبة سافلة، ومن الأمثلة على ذلك هو حل المشاكل بالخوارزميات المعروفة. ومع ذلك، فإن تكامل السلوك الذي يتكون من تجربتين معزولتين أو أكثر، والذي ينشأ دون تكرار سابق، هو سلوك منتج والتفكير المرتبط به هو التفكير الإنتاجي أو التفكير ذو مرتبة عالية. في هذه الحالة، بدلاً من استخدام خوارزمية معروفة، يتوصل المفكر

⁴⁰² King, Alison. "Designing the instructional process to enhance critical thinking across the curriculum." *Teaching of Psychology* 22, no. 1 (1995): 13-17.

⁴⁰³ Abrami, Philip C. et al. "Strategies for teaching students to think critically: A meta-analysis." *Review of educational research* 85, no. 2(2015): 275-314.

⁴⁰⁴ Flavell, John H. "Metacognition and cognitive monitoring: A new era of cognitive-developmental inquiry." *American Psychologist* 34, no. 10 (1979): 906.

⁴⁰⁵ Facione, Peter A. "Critical thinking: what it is and why it counts." *Insight Assessment* 1, no. 1 (2015): 1-23.

⁴⁰⁶ Rexford G. Brown, "Schooling and thoughtfulness," *Journal of Basic Writing*, (1991): 3-15.

⁴⁰⁷ Parama Kwangmuang et al., "The development of learning innovation to enhance higher order thinking skills for students in Thailand junior high schools. *Heliyon* 7, no. 6 (2021): 1-13.

إلى مجموعة معقولة من التجارب غير المرتبطة سابقًا في عملية حل المشكلات.^{٤٠٨، ٤٠٩} وعلى هذا المنوال، تم وصف التفكير ذي مرتبة سافلة بأنه تطبيق روتيني أو ميكانيكي للمعرفة أو المعلومات المكتسبة مسبقًا بينما التفكير ذو مرتبة عالية يتحدى المفكر لتفسير المعلومات أو تحليلها أو معالجتها.^{٤١٠}

تشمل الاعتبارات الإضافية للتفكير ذي مرتبة عالية المواقف التي يحاول فيها المفكر إما ملء فراغ لأجل معلومات مفقودة من تسلسل منطقي (الاستيفاء)، أو تمديد حجة غير مكتملة (الاستقراء)، أو إعادة ترتيب المعلومات لإحداث تفسير جديد.^{٤١١} وترى الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم أن نشاط حل المشكلات يتكون من عمليات أساسية ومتكاملة، حيث تشمل العمليات الأساسية الملاحظة والقياس والاستدلال والتنبؤ وتصنيف البيانات وجمعها وتسجيلها، وتشمل العمليات المتكاملة تفسير البيانات وتحكم المتغيرات، وتحديدتها من الناحية التشغيلية، وصياغة الفرضيات، والتجريب. وتشكل هذه العمليات تسلسلاً هرمياً بحيث يتطلب الاستخدام الفعال للعمليات المتكاملة الاستفادة من العمليات الأساسية،^{٤١٢} أي أن إتقان مهارات التفكير ذي مرتبة سافلة شرط أساسي للتطبيق الناجح لمهارات التفكير ذي مرتبة عالية. ولقد تم الاعتراف بأن مرتبة التفكير بالنسبة لمشكلة معينة قد تتغير مع تغيير الأشخاص، بحيث تكون المتطلبات التفكيرية لحل المشكلة ذات مرتبة سافلة لشخص ومرتبة عالية لشخص آخر لأن الناس متفاوتون من حيث الخلفية المعرفية، أي بينما عملية حل مشكلة ما معقدة وجديدة لشخص ما، هي أيضا مألوفة وروتينية وسهلة لشخص آخر بسبب التفاوت بين الشخصين معرفياً.^{٤١٣}

⁴⁰⁸ Norman R. F. Maier, "An aspect of human reasoning," *British Journal of Psychology* 24, (1933): 144-155.

⁴⁰⁹ Norman R. F. Maier, "Reasoning in rats and human beings," *The Psychological Review*, 44, (1937): 365-378.

⁴¹⁰ Fred M. Newmann, Higher order thinking in teaching social studies: A rationale for the assessment of classroom thoughtfulness. *Journal of Curriculum Studies* 22, no. 1 (1990): 41-56.

⁴¹¹ Frederic C. Bartlett, *Thinking: An experimental and social study*, (Allen & Unwin, 1958).

⁴¹² Arthur Lewis and David Smith, "Defining higher order thinking," *Theory into Practice* 32, no. 3 (1993): 131-137.

⁴¹³ Lewis and Smith, "Defining higher order thinking," 131-137.

المطلب السادس: تصنيف الأسئلة حسب مستويات التفكير التي تثيرها

ولقد لاحظت العلاقة بين التساؤل والتفكير من خلال التساؤل السقراطي كأسلوب في السعي وراء الفكر واستكشاف الأفكار المعقدة واتباع المضامين المنطقية للفكر من بين أمور أخرى.^{٤١٤} ويتم تسليط الضوء على هذا الارتباط أيضاً في الفكرة التي تعبر عن التفكير النقدي كـ "عملية فكرية مستهلة من خلال الأسئلة..."^{٤١٥} وهكذا تم النظر في الأسئلة من حيث مستوى التفكير.

ولقد صنف بلوم وآخرون عام ١٩٥٦م الأهداف التربوية، بعد ثماني سنوات من العمل، إلى ثلاثة مجالات: المعرفية والعاطفية والنفسية الحركية، حيث يتضمن المجال المعرفي تطوير المعرفة والمهارات الفكرية، ويشمل المجال العاطفي الطريقة التي يتعامل بها الأفراد مع الأشياء عاطفياً والمجال الحركي يتضمن الحركة الجسدية والمهارات الحركية، وتحت مجال المعرفي، والذي هو الأكثر صلة بدراستنا، قدموا أبكر تصنيف للأسئلة الذي يوفر صقالة لطرح الأسئلة التي تصبح أكثر تحدياً تدريجياً، ويوفر هيكلًا للمعلمين لنمذجة التفكير المعقد الذي في النهاية، يمكن أن يوجه الطلاب ليصبحوا مفكرين مستقلين متمكنين من تطوير وجهات نظرهم الخاصة.^{٤١٦} والتصنيف في ستة مستويات، وهو مصور كهزم مع أدنى المستوى من التفكير في أسفله وتفكير أعلى المستوى في أعلاه. وإنه تصنيف تسلسلي بمعنى أنه يتم إتقان المستويات الأدنى قبل الانتقال إلى المستويات الأعلى. وقد تكون الأسئلة إما هادفة إلى طلب أو اختبار المعرفة، أو الفهم، أو التطبيق، أو التحليل، أو التركيب، أو التقييم، وذلك من المستوى الأدنى إلى الأعلى. وبينما تتطلب أسئلة فئة الأدنى من الطلاب أن يتذكروا أو يتعرفوا على المعلومات والأفكار والمبادئ كما درسوها تقريباً، تتطلب منهم أسئلة فئة الأعلى التقييم أو النقد بناءً على معايير محددة.^{٤١٧} ولقد قام (أندرسون وكرثووهل "Anderson and Krathwohl"، ٢٠٠١م)^{٤١٨} بتعديل تصنيف بلوم عن طريق عكس أعلى فئتين وإعادة تسميتهما التقييم والإنشاء، وتقديم الفئات

⁴¹⁴ Paul and Elder, "Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning," 36-37.

⁴¹⁵ Christenbury and Kelly, *Questioning: A Path to Critical Thinking*, 1.

⁴¹⁶ See: Judith S. Nappi, The importance of questioning in developing critical thinking skills. *Delta Kappa Gamma Bulletin* 84, no. 1 (2017): 30-41.

⁴¹⁷ Bloom et. al., *Taxonomy of Educational Goals*.

⁴¹⁸ Lorin W. Anderson, David R. Krathwohl, Wittrock, M. C., *Taxonomy of learning, teaching, and assessing: A revision of Bloom's taxonomy of educational objectives* (2nd ed., abridged). (Pearson Allyn & Bacon, 2001).

الست على أنها التذكر والفهم والتطبيق والتحليل والتقييم والإنشاء، ثم قدما بالإضافة إلى ذلك، أربع فئات من المعرفة التي تتقاطع مع المستويات الستة، بحيث أصبح التصنيف المعدل ثنائي الأبعاد (أي، كل من الأصناف الستة للأسئلة يُنظر مع فئات المعرفة الأربع) على عكس التصنيف الأصلي أحادي البعد، فأصبح تعديلهم ذا أربعة وعشرين فئة، والأصناف المعرفة هي: (١) المعرفة الواقعية "factual knowledge"، وهي معرفة المصطلحات والتفاصيل المحددة والعناصر الأساسية لأي مجال، (٢) المعرفة المفاهيمية "conceptual knowledge"، وهي معرفة العلاقات والوظائف المتبادلة بين التفاصيل والعناصر التي تشكل بنية أكبر. وتشمل معرفة التصنيفات والفئات والمبادئ والتعميمات والنظريات والنماذج والهياكل، (٣) المعرفة الإجرائية "procedural knowledge"، وهي معرفة المهارات والخوارزميات والتقنيات والأساليب الخاصة بالموضوع بالإضافة إلى معايير تحديد وقت استخدام الإجراءات الصحيحة، (٤) المعرفة ما وراء المعرفة "metacognitive knowledge"، معرفة متى وأين تُستخدم سَوَقِيَّات (أي استراتيجيات) محددة للتعلم وحل المشكلات وكذلك كيف ولماذا يتم استخدام سَوَقِيَّات معينة، ومعرفة الفرد بقدرته أو ضعفه على إدراك ومعالجة المعلومات.

ولقد قام العديد من الباحثين بتكثيف تصنيف بلوم، على سبيل المثال، قسم (ويفر وجينسي "Weaver and Genci"، ١٩٦٠م) الأسئلة إلى نوعين: (١) الأسئلة التذكيرية، وهي أسئلة استدعاء المعلومات تحتل التكهّنات وإجاباتها قصيرة، والإجابة الصحيحة واحدة في الغالب، وغير محتاجة إلى مزيد التفكير أو التأمل وأكثر ما تعتمد على الذاكرة من الفهم. (٢) الأسئلة الفكرية، وهي أسئلة تتطلب فهم المعلومات وعلى الطالب التمكن من شرح المعلومات والتفكير بها، كما عليه التمكن في تقديم الجواب الصحيح والمنطقي مع أدنى التكهّن فيه. وتُشكّل هذه الأسئلة تحديًا للطالب وتفرض عليه قدرًا كبيرًا من الانتباه والتفكير، وتتطلب القدرة على إصدار الحكم والتحليل والتنظيم والمقارنة^{٤١٩}، ويبدو أن هذا إعادة تصنيف لتصنيف بلوم الذي يضع أدنى مستوى في فئة واحدة والمستويات الخمسة المتبقية في فئة أخرى. ووضع (تينكين "Tienken" وآخرون، ٢٠١٠م) الأسئلة في فئتين، وهما الأسئلة الإنتاجية، والتي تتوافق تقريبًا مع التحليل والتركيب والتقييم لتصنيف بلوم الأصلي، والأسئلة الإنجابية، والتي تتوافق مع

⁴¹⁹ Gilbert G. Weaver, and Louis Genci, *Applied teaching techniques*. (Pitman Publishing Corporation, 1960).

استدعاء وفهم وتطبيق وفق تصنيف بلوم.^{٤٢٠} وقام آخرون بتوسيع تصنيف بلوم مثل (كيري "Kerry"، ١٩٨٧م)^{٤٢١} الذي قسم الأسئلة التعليمية أو الصفية إلى تسعة أنواع، وهي: (١) سؤال استرجاع، والذي يتطلب تذكر المعلومات دون تطبيقها، (٢) سؤال التسمية، وهو طلب ذكر اسم نظرية أو قاعدة وهكذا دون توضيح كيفية ارتباط بالعوامل الأخرى، (٣) سؤال الملاحظة، والذي يتطلب وصف المشاهدات وبيان الملحوظ دون شرح (٤) سؤال السيطرة الذي يطرحه المدرس بهدف ضبط الفصل (٥) سؤال شبه السؤال أو السؤال الزائف، "يبني هذا السؤال وكأن المدرس يريد أن يقبل أكثر من إجابة واحدة ولكنه في الحقيقة يريد إجابة محددة"^{٤٢٢} (٦) السؤال التكهني، "يطلب من الطالب أن يتكهن حول نتيجة حالة افتراضية"^{٤٢٣} (٧) السؤال التحليلي أو التفكير، والذي يطلب تقديم أسباب حدوث أو عدم حدوث أحداث معينة (٨) السؤال التقويمي، وهو يتطلب موازنة نتائج وأسباب حالة أو قضية معينة (٩) سؤال حل المشكلات، والذي يتحدى المسؤول في كيفية ترتيب إيجاد الإجابة.^{٤٢٤} ويلاحظ (العزاوي، ٢٠١٠م) أن الأسئلة الخمسة الأولى تتطلب إجابات قصيرة وتفكيراً أقل، ومن ثم، هي أكثر انغلاقاً من بقية الأسئلة.^{٤٢٥}

المطلب السابع: نقد التصنيفات المتسلسلة

لقد سلط بعض الباحثين الضوء على عيوب التصنيف الهرمي للأسئلة مثل تصنيف بلوم، على سبيل المثال، انتقد (كريستينبري وكيلى "Christenbury and Kelly"، ١٩٨٣م) التصنيفات المتسلسلة لاعتمادها على قائمة واسعة من الأسئلة المعدة لتمثيل أو تغطية كل فئة أو مستوى بشكل كافٍ. كما يشير إلى الغموض بين بعض الفئات مثل التحليل والتفسير، حيث يصعب

⁴²⁰ Christopher H Tienken, Stephanie Goldberg, and Dominic Dirocco, "Questioning the questions," *Kappa Delta Pi Record* 46, no. 1 (2010): 39-43.

⁴²¹ Kerry, T. et. al. *Effective questions*. (Macmillan Education. Focus book, 1987).

^{٤٢٢} رحييم يونس كرو العزاوي، استراتيجيات طرح الأسئلة مع تطبيقات رياضية، (عمان: دار دجلة، ٢٠١٠)، ١٣-

^{٤٢٣} العزاوي، استراتيجيات.

^{٤٢٤} العزاوي، استراتيجيات.

^{٤٢٥} العزاوي، استراتيجيات.

التمييز بينهما - إنه يتم إجراء بعض التحليلات أثناء التفسير والعكس صحيح، ولا يُعرف أين ينتهي أحدهما ويبدأ الآخر. وبالإضافة إلى ذلك، على الرغم من عدم وجود دليل لإثبات تقدم منظم من مستوى إلى آخر، تقترح ذلك التسلسلات الهرمية، وهو أمر غير مضمون في مناقشات الفصل الدراسي. أخيراً، قالوا إن التسلسلات الهرمية تشير إلى أن بعض الفئات تتفوق على فئات أخرى، مثلاً، التطبيق أدنى من التركيب والتحليل أعلى من الفهم. قلت: إن مستوى الفهم والاستيعاب الذي هو المستوى الثاني من تصنيف بلوم مهم لجميع المستويات التي فوقها، فكيف يمكن للمرء تطبيق تحليل أو تجميع أو تقييم مفهوم بشكل صحيح دون فهمه؟ وكيف نخيل حال التفكير في غياب الفهم والاستيعاب؟ ربما قد يكون هناك فقط عدد قليل جداً من النتائج الناجحة لعملية التفكير. لذلك، على الرغم من أنه من المهم للفهم والاستيعاب أن يسبق المستويات التي تعلوها في عملية التفكير كما هو الحال في تصنيف بلوم، فإن اختيار المستوى الفائق أمر قابل للنقاش. وفي الواقع، التعسف أو الذاتية في ترتيب الفئات ملحوظ في التعديل الذي اقترحه (أندرسون وكراثوول "Anderson and Krathwohl"، ٢٠٠١م) عندما قاما بتبادل المستويين الخامس والسادس لترتيب بلوم الأصلي. مع ذلك، أعتقد أن فئات بلوم محددة جيداً، ولذا فإن دعمي للنقد ينصب على ترتيب الفئات وأولوياتها من حيث مستوى التفكير، من الأدنى إلى الأعلى، وليس على الفئات وتعريفاتها. سأتناول لاحقاً أسئلة من الحديث تُبلي تعريفات فئات بلوم.

المطلب الثامن: تصنيف غير هرمي

يُسلط هذا المطلب الضوء بإيجاز على النهج غير الهرمي للتفكير والتعلم، والذي يتجنب تحديد الأولويات الصارم لمستويات التفكير في النهج الهرمي كما تم انتقاده في الطلب السابق. وُصف التفكير غير الهرمي بأنه أسلوب لفهم وتنظيم المعرفة يقاوم الهياكل الثابتة من أعلى إلى أسفل لصالح الأنظمة اللامركزية والعلائقية. وبدلاً من إعطاء الأولوية لسلطة مفردة أو تقدم خطي، فإنه يعزز التعددية والسيولة وصنع المعنى الموزع. على سبيل المثال، يُصنّف مفهوم الجذور المعرفة على أنها غير خطية ولا مركزية، "بلا بداية ولا نهاية، دائماً في المنتصف".^{٤٢٦} تؤكد نظرية النظم

⁴²⁶ Gilles Deleuze and Félix Guattari, *A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia*, trans. Brian

على أن الأنظمة المعقدة تتميز بتفاعلات غير هرمية بين المكونات، حيث ينشأ المعنى من العلاقات الديناميكية بين العناصر.^{٤٢٧} في العلوم المعرفية، يُقال إن الإدراك لا يقتصر على الأفراد، ولكنه موزع بين الناس والقطع الأثرية بطرق موضوعية في سياق.^{٤٢٨} في مجال التعليم، تفترض نظرية الاتصالية أن التعلم يحدث من خلال الشبكات، وليس من خلال النقل الهرمي.^{٤٢٩}

ومن الأمثلة التطبيقية لمنهج التفكير غير الهرمي نموذج دوائر الاستجواب،^{٤٣٠} وهو منهج غير متسلسل ويتكون من ثلاث مكونات متداخلة - المادة (أي، موضوع المناقشة أو التساؤل)، والواقع الشخصي (أي، تجربة الفرد وأفكاره ومبادئ أو معايير سلوكه) والواقع الخارجي (أي، العالم؛ الخبرة والتاريخ ومفاهيم الأشخاص والثقافات الأخرى). وأسئلة أدنى مستوى من التفكير هي تلك التي تغطي واحدًا فقط من المكونات الثلاثة، والمستوى التالي أعلاه عبارة عن أسئلة تغطي أيّ مكونين من المكونات الثلاثة وتسمى أسئلة الإثراء "enrichment questions". والأسئلة الكثيفة "dense questions" هي الأسئلة التي تغطي جميع المكونات الثلاثة وتتطلب أعمق تفكير. للتوضيح، تأمل الطالب الذي يدرس الطهارة والصلاة. المادة في هذه الحالة هي نص الطهارة والصلاة، والواقع الشخصي هو تجربة الطالب وأفكاره ومعايير ومبادئه في السلوك، بينما الواقع الخارجي هو تجربة الآخرين وتاريخهم وثقافتهم، ومثال سؤال كثيف للطالب هو "متى تعتقد أنه من المبرر للناس القيام بأعمال الطهارة؟" لأن هذا السؤال يتطلب من الطالب النظر في أفكاره ضمن حدود النص في معالجة حالة الناس، أي الجمع بين جميع المكونات الثلاثة.

لا يخلو نهج التفكير غير الهرمي من الانتقادات أيضًا. فبينما يعزز استقلالية المتعلم وتعاونونه ولا مركزية المعرفة، تواجه نماذج التفكير غير الهرمي قيودًا عديدة. فإمكانية الغموض وغياب الهيكلية قد تعيق المتعلمين الذين يحتاجون إلى توجيه أو دعم أوضح. على سبيل المثال، قد يؤدي الانفتاح التام في الأنظمة المعقدة إلى عدم الاستقرار، مما يشير إلى أن بعض التسلسل الهرمي قد يكون ضروريًا لتحقيق التماسك والفعالية. علاوة على ذلك، حتى في البيئات غير

Massumi (University of Minnesota Press, 1987), 25.

⁴²⁷ Paul Cilliers, *Complexity and Postmodernism: Understanding Complex Systems* (Routledge, 1998), 4-5.

⁴²⁸ Edwin Hutchins, *Cognition in the Wild* (MIT Press, 1995), 289-290.

⁴²⁹ George Siemens, "Connectivism: A Learning Theory for the Digital Age," *International Journal of Instructional Technology and Distance Learning* 2, no. 1 (2005): 5.

⁴³⁰ Christenbury and Kelly, *Questioning: A Path to Critical Thinking*, 12-22.

الهرمية، قد تستمر ديناميكيات القوة غير الرسمية، مما قد يعزز أشكالاً خفية من السيطرة. كما تنشأ تحديات عملية في تطبيق هذه النماذج ضمن أطر مؤسسية صارمة تتطلب نتائج قابلة للقياس واتساقاً ومساءلة. وبالتالي، فبينما تقدم المناهج غير الهرمية مثلاً قيّمة، يجب تطبيقها بدقة وموازنتها مع الهيكل لتكون فعالة في البيئات التعليمية. ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤.

خلاصة الفصل

بحث هذا الفصل في العلاقة بين الأسئلة والمعرفة والتفكير، مبرزاً أن التساؤل يشكل المدخل الرئيس لاكتساب المعرفة، وأن المعرفة بدورها تغذي عمليات التفكير المختلفة. فالتفكير لا يحدث في فراغ، بل يستند إلى خلفية معرفية تمكّن الفرد من التحليل والاستنتاج وحل المشكلات. ومن هنا، يصبح السؤال أداة محورية للتعلم ومصدراً للمعرفة ومحركاً للتفكير بمستوياته المتعددة. في إطار هذا الطرح، يناقش الفصل مفهوم التفكير النقدي من خلال تتبع دلالات التفكير والنقد، ثم استعراض تعريفات متعددة وصولاً إلى تصورات معاصرة، ليخلص إلى أن التفكير النقدي هو تفكير تأملي معقول موجه نحو إصدار أحكام سليمة. ويلفت إلى الدور الجوهري للأسئلة في بناء هذا التفكير، إذ تُستخدم لتفكيك الافتراضات، واختبار الحجج، والكشف عن التناقضات، وتحديد مواضع الغموض. ويرتبط التفكير النقدي كذلك بمفهوم كمال الفكر الذي يقوم على معايير الوضوح والدقة والاتساق والإنصاف، وهي معايير يجدها الفصل متجذرة في الرؤية الإسلامية التي تجعل العدالة أساساً للنقد والتفكير السليم، مستشهداً بآيات قرآنية وأحاديث نبوية. كما يُبرز الفصل أن غياب التفكير النقدي القوي يسهم في تفاقم النزاعات وإعاقة التنمية المستدامة عالمياً. وإلى جانب ذلك، يعرض ملامح التفكير النقدي في الثقافة العربية من خلال النقد الأدبي والشعري ثم في علوم الحديث، مما يدل على رسوخ الممارسة النقدية في التراث العربي الإسلامي.

⁴³¹ George Siemens, "Connectivism: A Learning Theory for the Digital Age," *International Journal of Instructional Technology and Distance Learning* 2, no. 1 (2005): 4–5.

⁴³² Paul Cilliers, *Complexity and Postmodernism: Understanding Complex Systems* (Routledge, 1998), 9.

⁴³³ Gilles Deleuze and Félix Guattari, *A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia*, trans. Brian Massumi (University of Minnesota Press, 1987), 214.

⁴³⁴ Tara Fenwick and Richard Edwards, *Actor-Network Theory in Education* (Routledge, 2010), 23–24.

بعد ذلك، ينتقل الفصل إلى الاستقلال الفكري باعتباره قدرة الفرد على السيطرة العقلانية على معتقداته وقيمه واستدلالاته، أي التفكير لنفسه دون تبعية عمياء. ومع أن بعض الباحثين يعترضون على إمكانية الاستقلال المطلق بحجة حتمية الاعتماد المعرفي على الخبراء، إلا أن الفصل يوضح أن الاستقلال لا يعني الاستغناء عن الآخرين، بل الوعي بحدود المعرفة ومعرفة متى يكون الرجوع للخبراء ضرورة. وهذا الفهم يتسق مع التوجيه القرآني بسؤال أهل الذكر، ومع الحديث النبوي «أفلم يكن شفاء العي السؤال؟». وبذلك يصبح الاستقلال الفكري ثمرة للتفكير النقدي الذي يزود الأفراد بالأدوات اللازمة لاتخاذ قرارات رشيدة قائمة على الأدلة لا على التقليد.

ويتناول الفصل كذلك الإبداع بوصفه الإتيان بالجديد النافع، سواء على مستوى الأفكار أو العمليات أو المنتجات. ويُميز بين أنواعه الثلاثة: التوافقي، الاستكشافي، والتحويلي، كما يحدد عناصره الأساسية مثل الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والتفصيل، وحساسية المشكلة، والتفكير المتباعد، والمتقارب. ويربط بين الإبداع والتفكير النقدي من خلال عملية تقييم الأفكار واختيار الأفضل، كما يربطه بالاستقلال الفكري لأنه يستلزم مقاومة التقليد وتطوير الأفكار الأصيلة. ويؤكد على حضور الإبداع في الثقافة العربية الإسلامية التي جمعت بين الابتكار في العلوم والفنون وبين الالتزام بالقيم.

ثم ينتقل الفصل إلى مناقشة العلاقة بين التفكير والتعلم في ضوء النظريات التربوية الكبرى، موضحًا أن السلوكية تفسر التفكير باعتباره استجابة مكتسبة، بينما ترى البنائية أن المعرفة تُبنى بالتفاعل مع البيئة، في حين تركز النظرية المعرفية على العمليات الداخلية كالذاكرة وحل المشكلات، وتضيف نظرية التعلم الاجتماعي بعد الملاحظة والنمذجة. والخلاصة أن التفكير ليس مجرد عملية موازية للتعلم، بل هو شرط وهدف له في آن واحد.

ويعرض الفصل بعد ذلك التمييز بين التفكير منخفض المرتبة الذي يقتصر على التذكر والفهم والتطبيق، والتفكير عالي المرتبة الذي يشمل التحليل والتقييم والإبداع. ويوضح أن الانتقال نحو التفكير العميق يحتاج إلى أسئلة محفزة ومواقف تعليمية تفاعلية. ومن هنا تبرز أهمية تصنيف الأسئلة بحسب مستويات التفكير التي تثيرها، حيث إن الأسئلة البسيطة تستدعي

التفكير السطحي بينما الأسئلة المفتوحة والجدلية تثير التفكير المعقد، والتدرج في الأسئلة يسهم في بناء قدرات المتعلم بشكل متوازن.

غير أن الفصل ينتقد النماذج الهرمية الجامدة التي ترى التفكير متسلسلاً على نحو خطي من الأدنى إلى الأعلى، مبيّناً أن العمليات الذهنية متداخلة، وأن الفرد قد يبدأ بالإبداع مباشرة دون المرور بكل المستويات الأدنى، كما أن السؤال الواحد قد يثير مستويات متعددة في وقت واحد. ولهذا يقترح الفصل تبني تصنيفات غير هرمية تقوم على نماذج شبكية أكثر مرونة تعكس طبيعة التفكير البشري الحقيقية، وتتيح للتربويين تصميم مناهج وأسئلة تراعي تنوع أنماط التفكير بين الأفراد.

وبذلك يخلص الفصل إلى أن العلاقة بين التساؤل والمعرفة والتفكير علاقة متبادلة، حيث يولّد السؤال المعرفة، وتغذي المعرفة التفكير، ويقود التفكير بدوره إلى أسئلة جديدة. كما يتضح أن التفكير النقدي، والاستقلال الفكري، والإبداع تمثل ركائز أساسية لتشكيل عقلية ناقدة مستقلة ومبدعة، وأن هذه الركائز لا تنفصل عن النظريات التربوية ولا عن مستويات التفكير وتصنيفات الأسئلة. وبهذا يشكّل الفصل إطاراً معرفياً متكاملاً يمهد للانتقال إلى التطبيق العملي في الفصل اللاحق من خلال دراسة الأسئلة الواردة في الأحاديث النبوية.

الفصل الرابع

ملاحظة التفكير في الأسئلة الواردة في الأحاديث

أوضح الفصل السابق الترابط بين الأسئلة والمعرفة والتفكير، مشيراً إلى أن التساؤل يُعتبر المفتاح الأساسي لاكتساب المعرفة، وأن المعرفة بدورها تعزز مختلف عمليات التفكير. ويسعى هذا الفصل إلى إظهار دور الأسئلة في تحفيز التفكير، مركزاً على الأسئلة الواردة في الأحاديث ومراتب تصنيف بلوم، والتفكير النقدي، والاستقلال الفكري، والإبداع.

المطلب الأول: أمثلة الأسئلة الواردة في الحديث حسب تصنيف بلوم

ولنذكر الآن أمثلة على الأسئلة الواردة في الحديث حسب تصنيف بلوم للأسئلة.

أ - الأسئلة المعرفية أو التذكيرية

تُعتبر الأسئلة في هذا الصنف من أقل عبأً فكرياً لأن الإجابة عليها تتطلب مجرد استدعاء أو التعرف على المعلومات والأفكار والمبادئ في الشكل التقريبي الذي تم تعلمها به، ومن أمثلها في الحديث، الأسئلة الواردة في حديث جبريل المشهور حيث سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة (ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟)، فسرد النبي ﷺ له الأركان الخمسة للإسلام والستة للإيمان ثم عرّف له الإحسان بأنه "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، ثم قال عن وقت قيام الساعة: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" ثم أخبره عن أماراتها.^{٣٥} ونلاحظ أن النبي ﷺ كان لا يتكلم من تلقاء نفسه، بل كان يتبع ما عُلّم عن طريق الوحي ويتكلم وفق ما أوحى إليه - ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ

^{٣٥} انظر: مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِإِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ ﷻ،

إِيَّيَّ) [الأنعام ٦: ٥٠] ^{٤٣٦} - خاصة عند تعليم الناس الدين الذي أرسل به، ومن ذلك الإجابة عن الأسئلة على غرار ما ورد في هذا الحديث مثل ما جاء عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» ^{٤٣٧}، والأسئلة في الحديثين إما حول تعريف مفهوم أو ذكر الحقائق وبالتالي تلبي معايير مستوى المعرفي أو التذكري. ومن الأمثلة أيضاً ما ورد في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، حيث ميز رسول الله ﷺ بين حقين - حق الله على عباده وحق عباده عليه، قال معاذ: "كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَّرُوا» ^{٤٣٨} والسؤالان الواردان في الحديث يوجبان تذكر حقائق معروفة مما يجعلهما من الأسئلة المعرفية أو التذكيرية.

ب - الأسئلة الاستيعابية

تتطلب الأسئلة في هذه الفئة من الشخص الذي يتم استجوابه إظهار القدرة على ترجمة المعلومات وفهمها وتفسيرها بناءً على التعلم السابق، ومثال ذلك في حديث ما رواه الإمام البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام ٨٢: ٦]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام ٨٢: ٦] بِشِرْكٍ، أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ^{٤٣٩} والواضح أن السؤال الذي طرحه الصحابة على رسول الله ﷺ كان

^{٤٣٦} انظر أيضاً: [يونس ١٠: ١٥] و[الأحقاف ٤٦: ٩]

^{٤٣٧} مسلم، المصدر نفسه، كتاب الإيمان، باب مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا دَخَلَ النَّارَ، ٩٤: ٩٣.

^{٤٣٨} مسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، ٥٨: ١ (٣٠).

^{٤٣٩} البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ٤: ١٢٥]، ١٤١: ٣٣٦٠.

لاستيضاح معنى لفظ "ظلم" وطلب فهم ي أعمق من فهمهم المعتاد للكلمة مما جعلهم يشعرون بأنهم غير مؤهلين للأمن ولا من المهتدين كما تشير الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام ٦: ٨٢]، فشرح لهم كما جاء في الحديث. وبالتالي، السؤال في المستوى الاستيعابي وفقا لمعايير تصنيف بلوم. ومثال مماثل السؤال في حديث «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ» عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، حيث طلبت من النبي ﷺ إيضاح قوله حول حب لقاء العبد لربه، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكْرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»،^{٤٠} ونلاحظ تعبير أم المؤمنين استفهاما عن الطبع البشري المعروف فيما يتعلق بكراهية الموت، والذي يبدو مخالفا لظاهر الحديث النبوي، مما جعل استفسارها في محله، ونتج إلى البيان النبوي القيم في الحديث. وعليه، فإن الاستفهام في الحديث من الأسئلة الاستيعابية حسب تصنيف بلوم. وعلى غرار هذه الأمثلة السؤال الذي طرح على النبي عندما ذكر لعن الرجل والديه من ضمن الكبائر، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ». ^{٤١} وفي حديث «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ» كان النبي ﷺ هو السائل حيث سأل معاذ عن حق الله على العباد وعن حق العباد على الله، فكان مضمون إجابة معاذ أنه لا يدري، فبين له النبي ﷺ أن حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ «أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» وأن حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». ^{٤٢} وكان سؤالي النبي ﷺ في الحديث «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» و«هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» طُرْحَا عليه استيضاحا بعد أن سمعه أحد المستمعين يذكر أن لله ﷻ حق على عباده، وأن للعباد حق على الله ﷻ إن وافوا حق الله ﷻ، وهذا أسلوب تعليمي فعال حيث يقوم المعلم بصياغة

^{٤٠} مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، ٤: ٢٠٦٥ (٢٦٨٤).

^{٤١} البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ٨: ٣ (٥٩٧٣).

^{٤٢} البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعدك، ٨: ٦٠ (٦٢٦٧).

الأسئلة من المفاهيم التي ينوي تدريسها من أجل تقييم معرفة الطلاب بتلك المفاهيم، وإثارة اهتمامهم بالمفاهيم، وتحديد أهداف الدراسة وهلم جرى.

ج - الأسئلة التطبيقية

الأسئلة في هذه الفئة تثير التفكير لأجل تحديد ونقل واستخدام البيانات والمبادئ لحل مشكلة أو لإكمال مهمة بأقل قدر من التوجيه، ومثال ذلك من رواية الإمام البخاري^{٤٣} عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، كَانَ يُحَدِّثُ: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظِلَّةً تَنْطَفُ السَّمْنُ وَالْعَسَلُ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا، فَالْمُسْتَكْتِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَإِذَا سَبَبَ وَاصِلٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَنَقَطَ ثُمَّ وَصَلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَأْيِ أَنْتَ، وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَأَعْرِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اعْرِهَا» قَالَ: أَمَّا الظِّلَّةُ فَلِإِسْلَامٍ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطَفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ، خَلَاوَتُهُ تَنْطَفُ، فَالْمُسْتَكْتِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوصَلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَأْيِ أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لَا تُفْسِمُ». "ونلاحظ أن إخبار الرجل منامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمثال سؤال غير مباشر، إذ يعني أنه كان يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيره للمنام. وتطوع أبو بكر لتفسير المنام، وسمح له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك دون أن يتدخل في تفسيره أو يوجهه، فربط أبو بكر ما حدث في المنام بعلمه وفهمه للإسلام والقرآن وكون الإنسان على الحق، وبالتالي، لقد استخدم البيانات والمبادئ لإكمال مهمة بدون أي توجيه، فنرى أن هذا من أنشطة مستوى التطبيقي وفق تصنيف بلوم.

^{٤٣} البخاري، كتاب الحيل، باب مَنْ لَمْ يَرَ الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَايِرٍ إِذَا لَمْ يُصَبِّ، ٩: ٤٣ (٧٠٤٦).

د - الأسئلة التحليلية

تتطلب الأسئلة التحليلية من المستجوب تمييز وتصنيف وربط الافتراضات، أو الفرضيات أو الأدلة أو بنية العبارة أو السؤال، ومن ضمن أمثال ذلك في الحديث ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث جاء أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه إنجاب امرأته غلاما أسود راغبا نفي المولود: "إِنَّ أَمْرًا بِي وَكَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَاهَا؟». قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟». قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقُ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقُ نَزَعَهُ». ^{٤٤} وَلَمْ يَرْحُصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ." ولقد افترض الأعرابي استحالة كون مولود له أسود، ومن ثم، حدوث ذلك إشارة إلى سبب من أسباب نفي المولود، فقاده النبي صلى الله عليه وسلم خلال خطوات تحليل موضوعي للقضية باستخدام الأسئلة تدرجا واختيار مثل مناسب حتى فهم أن افتراضه الأساسي غير صواب، فرضي بالمولود بدلا من نفيه. ومن الجدير بالملاحظة أن الأسئلة في هذا الحديث من أمثلة الأسئلة المحفزة للتفكير النقدي، والذي سيأتي مناقشته في المبحث التالي، وذلك يدل على أن مستوى التفكير الذي يحفزه أسئلة هذه الفئة من متطلبات التفكير النقدي. ومن الأمثلة أيضا حديث اللقاء بين أبي سفيان وهرقل عظيم الروم عند البخاري ^{٤٥} حيث طرح هرقل عدة أسئلة هادفا إلى فحص أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقارنة بمعرفته برسل الله لمعرفة أصالة الرسول صلى الله عليه وسلم أو عدمه، وقال في تحليله النهائي: "سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ أَتَبْعُوهُ أَمْ ضِعْفَاءُ هُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَ هُمْ أَتَبْعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَزِيدُونَ أَمْ

^{٤٤} البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين، قد بين الله حكمهما، ليفهم

السائل، ٩: ١٠١ (٧٣١٤).

^{٤٥} البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١: ٨ (٧).

يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَهْمَ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَّرْتَدُّ أَحَدٌ سَحْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّه يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّه خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّه مِنْكُمْ... " ومن خلال السلسلة الأسئلة التي طرحها هرقل والتحليل الذي أعقبها اعتمادا على خلفيته معرفية حول صفات رسل الله، استطاع التمييز بين من هو رسول حقيقي من الله وبين من لا. وهكذا، كان قادراً على الاستنتاج بشكل صحيح أن محمداً ﷺ كان رسولاً حقيقياً من الله.

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه بينما يتحدث رسول الله ﷺ عن الصدقة، سئل عن الخيول: "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: " الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزَّرَ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتَّرَ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجَرَّ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزَّرَ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزَّرَ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتَّرَ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتَّرَ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجَرَّ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَائِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٍ، وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا، أَوْ شَرْفَيْنِ، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَائِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى تَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ. "٤٦٦ والملاحظ في الحديث تصنيف أصحاب الخيل إلى ثلاثة أصناف، وتمييز بين الأصناف، والتصنيف والتمييز من معايير المستوى التحليلي حسب تصنيف بلوم.

ه - الأسئلة التركيبية

تتطلب الأسئلة التركيبية إنشاء الأفكار وتكاملها وتجميعها في منتج أو خطة أو اقتراح جديد، ومثالها في الحديث ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

٤٦٦ مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ٢: ٦٨٠ (٩٨٧).

"أَخْبَرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشَبِّهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا وَلَا تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ" قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّحْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّحْلَةُ» فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّحْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُم تَكَلِّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا. "٤٧" والملاحظ أن رسول الله ﷺ عرض خصال وتوقع من الصحابة أن يجمعوها تركيباً جواباً لسؤاله. وتكشف إعادة النظر في الحوار الشهير بين أبي سفيان وهرقل المذكور أعلاه (تحت قسم "الأسئلة التحليلية") أن الخطوة الأخيرة التي قام بها هرقل هي الجمع بين إجابات أبي سفيان على أسئلته للوصول إلى قراره النهائي، وذلك عملية التركيب. ومن الأمثلة أيضاً، الأسئلة الواردة في حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم وغيره في أن الاعتقاد على الصوم واتباع الجنائز وإطعام المساكين وعبادة المرضى خصال تدخل صاحبها الجنة: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». "٤٨" ومن خلال الأسئلة الواردة في الحديث تم تسليط الضوء على الخصائص الفردية المختلفة ومن ثم دمجها في النتيجة المرجوة، وذلك يُظهر عملية التركيب.

و - الأسئلة التقييمية

تتطلب أسئلة هذه الفئة أن يقوم المطروح عليه بالتقييم أو بالتخمين أو بالنقد على أساس معايير ومقاييس محددة، ومن أمثلها الأسئلة الواردة في الحديث «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» عند البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم، واللفظ لمسلم^{٤٩}: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ

^{٤٧} البخاري، الصحيح، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، ٦: ٧٩ (٤٦٩٨).

^{٤٨} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبَرِّ، ٢: ٧١٣ (١٠٢٨).

^{٤٩} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢: ٦٩٩ (١٠٠٨).

النبي ﷺ؛ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يَمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ. فَإِنَّمَا صَدَقَةٌ». لقد جاء السؤال "أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟" كرد فعل على قول النبي ﷺ «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» طلباً لتقييم القول حسب معيار معلوم عند السائل، وهو توافر ما يتصدق به، وقد يفهم السؤال كنقد خفي: مثل "كيف يكون هكذا وليس لكل واحد ما يتصدق به؟"، وذلك حسب تصور السائل للصدقة، وهكذا بقية الأسئلة أيضاً، إذ قد لا يتمكن الجميع من العمل بأيديهم ولا مساعدة محتاج ولا الأمر بالمعروف، وعليه فإنه يمكن اعتبار الأسئلة كأسئلة تقييمية. وجاء التقييم في إجابات النبي ﷺ حيث بين أن المراد بالصدقة أعم من تصور السائل ولو بإعانة الملهورف^{٤٥٠} أو الإمساك عن الشر، والملهورف هو المضطر الذي قد شغله همه بحاجته عن كل ما سواها،^{٤٥١} وقال مصطفى البغا في تعليقه الهامشي: "الملهورف هو المظلوم والعاجز المضطر الذي يستغيث بك."^{٤٥٢} ويشير الإجابات النبوي أيضاً إلى أن معايير الصدقة أكثر من معيار واحد (أي عطية) حسب رأي السائل، وذلك أيضاً ملحوظ من تسمية الباب في صحيح مسلم: "بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ".

ومن الأمثلة أيضاً الأسئلة الواردة في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخَذَ مَالِي؟ قَالَ «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ «هُوَ فِي النَّارِ».^{٤٥٣} ولقد جاء السائل يستشير عن الطريقة الأمثل للتعامل مع حالة الغضب، علماً أنه إذا تمت مقاومة مطالب الغاصب، فسوف يحصل قتال قد

^{٤٥٠} انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح، ٣: ٣٠٨.

^{٤٥١} انظر: محمد الأمين، الكوكب الوهاج، ١٢: ٣٩.

^{٤٥٢} انظر الهامش: البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢: ١١٥ (١٤٤٥).

^{٤٥٣} مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخَذَ مَالَ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرِ الدَّمِ فِي حَقِّهِ، وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ١: ١٢٤ (١٤٠).

يؤدي إلى مقتل أي من المقاتلين، وكان ذلك تقييماً للحالة، والذي وافق تقييماً النبي ﷺ إلا أن النبي ﷺ كان عارفاً بأنه يُصبح صاحب مالٍ شهيداً إن قُتل وهو يقاوم غاصباً بينما الغاصب في النار إن قُتل أثناء غضبٍ، وبناءً على هذا المعيار أفتى النبي ﷺ بمقاومة الغاصب وإن أدى ذلك إلى قتال وموت.

ومن الأمثلة أيضاً، روى الإمام الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الصَّيْدِ، فَقَالَ: «إِذَا رَمَيْتَ بِسَهْمِكَ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ قُتِلَ فَكُلْ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَاءٍ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءُ قَتَلَهُ أَوْ سَهْمُكَ»^{٤٥٤}، وعنه أيضاً عند الإمام البخاري قال: "سألتُ رسولَ الله ﷺ عن المِعْرَاضِ، فَقَالَ: «إِذَا أَصَبْتَ بِحِدِّهِ فَكُلْ، فَإِذَا أَصَابَ بِعَرَضِهِ فَقَتَلْ فَإِنَّهُ وَقِيدٌ فَلَا تَأْكُلْ»، فَقُلْتُ: أُرْسِلُ كُلِّي؟ قَالَ: «إِذَا أُرْسَلَتْ كُلُّبُكَ وَسَمَّيْتَ فَكُلْ» قُلْتُ: فَإِنْ أَكَل؟ قَالَ: «فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّهُ لَمْ يُمَسِّكْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ» قُلْتُ: أُرْسِلُ كُلِّي فَأَجِدُ مَعَهُ كُلْبًا آخَرَ؟ قَالَ: «لَا تَأْكُلْ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كُلِّكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى آخَرَ»^{٤٥٥}، وكلا الحديثين يشيران إلى ضرورة تقييم الوضع فيما يتعلق بما تم اصطياده من قبل الكلاب لتحديد ما إذا كان يأكله أم لا، وهذا يؤهل السؤال المؤدي إلى ذلك ليكون على مستوى التقييم.

المطلب الثاني: ملاحظة التفكير النقدي في الأسئلة الواردة في الأحاديث

الحديث النموذجي الذي أود أن أبدأ به هذا القسم هو حديث أبي أمامة الباهلي الذي أخرجه أحمد في مسنده^{٤٥٦} والطبراني في معجم الكبير^{٤٥٧} وأيضاً في مسند الشاميين^{٤٥٨} وغيرهما، واللفظ لأحمد أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ

^{٤٥٤} الترمذي، السنن، أبواب الصَّيْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ يَرْمِي الصَّيْدَ فَيَجِدُهُ مَيْتًا فِي الْمَاءِ، ٤: ٦٧

(١٤٦٩). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^{٤٥٥} البخاري، الصحيح، كتابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ، بَابُ صَيْدِ الْمِعْرَاضِ، ٧: ٦٨ (٥٤٧٦).

^{٤٥٦} ابن حنبل، المسند، ٣٦: ٥٤٥ (٢٢٢١١). وقال المحققون: "إسناده صحيح".

^{٤٥٧} الطبراني، المعجم الكبير، ٨: ١٦٢ (٧٦٧٩) و ٨: ١٨٣ (٧٧٥٩).

^{٤٥٨} الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد

المجيد السلفي (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٢: ١٣٩ (١٠٦٦) و ٢: ٣٧٣ (١٥٢٣).

وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: «اذْنُهُ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِحَالَاتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.^{٥٩٩} وصححه العراقي والأرنؤوط والألباني وغيرهم.

والملاحظ أن الشاب كان مدفوعاً بشغفه الذي غيم على فكره وحصره فكرياً في كيفية إشباع ذلك الشغف. ومن الواضح أنه كان يعلم أن ما يريده ممنوع وأصبح إيمانه بمثابة حاجز بينه وبين رغبته ودفعه لاستأذان مصدر التشريع كوسيلة لطمأنينة قلبه لأنه لن يكن آثماً إن رُحِّصَ للمضي قدماً في رغبته لأنه لا يمكن تصور أن النبي ﷺ سيوافق على خطيئة. ولقد أيقظه النبي ﷺ من خلال استخدامه الماهر للأسئلة على التعاطف الفكري والإحساس بالعدالة الفكرية، حتى أدرك أن ما يريده سيؤثر على شخص آخر بشكل لا يرغب فيه لنفسه، وقواه تلك الخبرة إيماناً وفكرياً. وفي الواقع، يمكن القول إن النبي ﷺ قاده من خلال الأسئلة من خلال طرح الأسئلة إلى التفكير من حيث مصلحة المجتمع ككل، من ثم، إلى تقدير التفكير النقدي بالمعنى القوي.

وقد ورد استخدام مماثل للأسئلة في حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما - سبق تخريجه - ولفظاً للبخاري: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلَوَاهَا؟». قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟». قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوْزُقًا، قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ». وَلَمْ يَرْحِصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ." من خلال اختيار مثال مناسب واستخدام الأسئلة، قاد النبي ﷺ الرجل إلى التفكير في وجهة نظر أخرى لم يكن قد أخذها في الاعتبار من قبل، وكان التركيز على الافتراض الكامن وراء

^{٥٩٩} ابن حنبل، المسند، ٣٦: ٥٤٥ (٢٢٢١١). وقال المحققون: "صحيح".

فكره، والذي أظهر الاستنتاج أنه خاطئ. إذا أخذنا في الاعتبار معايير تقييم الاستدلال، نرى أن قول الرجل "ولدت امرأتي غلاماً أسوداً وأنكرته" يجسد بوضوح السؤال الضمني وراء فكره "كيف يمكن أن تلد زوجتي ولداً أسوداً مني وأنا أبيض؟"، وغرضه، أي، نفي الولد، وذلك على افتراض استحالة أن يكون له ولزوجته نسل أسود، وهذا أيضاً من وجهة نظره. المثال وطريقة الاستجواب التي استخدمها النبي ﷺ جعلت الرجل يدرك بسهولة مدى تعقيد الموضوع وإمكانية حدوث ما كان يظنه مستحيلاً. وقد تناول العلماء هذا الحديث من ناحية القذف وحده، سواء بالتعريض أو التصريح،^{٤٦٠، ٤٦١} لكن هذا النقاش يخرج عن نطاق هذا البحث، ويمكن للقارئ المهتم الرجوع إلى الاقتباسات الواردة في فتح الباري لابن حجر وشرح صحيح مسلم للنووي.

ولننظر مرة أخرى إلى حديث الحوار بين أبي سفيان وهرقل المذكور أعلاه ضمن أمثلة الأحاديث التي تحتوي الأسئلة التحليلية والتركيبية. من الواضح أن هرقل كان عارفاً بصفات رسل الله وصاغ أسئلته عن قصد للبحث عنها، وعلى الرغم من أنه لم يكن يتوقع أن يأتي الرسول ﷺ من العرب، فقد قيم إجابات أبي سفيان لأسئلته التي طرحها بشكل عادل وتوصل إلى الاستنتاج الصحيح المتعارض مع توقعه أو وجهة نظره، وكان ذلك عرضاً للتفكير النقدي بالمعنى القوي.

فيما يلي نود أن نتناول بعض الأسئلة في كتب الحديث الستة من حيث عناصر الفكر والمعايير الفكرية وخصائص أو سمات الفكر. نبدأ بالسؤال الأول الوارد في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ عن مجيء الوحي إليه قائلاً: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ».

^{٤٦٠} انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٠: ١٣٣-١٣٤.

^{٤٦١} انظر: ابن حجر العسقلاني، الفتح، ٩: ٤٤٣.

أخرجه الشيخان^{٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤} وغيرهما. والمراد بالوحي من ضمن المعاني العديدة له هو ما يلقيه الله ﷻ إلى النبي ﷺ من كلامه حتى علمه،^{٤٦٥} وهناك من العلماء من يرى أن المقصد بهذا السياق هو نزول القرآن،^{٤٦٦} وقد قدم البعض احتمالات للمسؤول عنه، وهي إما صفة الوحي أو صفة حامله الذي يأتي به أو ما هو أعم من ذلك ويرون إسناد الإتيان إلى الوحي مجازاً، بينما الحقيقة في وصف حامل الوحي^{٤٦٧}، والمعتز لهذا الرأي هو أنه لا حاجة إلى ادعاء المجاز هنا لأن من جيء به فقد جاء^{٤٦٨}، ونوقش أيضاً من حيث كيفية ابتداء الوحي وكيفية ظهور الوحي مع اهتمام بملائمة أو انسجام الحديث مع باب بدء الوحي في صحيح البخاري، وقال ابن حجر: "يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْمُنَاسَبَةَ تَظْهَرُ مِنَ الْجَوَابِ لِأَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى انْحِصَارِ صِفَةِ الْوَحْيِ أَوْ صِفَةِ حَامِلِهِ فِي الْأَمْرَيْنِ فَيَشْمَلُ حَالَةَ الْإِبْتِدَاءِ".^{٤٦٩}

إذا نظرنا إلى السؤال "كيف يأتيك الوحي؟" فمن الواضح أن الحارث بن هشام^{٤٧٠} كان يعتقد أن الوحي يأتي إلى النبي ﷺ، ومع ذلك، فإن فضوله جعله يتساءل عن كيفية حدوث ذلك بالضبط. وفهم الرسول ﷺ السؤال وأجابه دون أن يطلب إيضاحات ولم يخبره الحارث أن الجواب الذي قدمه لم يكن ما كان يسأل عنه. لذا، فإن الاحتمالات المقدمة حول الغرض من السؤال كانت صحيحة من الناحية الفنية، ولكن ليست من الناحية العملية حيث كان كل شيء واضحاً بين السائل والمستوجب.

^{٤٦٢} البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، ١: ٤ (٢).

^{٤٦٣} البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٣: ١١٧٦ (٣٠٤٣).

^{٤٦٤} مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، ٤: ١٨١٦ (٢٣٣٣).

^{٤٦٥} انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦: ٩٣.

^{٤٦٦} انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٧)، ١٤: ٥١.

^{٤٦٧} انظر: ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١: ١٩.

^{٤٦٨} انظر: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، شرح التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، المكتبة الشاملة، ٣: ٦.

^{٤٦٩} انظر: ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١: ١٩.

وعند النظر في معايير التقييم، من المهم الأخذ في الاعتبار أن هذا لم يكن حال ينطوي على وجهات نظر متعارضة. وبالتالي، فإن الحساسية لوجهات النظر البديلة أو خطوط التفكير والاعتراضات المأخوذة منها ليست ذات صلة في هذا السياق. إن السؤال استفسار عن شيء آمن به السائل بالفعل بسبب تجربته مع الرسول ﷺ. إنه فقط لم يكن يعرف كيف كان يحدث ذلك، وكان هذا هو الهدف من سؤاله، والذي تم ذكره بشكل جيد والغرض منه واضح جداً، وهو السعي لمعرفة كيفية وصول الوحي بالضبط إلى النبي ﷺ. وبالتالي فإن السؤال والغرض منه واضحان ولا داعي لتوضيح المفاهيم. وإن كان هناك أي أمر بديهي بغير حاجة إلى التثبيت عند السائل فهو أن الوحي قد أتى النبي ﷺ، وتجربته مع النبي ﷺ تجعل ذلك أقوى من افتراض. ومن ثم، فقد تم استيفاء المعايير القياسية المطبقة لتقييم التفكير في سياق السؤال المعبر.

وأما فيما يتعلق بالسّمات الفكرية، فإن التواضع الفكري للسائل واضح لأن السؤال يعبر عن اعترافه بحدود معرفته. وعلى الرغم من أنه يؤمن بأن الوحي يأتي النبي ﷺ، إلا أنه لا يعرف كيف يحدث ذلك. ولم يمنعه إيمانه من التساؤل، بل اعتقد أنه يجب أن يكتشف ذلك، مما يوحي بالاستقلالية الفكرية حيث يسأل المفكر عندما تكون الأسئلة مناسبة. وبالنسبة للسّمات المتبقية، قد يُلاحظ المثابرة الفكرية من خلال أسئلة متتابعة هادفة إلى الحصول على استنتاج معين أو على الإيضاح لمفهوم ما، وأما الشجاعة الفكرية، والتعاطف الفكري، والنزاهة الفكرية، والتصديق بالعقل، والشعور الفكري بالعدالة تنطبق في مواقف التعامل مع الخصوم أو الآراء المعارضة.

وإن الأسئلة المطروحة على الرسول ﷺ من هذا النوع كثيرة في الأحاديث وفي أبواب شتى، ونرى تفريعها إلى صنفين: في واحد منهما، تأتي الأسئلة من السائلين دون أي شيء في الحديث يسبب لهم أو يحفزهم على طرحها، وفي الصنف الآخر، الأسئلة مطروحة استيضاحاً لمعلومات مقدمة في الحديث أو طلباً لزيادة المعلومات. ومن أمثلة الصنف السابق، سؤال عن قيام الساعة: عن أنس بن مالك وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهن في أحاديث متفرقة أن رجلاً أو أعرابياً أو رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، متى الساعة؟" وفي

رواية "مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ"، متفق عليه.^{٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦} إن لهذا السؤال خصائص مشابهة للسؤال حول مجيء الوحي أعلاه - يسأل المستجوبون عن شيء يؤمنون به سعيًا لمعرفة شكل أفضل. إنهم مؤمنون بالرسول ﷺ ومن ثم بما أخبرهم به عن الساعة، لكنهم متشوقون أو فضوليون إلى الوقت المحدد لإقامتها. وبالتالي، فإن جميع الملاحظات المتعلقة بعناصر الفكر والمعايير الفكرية والسمات الفكرية في حالة السؤال حول مجيء الوحي أعلاه تنطبق أيضًا على السؤال عن الساعة هنا.

وفي روايات أنس بن مالك (انظر مثلاً: صحيح البخاري، رقم ٣٤٨٥ و ٨٥١٥)، استغل الرسول ﷺ سؤالاً لَلْفَتْ الانتباه إلى أهم ما يجب أن يكون عليه الاهتمام تحت الموضوع، وهو الاستعداد لقيام الساعة بدلا من معرفة وقت قيامها حيث قال: «وما أعددت لها؟» وفي رواية «ويلك، ما أعددت لها؟» وذلك لأنه إذا تهيأ لها المرء بالطاعات وجاهز لها وحدثت فهو آمن من ضررها ولو كان جاهلا بوقت وقوعها. ومع ذلك، فإن مجرد معرفة وقت قيام الساعة لا تمكن المرء من منع حدوثها ولا من الهروب منها، ولذا، فإن الفائدة في الاستعداد لها لا في معرفة وقت قيامها. من حيث عناصر الفكر، وإن كان السؤال واضحا من حيث بيانه والغرض منه، فإنه يفتقر إلى الدلالة والملاءمة لما فيه فائدة للسائل أو نفع له، وذلك لعدم سعة وجهة نظره، وقد نبهه النبي ﷺ إلى ذلك بأسلوب يُعرف بأسلوب الحكيم، وهو تحويل الساعي تجاه ما هو أنفع له بدلا مما يسعى إليه، وقيل هو "تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد"،^{٤٧٧} ومن الأمثلة

^{٤٧٠} البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مُسْتَعْلٍ في حديثه، فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ، ١: ٣٣ (٥٩).

^{٤٧١} البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص، القرشي، العدوي، رحمته الله، ٣: ١٣٤٩ (٣٤٨٥).

^{٤٧٢} البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرُّجُلِ وَيْلَكَ، ٥: ٢٢٨٢ (٨٥١٥).

^{٤٧٣} البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ٥: ٢٣٨٧ (٦١٤٦).

^{٤٧٤} البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا فِي الطَّرِيقِ، ٦: ٢٦١٥ (٦٧٣٤).

^{٤٧٥} مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ٤: ٢٠٣٢ (٢٦٣٩).

^{٤٧٦} مسلم، الصحيح، كتاب أشراف الساعة، باب قرب الساعة، ٤: ٢٢٦٩ (٢٩٥٢).

^{٤٧٧} انظر تعليق المحققين في الهامش: أبو البقاء العكبري الحنبلي، إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث،

القرآنية لهذا الأسلوب قوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢: ٢١٥]، "فالسؤال عن جنس المنفق فعَدَلَ عنه في الجواب إلى ذكر المنفق عليه لأنه أهمَّ وَكَانَ اعْتِنَاءُ السَّائِلِ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ أَوَّلَى"،^{٧٨} ومنها الحوار الذي وقع في التفاعل بين ابني آدم: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتَتَلَكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٥: ٢٧] لأن الجواب "تلقاه بغير ما يتطلب وبما هو أهم له من القتل، وإليه الإشارة بقوله: 'وما لك لا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول.'^{٧٩}

ومن الأمثلة المشابهة بالسؤال عن مجيء الوحي إلى النبي ما ورد عن أم المؤمنين عائشة قالت: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" قَالَ: «خُفَاءَ عُرَاءَ»، قُلْتُ: وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: «وَالنِّسَاءُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يُسْتَحْيَا؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».^{٨٠} الفكر المفترض وراء السؤال "كَيْفَ يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" هو نفسه وراء السؤال "كيف ياتيكَ الوحي؟" وللمفكرين الذين وراء السؤالين خصائص فكرية متشابهة: كل من السؤالين واضح جدًا من حيث البيان وهدف السائل، وتماثهما كما هو الحال مع الحارث بن هشام والسؤال حول مجيء الوحي إلى النبي ﷺ، أم المؤمنين تؤمن بالقيامة لكنها تشعر بالفضول لمعرفة كيفية حدوثها. ومن الواضح أنها تعترف بحدود معرفتها، مما يدل على سمة التواضع الفكري. وعلى الرغم من إيمانها بالنبي ﷺ وبخبر الناس يوم القيامة، ترى أنه من الضروري أن تسأل عن أشياء لم تفهمها، وذلك مؤشر على سمة الاستقلالية الفكرية. وبالإضافة إلى ذلك، وعلى عكس الحارث بن هشام، كان لدى أم المؤمنين أسئلة متابعة مدفوعة بالإجابة على سؤالها الأول طلبا لزيادة العمق والتوضيح للإجابة مما يشير إلى المثابرة الفكري: لم تستطع تخيل رجال ونساء عراة معا في نفس المكان دون الشعور بالخجل أو الإحراج - "قُلْتُ:

^{٧٨} تحقيق وحيد عبد السلام بالي ومحمد زكي عبد الدليم (القاهرة: دار ابن رجب، ١٩٩٨)، ١١١.

^{٧٩} انظر: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، طرح الشرب في

شرح التقريب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٥: ٤٤.

^{٨٠} الطيبي، فتوح الغيب (حاشية الطيبي على الكشف)، ٥: ٣٣٤.

^{٨١} ابن ماجه، السنن، كتاب الرُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الْبُعْثِ ٢: ١٤٢٩ (٤٢٧٦). وصححه الألباني.

وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: «وَالنِّسَاءُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يُسْتَحْيَا؟" ومن الأحاديث ذات أسئلة على منوال هذا الحديث من حيث معايير تقييم التفكير والسمات الفكرية ما روي حذيفة بن اليمان قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثَمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَذْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرُكَ، وَأَخَذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِع». ^{٤٨١}

ومنها ما ورد عن أنس بن مالك، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّئَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» ^{٤٨٢، ٤٨٣} وإن سؤال الرجل وهدف طرحه واضحان للغاية، ولكن من النظر إلى السؤال والجواب معا يبدو أن جزءًا من السؤال قد يكون مفقودًا في هذه الرواية لأن الإجابة عن المشي على الوجه وهو ما لم يرد في السؤال، بل كان السؤال عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة. ويبدو أن هذه الملاحظة مدعومة بحديث عن أبي هريرة الذي أخرجه الترمذي ^{٤٨٤} وأحمد ^{٤٨٥} وغيرهما واللفظ للترمذي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ»، قِيلَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟" قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ

^{٤٨١} مسلم، الصحيح، كتاب الإمامة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ٣: ١٤٧٦ (١٨٤٧).

^{٤٨٢} البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان ٢٥: ٣٤]، ٤: ١٧٨٤ (٤٤٨٢).

^{٤٨٣} مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٤: ٢٠٨٣ (٢٦٩٧).

^{٤٨٤} الترمذي، السنن، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة بني إسرائيل، ٥: ٣٠٥ (٣١٤٢)، وقال: هذا حديث حسن.

^{٤٨٥} أحمد، المسند، ١٤: ٢٨٩ (٨٦٤) و١٤: ٣٦٤ (٨٧٥٥)، وقال المحققون: "حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد - وهو ابن جدعان - وجهالة أوس بن خالد"

عَلَى أَنْ يُنْشِئَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوَكٍ»، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وضعفه بعض العلماء بسبب ضعف علي بن زيد^{٤٨٦} وكون أوس بن خالد مجهول الحال.^{٤٨٧} وفي هذا الحديث طرُح سؤال صريح عن المشي على الوجه، وكلام النبي ﷺ حافز للسؤال مما يجعل السؤال في الصنف الآخر الذي سنتناوله قريباً بإذن الله. وصراحة السؤال يؤدي أيضاً إلى الفهم أنه لا إشكال في السؤال في حديث أنس بن مالك ﷺ أعلاه كما سبق بيانه ولا في الجواب. وذلك لأنه يبدو كأن كلا "الحشر على الوجه" و"المشي على الوجه" ينقل نفس المعنى عند السائلين وعند النبي ﷺ: ذكر النبي ﷺ "الحشر على الوجه" في قوله، والسؤال المطروح عليه كان عن "المشي على الوجه". كما حدث بالضبط في حديث أنس بن مالك ﷺ أعلاه.

وقيل إن السؤال "كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟" إشارة إلى قوله ﷺ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء ١٧: ٩٧]،^{٤٨٨} والسؤال الذي طرحه النبي ﷺ رداً عليه يلفت النظر إلى الفهم لقدرة الله الفاطر البديع القادر على كل شيء، والذي يخلق ما يشاء وكيف يشاء ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة ٢: ١١٧]. لذلك، من السهل أن نرى أن الآثار المحتملة لسؤال الرسول تشمل إيقاظ أو تقوية الفهم والفكر الصحيحين للعقيدة الإسلامية حول صفات الله العظيمة المطلوبة للفهم الصحيح للمفهوم في السؤال المطروح والمفاهيم الأخرى التي تشبهه. ووجود مهارة استجواب مشابهة التي استخدمها الرسول ﷺ ملحوظة في حديث «لَا عَدْوَى» عن أبي هريرة ﷺ أن "رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ». فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ إِبْلِي، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطِّبَّاءُ، فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِيهَا؟ فَقَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»".

^{٤٨٦} انظر: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠-١٩٩٢)، ٢٠: ٤٣٤-٤٤٥.

^{٤٨٧} انظر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٩٤٣)، ١: ٣٨٢.

^{٤٨٨} انظر: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٧)، ٢٣: ٣٥.

أخرجه البخاري^{٤٨٩، ٤٩٠} ومسلم^{٤٩١} وأبو داود^{٤٩٢} (كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ فِي الطَّيْرَةِ، ١٧/٤ رقم ٣٩١١) وغيرهم، ولقد ظهر للأعرابي وفق فهمه تناقض بين نفي العدوى في كلام النبي ﷺ وبين ملاحظته لإصابة الإبل السليمة بسبب اختلاط البعير الأجرب بها، فعبر عن ذلك للنبي على شكل سؤال طالبا لتوضيح، ولم يمنعه من ذلك إيمانه بالرسول ﷺ كما بدا في ندائه حيث قال: "يا رسول الله"، وذلك دليل على استقلالية السائل الفكرية. يضيف رد الرسول ﷺ «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلُ؟» عمقا لفكر السائل يفوق ما هو مبني على تجربته. قال الحافظ ابن حجر عن جواب الرسول: "وَهُوَ جَوَابٌ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَالرَّشَاقَةِ وَحَاصِلُهُ مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْجَرْبُ لِلَّذِي أَعْدَى بَرْعِمَهُمْ فَإِنْ أُجِيبَ مِنْ بَعِيرٍ آخَرَ لَرِمَ التَّسْلُسُ أَوْ سَبَبٌ آخَرُ فَلْيُفْصَحْ بِهِ فَإِنْ أُجِيبَ بِأَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي فَعَلَهُ فِي الثَّانِي ثَبَتَ الْمُدْعَى وَهُوَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ بِالْجَمِيعِ ذَلِكَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّهُ ﷻ"،^{٤٩٣} ونلاحظ أن الأثر في الرد «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلُ؟» مشابه لتأثير الجواب في حديث حشر الكافر على وجهه المذكور أعلاه: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

ومثال آخر ما روي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ. قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا صَلَّى، قَامَ حَتَّى تَفْطِرَ رَجُلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟" فَقَالَ «يَا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة، ٢١٧٢/٤ رقم ٨١ (٢٨٢٠))، والسؤال الذي طُرح على النبي ﷺ واضح من حيث بيانه وغرضه ويوضح فكرة السائلة، أي إذا كان المرء متأكدًا من أنه مغفور له، فإنه لا يحتاج إلى السعي بشدة في التزامه بأعمال العبادة إلى حد المشقة، فاقترعت ﷺ الاجتهاد في العبادة على السعي وراء المغفرة، أي الاستغفار. والسؤال المطروح من قبل الرسول يلفت النظر إلى ضرورة الاجتهاد في العبادة استشكاراً لله على نعمه، وذلك تحسين وتوسيع الفكر الأصلي ليشمل وجهة نظر لم

^{٤٨٩} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ لَا صَفَرَ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَطْنَ، ٥: ٢١٦١ (٥٣٨٧).

^{٤٩٠} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ لَا هَامَةَ، ٥: ٢١٧٧ (٥٤٣٧ و ٥٤٣٩).

^{٤٩١} مسلم، الصحيح، كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا هَامَةٌ...، ٤: ١٧٤٢ (٢٢٢٠).

^{٤٩٢} أبو داود، السنن، كتاب الطب، باب في الطيرة، ٤: ١٧ (٣٩١١). وصححه المحققون.

^{٤٩٣} ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١: ٢٤٢.

تأخذها السائلة في الاعتبار. ويقال في هذا الباب أن أبا العباس القرطبي قال: "ظن من سألته عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة، فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة، وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئاً، فيتعين كثرة الشكر على ذلك." ٤٩٤

الآن ننتقل إلى فئة الأسئلة الناشئة عن بيان أو حدث في الحديث. في الواقع، تظهر بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ نفسه شجع هذه الأنواع من الأسئلة، على سبيل المثال، رأينا في الفصل السابق حديث سلمان ﷺ حيث هز الرسول ﷺ غصناً يابساً حتى سقطت ورقه، وقال لسلمان ﷺ: "ألا تسألني لم يفعل شيئاً؟" الحديث، ٤٩٥ وفي الحديث، النبي ﷺ يحث سلمان ﷺ على سؤاله عن سبب ما فعله هو ﷺ، ويشابه ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال مرتين: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ: «أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهُ؟» قَالُوا: كَيْفَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» الحديث. ٤٩٦ وفي مناسبة قسمة غنائم حنين، ورد أن النبي ﷺ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يَقْسِمِ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِي، وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ (وفي رواية: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فَقَالَ: أَلَا تُجِيبُونِي؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ. فَقَالَ: أَمَّا إِنَّكُمْ لَوُ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا أَتَيْنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَأَتَيْنَا خَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ..." الحديث، رواه الشيخان ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩ ووغيرهما، والشاهد في هذا الحديث قوله «أَلَا تُجِيبُونِي؟» واقتراحاته لما يمكن أن يقولوا رداً عليه ﷺ، والتي قد تصاغ على شكل الاستفهام كما جاء في رواية «أَفَلَا تَقُولُونَ: أَلَمْ تَأْتِنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَخَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ، وَتَحْدُولًا فَتَنْصَرْنَاكَ؟». ومن الملاحظ أن

٤٩٤ انظر: المقرئ، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد

الحميد النميسي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩)، ٢: ٣١٧.

٤٩٥ ابن حنبل، المسند، ٣٩: ١١١ (٢٣٧٠٧). وقال المحققون: "حسن لغيره".

٤٩٦ مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، ١: ١٨٦ (١٩٤).

٤٩٧ البخاري، الصحيح، كتاب الخمس، باب ما كان للنبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ...، ٣: ١١٤٧ (٢٩٧٨)

٤٩٨ البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ٤: ١٥٧٤ (٤٠٧٦)

٤٩٩ مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ...، ٢: ٧٣٨ (١٠٦١).

التشجيع في هذه الأمثلة هو على طرح الأسئلة المناسبة البعيدة عن كثرة السؤال والتكلف مما يجعل تساؤلات ذميمة كما ناقشت في الفصل الثاني، والأسئلة المشجعة عليها النبي ﷺ في المواقف المعروضة في الأمثلة تفي بواحد على الأقل من الشروط الأربعة المشتقة هناك للأسئلة الجديرة بالثناء، أي الأمر والعناية والحاجة والمنفعة.

المثال الأول الذي أود أن آخذ في الاعتبار لهذه الفئة من الأسئلة هو سؤال طرحه النبي ﷺ نفسه عندما ذهب مع أم المؤمنين خديجة إلى ورقة بن نوفل طلبا للفهم حول اللقاء الأول للنبي ﷺ مع جبريل في بداية الوحي. لما أخبره النبي ﷺ ما رأى، قال: "هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْخْرِجِي هُم؟». قَالَ: "نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"، ٥٠١، ٥٠٠ وسؤال النبي ﷺ «أَوْخْرِجِي هُم؟» هو رد فعل على الخبر من ورقة أنه سيخرجه قومه من بلده، والسؤال استفهام استبعادي تعجبي، وكان ذلك في مكانه حينئذ، فإنه من الغريب للنبي ﷺ ومستحيل التصور له أن يطرده قوم لم يختبر شيئا منهم إلا حبهم له وثقتهم به إلى حد سموه الأمين ٥٠٢ أو الصادق الأمين. ٥٠٣ وضوح السؤال والغرض منه واضحان بالإضافة إلى التواضع الفكري للنبي ﷺ الذي جعله يعبر عن حدود معرفته بالموضوع في شكل استفهام أظهر دهشته من المعلومات الواردة من ورقة، مما دفع ورقة إلى تقديم المزيد من التفاصيل: "نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي".

ومن النماذج في هذا النوع من الاستجواب أم المؤمنين عائشة التي "كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ"، ومن رواياتها، قال النبي ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ»، فقالت: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق ٨٤: ٨]؟ فقال ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ». ٥٠٤ وكان كلام النبي ﷺ

٥٠٠ البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ٤: ١ (٣)

٥٠١ مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ١: ١٣٩ (١٦٠).

٥٠٢ انظر: أبو بكر، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ط ٢، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات (القاهرة: دار التأصيل، ٢٠١٣)، ٦: ٩.

٥٠٣ انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦: ١٧٠.

٥٠٤ البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، ١: ١٥ (١٠٣)

حافظ لسؤالها لأنه بدا لها تناقضا ظاهرا بين قوله ونص القرآني، وعلمت أن ذلك العلم القرآني أيضا ثابت معه، فطرحته سؤالها كاستفهام تقرير مع هدف الحصول على إقرار واعتراف بما هو ثابت معه علميا. فيما يتعلق بمعايير التقييم الاستدلالي، نلاحظ أن معظمها قد تم الوفاء به من خلال سؤالها - فمن الواضح من حيث البيان والغرض، والدليل الكامن وراءه واضح وصحيح وملائم. والمرجع الذي يستدل عليه من السؤال: إذا قال الله أن للمؤمن حساب يسير فكيف يهلك من يحسب؟ من الواضح أن السؤال الأصلي أكثر تهديدا ويظهر استعداد السائلة للنظر في وجهات نظر بديلة. واستنتاج آخر من السؤال هو الإشارة للنبي بقدر ما عرفته عن الموضوع وتوقع معرفة إضافية منه تساعد في حل التناقض الظاهر بين قوله وبين ما عرفته مما يدل على التواضع الفكري من جانبها. ويظهر الحديث أيضا التزام أم المؤمنين عائشة بتحليل وتقييم معتقدها على أساس العقل والأدلة، والتساؤل متى يكون من المنطقي التساؤل، مما يدل على استقلاليتها الفكرية. وهذه السمات الفكرية ملحوظة أيضا من روايتها الأخرى أن رسول الله قال: «يَعْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْنَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَافُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»^{٥٥}. ومثال آخر متناسب مع هذا التحليل في رواية عن كريب أن أم المؤمنين أم سلمة قالت: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا [أي، ركعتين بعد صلاة العصر]، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَّةَ، فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟ فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الْجَارِيَّةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَشَعَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ»^{٥٦}. وكان الدافع للسؤال "يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟" عمل النبي ﷺ، والذي يتعارض على ما يبدو مع العلم الصحيح المتاح للسائلة. وبالتالي، فإن هذا السؤال يشترك في نفس الخصائص مع السؤال "أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ

^{٥٥} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَتُعُودُ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، ٣: ٦٥ (٢١١)

^{٥٦} البخاري، الصحيح، كِتَابُ أَبْوَابِ السُّهُو، بَابُ إِذَا كَلِمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَأَشَارَ بِيَدِهِ وَاسْتَمَعَ، ١: ٤١٤ (١١٧٦)

حَسَابًا يَسِيرًا ﴿[الانشقاق ٨٤: ٨]؟﴾ كما سبق مناقشته، ويتشارك السائلتان أيضًا في السمات الفكرية نفسها.

ومن الأمثلة أيضا ما ورد عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ خَيْلٍ دُهُمٍ بُهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ...» الحديث،^{٥٠٧} ولقد كان كل سؤال من السؤالين المطروحين من الصحابة استفهاما تعجبيا، وقد يشمل السؤال الأول المحفز بقول النبي ﷺ «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» أيضًا ظلَّ إنكار لأن الصحابة اعتبروا الأخوة مع النبي ﷺ شرفا عظيما وكرهوا أن يفوتهم. ولعلمهم تفكروا في عدم كونهم إخوانه ربطا بقول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ٤٩: ١٠] - والله أعلم. وقيل إن قوله ﷺ «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» ردا على قول الصحابة "أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟" لم يكن نفيا لأخوة الصحابة، ولكن "ذكر لهم مزية بالصحبة على الأخوة فهم إخوة وصحابة، واللاحقون إخوة فحسب"^{٥٠٨} والملاحظة الجميلة التي تتفق مع هذا الرأي هي شمل الرسول الصحابة في الأخوة مع اللاحقين في قوله "وإخواننا الذين لم يأتوا بعد" لأنه يعني الصحابة إخوانه أيضا. وعلى غرار الأسئلة السابقة، فإنه ليس لهذا السؤال أيضا أيّ مبهمات من حيث البيان والغرض، وكذلك السؤال الثاني أيضا، والذي التعجب المعبر عنه واضح للغاية، وهو عن إمكان النبي من التعرف من لم يلقه في حياته، واستخدم النبي بمهارة مثالا ذا سؤال لتهيئة أذهان السائلين لكي يفهموا إمكانية ذلك بسهولة: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ خَيْلٍ دُهُمٍ بُهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» ولعل هذا السؤال حفز تفكيرهم فأجابوه: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ...» فَاتَّعَرَفَ عَلَيْهِمْ كَمَا يَتَعَرَفُ الرَّجُلُ عَلَى خَيْلِهِ مِنْ بَيْنِ خَيْلٍ أُخْرَى. ومن السمات

^{٥٠٧} مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، ١: ٢١٦ (٢٤٩).

^{٥٠٨} الملا القاري، علي بن (سلطان) محمد الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢)،

الفكرية ملحوظة من السؤالين الطارحين من الصحابة التواضع الفكرية مما يكشفان من اعترافهم حدود علمهم بالموضوع المعبر، وكذلك المثابرة الفكرية المكشوفة من استعدادهم بمتابعة استفهاميا.

ومنها، عن أبي سعيد الخدري قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ، مَا أَحْشَى عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ (أَوْ أَوَيُّنِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ أَوْ هَلْ أَوَيُّنِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟) فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ قُلْتُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، أَوْ خَيْرٌ هُوَ، إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرِ، أَكَلْتُ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ حَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ، ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ فَأَكَلْتُ فَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ، كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ.»^{٥٠٩} السؤال "أَيُّنِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟" رد فعل على قول النبي ﷺ «لَا وَاللَّهِ، مَا أَحْشَى عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا»، وقيل السؤال استفهام إنكاري استبعادي أي يبعد أن يكون الشيء خيرا ثم يترتب عليه شر،^{٥١٣} وقيل استرشادي^{٥١٤} بما فيه من استرشاد من السائل، وقيل هو استفهام استرشاد لا إنكار،^{٥١٥} وهناك من يرى أنه استفهام إنكار للاسترشاد.^{٥١٦} ونلاحظ أن معارضي إنكارية الاستفهام حساسون لفكرة نفي قول الرسول، ولكن النفي المشار إليه ليس كذلك بالضبط. في الواقع، هناك اتفاق بين السائل والنبي كما يمكن فهمه من قول النبي: "إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ"، وسؤال النبي "أَوْ

^{٥٠٩} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الرِّكَاعِ، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَتَامَى، ٢: ١٢١ (١٤٦٥)

^{٥١٠} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالْبَيْتِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ٤: ٢٦ (٢٦٤٢)

^{٥١١} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُجْذَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، ٨: ٩١ (٦٤٢٧)

^{٥١٢} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الرِّكَاعِ، بَابُ تَخَوُّفِ مَا يُخْرِجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، ٢: ٧٢٧-٧٢٨ (١٠٥٢)

^{٥١٣} انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧: ١٤٢.

^{٥١٤} بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩: ٣٩.

^{٥١٥} الولوي، محمد بن علي، شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى)، ٢٣: ١٤٠.

^{٥١٦} انظر: الهري، محمد الأمين بن عبد الله، شرح سنن ابن ماجه (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه

والقول المكتفى على سنن المصطفى)، تحقيق لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين

مهدي (جدة: دار المنهاج، ٢٠١٨)، ٢٤: ٩٤.

خَيْرٌ هُوَ" يشير إلى أن الرجل أساء فهم أن ما يتحدث عنه النبي يعني "خير" بينما يقصد النبي غير ذلك. ويتضح من قول الرسول "فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ، كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ" أن ما أعرب عنه من الخوف على الناس مما دفع الرجل إلى طرح السؤال هو الخوف من أخذ المال بغير حق. وأما أخذه بحق فهو يجلب بركة ويكون خيرا وفق فهم السائل، وذلك ما سماه النووي الخير الحقيقي الذي لا يترتب عليه إلا خير، ثم شرح قوله ﷺ «أو خير هو» قائلا: "هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة وتقديره الخير لا يأتي إلا بخير ولكن ليست هذه الزهرة بخير لما تؤدي إليه من الفتنة والمنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة"،^{١٧} وقال ابن حجر: "وهو استفهام إنكار أي أن المال ليس خيرا حقيقيا وإن سمي خيرا لأن الخير الحقيقي هو ما يعرض له من الإنفاق في الحق كما أن الشر الحقيقي فيه ما يعرض له من الإمساك عن الحق والإخراج في الباطل".^{١٨} ولذا فإنه من المناسب أن يُعتبر سؤال الرجل كاستفهام إنكاري، وبالإضافة إلى ذلك، ربما قصد السائل الإعراب عن شيء من الدهشة أو التعجب، ولذلك نرى أن السؤال استفهام إنكاري تعجبي استبعادي استرشادي. بالنظر إلى التفاصيل التي أجاب بها النبي على السؤال، يتضح أن السؤال مع هدفه كانا واضحين له. ومن الملاحظ أيضاً أن الفكر وراء السؤال كان مبنياً على الأدلة الصحيحة، والسائل هو الذي أدخل مصطلح خير في المحادثة، وقد أشير إلى الثروة بالخير في القرآن: ﴿وَإِنَّهُ حُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ١٠٠: ٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة ٢: ١٨٠]. وكون من ضمن سمات السؤال طلب الارشاد يدل على اعتراف السائل بحدود علمه مما يدل على سمة التواضع الفكري كما لاحظنا مع السائلين الآخرين الذين ناقشناهم أعلاه، كما نرى له الاستقلالية الفكرية لعدم منعه إيمانه بالنبي طرح السؤال لما رأى أن طرحه مناسب.

ومنها ما ورد في حديث عليٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»

^{١٧} انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧: ١٤٢-١٤٣.

^{١٨} انظر: ابن حجر، الفتح، ١١: ٢٤٦.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل ٩٢: ٦] الآية. الحديث متفق عليه. ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٩ رداً على مضمون كلام الرسول ﷺ في بداية الحديث أن مكان كل نفس في الجنة والنار وكونها شقية أو سعيدة قد قدر، وحسب فهم السائل ليس للعمل دور في عاقبة الأمور النهائية، فطرح على الرسول ﷺ سؤالاً منطقياً وفق تفكيره بهدف الحصول على إقرار واعتراف باعتماد على الكتاب (أي، على ما قد قُدر) وترك السعي للتوافق مع مقتضيات هداية الوحي، مما يجعل السؤال استفهاماً تقريرياً. ورغم من معقولية السؤال في ظاهره، فإن إجابة الرسول العلمية تكشف أنه لا بد من عمل، وقد صرح ذلك في رواية حيث قال: «اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ...» الحديث ٥٢٢، وتوفيق المرء لعمل أهل السعادة رحمة وفضل من الله كما ورد في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا... " الحديث. ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥ و﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف ٧: ٥٦]، والمحسنون هم أهل العمل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا

٥١٩ البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب مَوْعِظَةِ الْمَحْدِثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَفُعُودُ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، ٩٦: ٢ (١٣٦٢)

٥٢٠ البخاري، الصحيح، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل ٩٢: ٩]، ١٧١: ٦ (٤٩٤٨) و (٤٩٤٩)

٥٢١ مسلم، الصحيح، كتاب الْقَدْرِ، باب كَيْفِيَّةِ خُلُقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، ٢٠٣٩: ٤ (٢٦٤٧)

٥٢٢ البخاري، الصحيح، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل ٩٢: ٩]، ١٧١: ٨ (٤٩٤٩).

٥٢٣ البخاري، الصحيح، كتاب الْمَرْضَى، باب تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، ١٢١: ٧ (٥٦٧٣)

٥٢٤ البخاري، الصحيح، كتاب الرِّقَاقِ، باب الْقَصْدِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، ٩٨: ٨ (٦٤٦٣ و ٦٤٦٧)

٥٢٥ مسلم، الصحيح، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ٢١٦٩: ٤ - (٢٨١٦) ٢١٧١

فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران ٣: ١٣٥-١٣٤]

وبالإضافة إلى الاستدلال النبوي الكافي فإن لفت النظر إلى ورود العبارة "بما كنتم تعملون" في القرآن بالعلاقة مع وضع الناس في الآخرة أيضا يقوي لا بُدَّية العمل، على سبيل المثال قال الله بالنسبة للحساب: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٥: ١٠٥] وأنه سيقال لأهل الجنة: ﴿تِلْكَ أَلِ الْجَنَّةِ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ولأهل النار: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ٣٢: ١٤]. وأخيرا، كما في الحديث السابق، فإن السؤال هنا واضح أيضا من حيث بيانه وهدف السائل، حيث لم يكن الرسول ﷺ بحاجة إلى أي إيضاحات، وتتطابق صفات السائل الفكرية هنا أيضا مع صفات السائل في الحديث السابق: التواضع الفكري والاستقلالية الفكرية.

المطلب الثالث: ملاحظة الاستقلال الفكري في الأسئلة الواردة في الأحاديث

لقد واجهنا من قبل مفهوم الاستقلالي الفكري من بين السمات الفكرية المطلوبة لتحقيق كمال الفكر الضروري لممارسة التفكير النقدي بالمعنى القوي. في هذا المبحث، نهدف إلى التركيز على المفهوم من أجل إبراز حدوثه بشكل خاص بين الخصائص الفكرية التي أظهرها بعض السائلين في الحديث.

يمكن ملاحظة مثال التساؤل في الحديث النبوي الذي يشير إلى الاستقلال الفكري للسائل في حديث "ناقصات عقل ودين" عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ. فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ. وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ؟ قَالَ «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ. فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ. وَتَمَكُّثُ اللَّيَالِي مَا

تُصَلِّي. وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ. فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ». أخرجه الشيخان^{٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨} وأصحاب السنن، وسأناقش هذا الحديث بشيء من التفصيل، حيث تبدو أجزاء منه إشكالية عند بعض الناس.

في الحديث، قدم الرسول ﷺ للنساء معلومات من عالم الغيب، ولم تكن لديهن أي مشكلة في تصديقه بسبب ثقتهم به كرسول الله ﷺ، لكنهن استجوبنه سعيًا لفهم سبب كون الوضع كما قال - لماذا تُعتبر النساء غالبية أهل الجحيم؟ وما المقصود بنقصان عقولهن؟ والمرأة السائلة توصف بأنها جَزَلَة، وهي كلمة ذات معان عديدة، ومن المعاني التي تناسب سياق الحديث أنها ذات عقل ودين^{٥٢٩}، أو لها قوة في الخطاب والرأي^{٥٣٠} أو هي جيدة الرأي^{٥٣١}، وعلى الأرجح، المتناسبون مع هذه الأوصاف أكثر عرضة للتفكير بأنفسهم وتكوين آراء خاصة بهم. والعبارة "وما لنا" في سؤالها الأول تعني وأي شيء لنا^{٥٣٢} (أو وأي شيء ثبت لنا^{٥٣٣} أو وما بالنا^{٥٣٤} أو وأي شيء حصل لنا^{٥٣٥}...)، وعليه فمعنى السؤال "وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" ما هي المشكلة الخاصة بنا التي تجعلنا أغلبية من في النار؟ والملاحظ أن السائلة تثق بالرسول ﷺ وطرحت السؤال بحثًا لعل أو سبب لا إنكاراً بمعنى رفض ما قاله ﷺ بل إنكاراً

^{٥٢٦} البخاري، الصحيح، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ١: ١١٦ (٢٩٨)

^{٥٢٧} البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ٢: ٥٣١ (١٣٩٣)

^{٥٢٨} مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنُقْصِ الطَّاعَاتِ ... ، ٤: ٢١٩ (٤٦٧٩)

^{٥٢٩} انظر: أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحيى إسماعيل (مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ١: ٣٣٧.

^{٥٣٠} انظر: أبو المظفر، يحيى بن (هَبَيْرَة بن) محمد الشيباني، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧)، ٤: ٢٧٤.

^{٥٣١} انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١: ١٠٩.

^{٥٣٢} عبد الرؤوف المناوي، محمد بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٧)، ٢: ٣١١.

^{٥٣٣} الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]، تحقيق عبد الحميد هندأوي (بيروت: المكتبة العصرية)، ٢: ٦٠١.

^{٥٣٤} محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، ٣٠: ٢٢١.

^{٥٣٥} السيوطي، محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، (القاهرة: دار الحديث)، ٧٧٨.

بمعنى عدم إرادة الحالة الموصوفة لنفسها وأخواتها، وعلى هذا المعنى نشير إلى السؤال كاستفهام إنكاري، وقد يكون السؤال استفهام تعجبي أيضاً، والعجب فيه حول تصرفات النساء التي تسبب كونهن أكثر أهل النار، وليس لعدم الثقة بقول الرسول ﷺ. الآن، إذا نظرنا إلى السؤال "وما لنا أكثر أهل النار؟" نلاحظ أن وراءه فكرة أدت إلى نوع من التحليل والتقويم لقول النبي ﷺ. على سبيل المثال، بما أن قول الرسول ﷺ كان في خطاب خاص بالنساء، فلا بد أن السائلة قد فهمت أن الوضع ليس هو نفسه بالنسبة للرجال، مما يعني أنه لا بد من وجود مشكلة مع معظم النساء ليست مع معظم الرجال. وهكذا تطرح سؤالها سعياً لفهم الاختلاف بين الجنسين: "ما الأمر الذي يجعلنا مختلفين عن الرجال والذي يسبب كوننا غالبية أهل النار؟" ويبدو أن هذا الرأي يتماشى مع خط فكر أبي العباس القرطبي فيما يتعلق برد فعل النساء على قول الرسول ﷺ. قال: "فلما سمع النساء ذلك [أي، النساء أكثر أهل النار]، عَلِمْنَ أَنَّ ذَلِكَ كان لسبب ذنبٍ سَبَقَ لَهُنَّ، فبادرت هذه المرأة لجزالتها وشدة حرصها على ما يُخَلِّصُ من هذا الأمر العظيم، فسألت عن ذلك"،^{٥٣٦} وبالطبع كانت تتحكم بشكل كامل في أفكارها التي استخدمتها لتكوين سؤالها وطرحه دون أن يقيدتها إيمانها بالنبي. ومن ثم، نلاحظ سمة الاستقلال الفكري جنباً إلى جنب مع التواضع الفكري الذي يدفعها إلى السعي وراء فهم ما لا تعرفه من خلال استجواب المصدر الحقيقي والموثوق للمعلومات التي تهتم بها. وفي الواقع، هذا هو نوع الاستقلال الفكري الذي دعت إليه الدراسات التي استعرضناها أعلاه، حيث يجب أن يكون المفكر متواضعاً بما يكفي ليعرف حدود معرفته ومتى يعتمد على الخبراء أو على الذين يعرفون أفضل منه. وفي روايات أخرى كان السؤال الذي طُرح كرد فعل على نفس المعلومات عن النبي ﷺ "وهم يا رسول الله" عند البخاري^{٥٣٧} والنسائي^{٥٣٨} وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً^{٥٣٩}: "وهم ذلك يا رسول الله"، والذي فُسِّرَ بـ "وبأي شيء نكون أكثر أهل النار؟"^{٥٤٠} وهو أيضاً

^{٥٣٦} أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١: ٢٦٩.

^{٥٣٧} البخاري، الصحيح، كتاب الحيض، باب تَرَكَ الْحَائِضُ الصَّوْمَ، ١: ٦٨ (٣٠٤).

^{٥٣٨} النسائي، السنن، كتاب صلاة العيدين، قيام الإمام في الخطبة متوكِّفاً على إنسان، ٣: ١٨٦ (١٥٧٥). صححه الألباني.

^{٥٣٩} البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ٢: ١٢٠ (١٤٦٢).

^{٥٤٠} علي بن (سلطان) محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١: ٩٣.

استفهام إنكاري تعجبي تماما مثل السؤال "وما لنا أكثر أهل النار" وكلا السؤالين متقاربان في المعنى. وبمناسبة صلاة الكسوف أخرج الشيخان^(٥٤٢، ٥٤١) نفس السؤال خلال محادثة الصحابة مع النبي بعد الصلاة والخطبة: "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ؟ قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عَنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأَرَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَقْطَعُ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: يَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» واللفظ للبخاري. والجدير بالذكر أن المستجوبين في هذا الحديث كانوا من الرجال وأظهروا السمتين الفكريتين اللتين أظهرت المرأة الجزلة التي طرحت السؤال "وما لنا أكثر أهل النار" - التواضع الفكري والاستقلال الفكري، والتبرير لذلك مثل التبرير في حالة المرأة الجزلة تماما، وفي متابعتهم بسؤال آخر بعد إجابة الرسول ﷺ الأولى، نرى علامة المثابرة الفكرية، مما أدى إلى مزيد من الشرح والإيضاح لما سعوا إلى فهمه. وأما بالنسبة لقولهم بداية "رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعَكَعْتَ؟" شاهدوا الرسول ﷺ يقوم بأمر غير معتاد أثناء الصلاة، فسارعوا إلى سؤاله لمعرفة تفسيره، لأنه كان خارجًا عن معرفتهم بأحكام الصلاة، وهذا يعكس أيضًا التواضع الفكري والاستقلالية في التفكير كما أشرنا سابقًا عند تناول السؤال الذي تلاه في الحديث. وعلى الرغم من أن السياق قد يختلف، فإن الموقف مع المفكر هو نفسه في الأساس. على سبيل المثال، السؤال "كيف يأتيك الوحي؟" تم اعتباره في المبحث السابق على الأرجح نابعًا من الحارث بن هشام متسائلًا أن الوحي يصل إلى النبي ﷺ، فيفهمه ثم ينقله إليهم بلغة يفهمونها، ولكن لا يشعره الحاضرون معه. وهذا يشير إلى أن هناك أمرًا مميزًا في هذا الشأن، مما دفعه لطرح السؤال سعيًا للفهم. والأسئلة "كيف يحشر الناس يوم القيامة؟"، و"كيف يحشر الكافر على وجهه؟"، و"أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق

^(٥٤١) البخاري، الصحيح، كتاب أبواب الكُسُوفِ، بابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ جَمَاعَةً وَصَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ لَهُمْ فِي صُفْعَةٍ زَمَزَمَ وَجَمَعَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّادٍ اللَّهُ بْنُ عَبَّاسٍ وَصَلَّى ابْنُ عُمَرَ، ٢: ٣٧ (١٠٥٢).

^(٥٤٢) مسلم، الصحيح، كتاب الكُسُوفِ، بابُ مَا غُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ٢: ٦٢٦ (٩٠٧).

٨٤ : ٨] "يمكن النظر إليها بالمثل. وفي حديث "لا عدوى"، يكاد يكون الفكر وراء السؤال المطروح من قبل الأعرابي صريحاً: "فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجر بفي دخل بينها فيجر بها"، والسؤال الغير المنطوق هو "أليس ذلك عدوى؟"

وكان جواب النبي ﷺ على سؤال المرأة الجزلة: «تُكْتَبَرُ اللَّعْنُ. وَتَكْفُرُ الْعَشِيرُ»، واللحن يعني الإبعاد من الخير والطرده من رحمة الله، كما يستعمل أيضا بمعنى الشتم والسب والكلام القبيح لأحد^{٥٤٣}، وعليه فالعبرة «تُكْتَبَرُ اللَّعْنُ» تعني كثرة الشتم وإيذاء الناس باللسان، والعشير يعني الصديق والقريب، ويطلق أيضا على البعل، وهو المعنى المقصود في العبارة «وَتَكْفُرُ الْعَشِيرُ»، أي وتجحدن حق بعولتكن ولا تؤذين حق إنعامهم عليكم، وتدل الأحاديث على أن خطورة السمتين في الجواب عامة لجميع البشر، فمثلاً قال الرسول: «... مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»،^{٥٤٤} ومن المرجح أن يترد بعض اللعنات إليه لأنه من المستحيل أن يكون على حق دائماً، وقال أيضا: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»،^{٥٤٥} ومن لا يشكر الله لا يحقق إفراد الله بالعبادة: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ﴾ [البقرة ٢ : ١٧٢]، وبالتالي يستحق العقاب. وفي حديث الكسوف الذي أشرنا إليه سابقاً، أوضح النبي ﷺ حالة كفران العشير، قال: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ». قيل: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».^{٥٤٦}

والجدير بالملاحظة هو أن كثرة اللعنة وكفران النعمة يؤديان إلى عقاب الله بصرف النظر عن جنس المرتكب، ولكن الإشارة من الحديث هي أن النساء يرتكبنهما أكثر من الرجال، وقد يكون السبب اختلاف تنظيم العاطفة (أي القدرة على إدارة تجربة عاطفية والاستجابة لها بفعالية) بين الجنسين. نقول تنظيم العاطفة وليس مجرد العاطفة لأنه على الرغم من التصور العام بأن النساء أكثر عاطفية من الرجال، فقد أظهرت الدراسات أن الاختلافات بين الجنسين في

^{٥٤٣} المظهر، المفاتيح في شرح المصايح، ١ : ١٠٠.

^{٥٤٤} أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في اللعن، ٤ : ٢٧٨ (٤٩٠٨). صححه الألباني.

^{٥٤٥} أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المَعْرُوفِ، ٤ : ٢٥٥ (٤٨١١). صححه الألباني.

^{٥٤٦} البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفر بعد كفر، ١ : ١٩ (٢٩).

العاطفة ليست عامة أو دائمة، وبدلاً من ذلك، تميل هذه الاختلافات إلى أن تكون إما معتمدة على السياق أو متأثرة بأدوار الجنسين المكتسبة بدلاً من أن تعكس الاختلافات الأساسية والفطرية في القدرة العاطفية.^{٥٤٧} ومع ذلك، باعتبار الاختلاف بين الجنسين في تنظيم المشاعر باستخدام إعادة التقييم المعرفي (أي استخدام العمليات المعرفية واللغوية لإعادة صياغة أو إعادة تفسير معنى الحافز من أجل زيادة تنظيم العواطف أو تقليل تنظيمها)، وجد (ماكراي "McRae" وآخرون، ٢٠٠٨) أن الرجال قادرون على استخدام التنظيم المعرفي (أي كون المرء فكرياً وخطيئاً قبل التصرف) بأقل جهد من النساء.^{٥٤٨} وبالتالي، على الرغم من أن جميع البشر عاطفيون، فإن الرجال، بشكل عام، أفضل في ضبط أنفسهم وأقل احتمالية للتصرف بناءً على مجرد العاطفة من النساء، وهو ما قد يكون من أسباب شيوع اللعن وكفران الإحسان بين النساء أكثر من الرجال. وخطورة التصرف على أساس العاطفة ملحوظة في توصية النبي ﷺ للقضاة إلى عدم الحكم في حالة الغضب: «لَا يَقْضِيَنَّ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانِ» متفق عليه^{٥٤٩، ٥٥٠} ومتوفر عند أصحاب السنن أيضاً، والهوى أيضاً من العواطف، وكما أسلفنا لقد حذر الله نبيه داود عليه السلام من اتباع الهوى لأنه مضل عن سبيله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص ٣٨: ٢٦]. ومن الكفارات لكثرة اللعن وكفران العشير كما صرح النبي ﷺ في بداية الحديث الصدقة وكثرة الاستغفار لأن الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار^{٥٥١} والاستغفار يجلب غفران الذنوب وإمداد نعم الله من متاع الحياة الدنيا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

⁵⁴⁷ Stephen R. Wester, Vogel, D. L., Pressly, P. K., & Heesacker, M., "Sex differences in emotion: A critical review of the literature and implications for counselling psychology," *The Counselling Psychologist* 30, no. 4 (2002): 630-652.

⁵⁴⁸ Kateri McRae, , Ochsner, K. N., Mauss, I. B., Gabrieli, J. J., & Gross, J. J. Gender differences in emotion regulation: An fMRI study of cognitive reappraisal. *Group processes & intergroup relations* 11, no. 2 (2008): 143-162.

^{٥٤٩} البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يُفتي وهو غضبان، ٦: ٢٦١٦ (٦٧٣٩)

^{٥٥٠} مسلم، الصحيح، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، ٣: ١٣٤٢ (١٧١٧)

^{٥٥١} الترمذي، السنن، أبواب السَّفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، ٢: ٥١٢ (٦١٤)، وقال: حديث حسن غريب.

مَذَرَارًا (١١) وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴿[نوح ٧١: ١٠-١٢].

والسؤال التالي يتبع قول الرسول ﷺ: «وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيذِي لُبٍّ مِنْكُمْ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالْدِينِ؟ ومثل السؤال الأول تماما، هذا السؤال أيضا استفهام إنكاري تعجبي، والإنكار والتعجب حول ما يجعل النساء يستحقن أن يصفن بنقصان العقل والدين وليس حول قول النبي ﷺ، ويظهر تواضع الفكري للسائلة واستقلاليتها فكرياً. رغم توضيح النبي ﷺ مقصوده من النقص العقلي والديني لدى النساء، ما زالت عبارة "ناقصات عقل ودين" تثير الإشكال لدى البعض، مما دفع بعض الباحثين إلى محاولة تفسيرها وحل الإشكال. ولقد قام (أبو الليث، ٢٠١٦) بتحليل هذا الجانب من الحديث وأظهر ثلاثة أمور: (١) أن العلماء قبل القرن العاشر الهجري (أي، المتقدمين) قد قاموا بتقرير وجود النقصان في عقل المرأة فعلاً وفسروه على أنه يعني قلة الضبط أو ضعفه أو رجاء نقصان العقل، (٢) وامتد من جاء بعدهم (أي، المتأخرين) ما استقر في أذهانهم عن طريق التوارث العلمي والاجتماعي، (٣) وباستثناء روافض هذا الحديث، لم تختلف آراء علماء القرن العشرين الميلادي (أي، المعاصرين) عن المتقدمين والمتأخرين ما عدا تحليل وتفصيل أكثر لواقع النساء في المجتمعات العربية. ثم اقترح أنه قد يكون أن النبي ﷺ استخدم العبارة "ناقصات عقل" إما ملاطفةً ومزاحاً أو بمعنى أن عاطفة المرأة تحتل جزءاً من عقلها، فتميل إلى النظر إلى قضايا بعين العاطفة أكثر من نظر العقل.^{٥٥٢} وقلتُ: إن الاقتراح الثاني في اتجاه ما ذكرت عن تأثير تنظيم العاطفة المعروض أعلاه، وإضافة إلى ذلك فإن كُلاً من أهل النار من غير العاقلين: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك ٦٧: ١٠]. وقد قيل أن "العقل في الشرع عبارة عن معنى في الشخص يعقله؛ أي: يمنعه عن الهلاك والخسران في الآخرة، فمن كان ذا تجربة في أمور الدنيا واحتياط فيها، ويعرف النفع والضّر ودقائق الحساب وما أشبه ذلك، ولم ينته عمّا هو سبب هلاكه وخسرانه في الآخرة، فليس بعاقل في الحقيقة؛ لأن الاحتراز عمّا هو سبب الهلاك في الدنيا بالنسبة إلى ما هو سبب الهلاك في الآخرة شيء قليل، فمن

^{٥٥٢} انظر: أبو الليث، محمد الخنر آبادي، المدخل لمادة دراسة مقارنة بين شروح الأحاديث المشككة، مذكرة المادة

احتترز عن هلاك الدنيا ولم يحتترز عن هلاك الآخرة فهو كمن يحتترز عن أن يقع في حفرة قعرها قَدَر ذراع مثلاً، ولا يحتترز عن أن يلقي نفسه في بئر قعره ألف ذراع، فلا يحكم بكون هذا الرجل عاقلاً أحد.^{٥٥٣} فلذلك لا إشكال في وصف من يتصرف على شكل يؤدي إلى النار في الآخرة بالنقص العقلي، بصرف النظر على الجنس.

وأما بالنسبة للنقص في الدين فقد حاول الإمام النووي أن ينظر إليه من حيث ما إذا كانت المرأة تثاب على الصلاة والصوم بالرغم من تركها لهما أثناء الحيض والنفاس كما في حالة المسافر أو المريض الذي يكتب له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً ثم استنتج أنها ليست مأجورة،^{٥٥٤} ولكن بدا أن رأي ابن حجر يختلف عن رأي النووي وإن لم يصرح ابن حجر بذلك،^{٥٥٥} ولكن (أبو الليث ٢٠١٦) صريح في ذلك بحجة أن توقف المرأة عن الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس ديني لأنها مأجورة شرعاً بذلك، فلذا إنها مأجورة على الصلاة والصوم إن كانت مداومة عليهما قبل أيام الحيض أو النفاس، وقال: "إن تعبير النبي ﷺ عن عدم صلاحها وصومها في أيام حيضها ونفاسها بنقص الدين ليس تعبيراً عن النقص الحقيقي، وإنما هو نقص صوري فقط، بحيث إن الرجل يصلي ويصوم وهي لا تصل ولا تصوم وكلاهما على دين."^{٥٥٦} وقلت: هذا الرأي معقول ومقنع لأن الأمر بالصلاة والصيام عام، ولذلك فالمنتظر من كل مؤمن أن يصلي ويصوم إلا من يعذره الشارع كالنساء لحال من طبيعتهن التي خلقت عليها ولا يستحقن اللوم من أجلها، والنقصان تعبير عن الخروج عن الحالة المعتادة لا عن نقص حقيقي.

وإذا تأملنا الأحاديث المتعلقة بكون النساء أكثر أهل النار، مع ملاحظة الأسئلة الموجهة إلى الرسول ﷺ، نجد أن الاستقلال الفكري لم يقتصر على قلة من الصحابة. كما ذكرت، كانت النساء (أو المرأة الجزلة) من يطرحن الأسئلة على النبي ﷺ في أحاديث العيد، بينما الرجال في أحاديث الكسوف، وكانت الأسئلة متشابهة في المضمون الفكري. مثال آخر على

^{٥٥٣} المظهر، المفاتيح في شرح المصابيح، ١: ١٠٠-١٠١.

^{٥٥٤} النووي، شرح صحيح مسلم، ٢: ٦٨.

^{٥٥٥} ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١: ٤٠٦.

^{٥٥٦} انظر: أبو الليث محمد الخنر آبادي، المدخل لمادة دراسة مقارنة بين شروح الأحاديث المشككة، مذكرة المادة

نساء أظهرن استقلالاً فكرياً هو زوجة ابن مسعود كما روى البخاري^{٥٥٧} ومسلم^{٥٥٨} والنسائي^{٥٥٩} وآخرون. وإجابةً على التحريض على الصدقة، جاءت إلى النبي ﷺ وقالت: "يا نبي الله، إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالْصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ وَوَلَدُهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ»، وفي إحدى الروايتين للبخاري، قالت: "فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي" وفي مسلم: "حاجتي حاجتها"، وبيانها للنبي ﷺ ليس سؤالاً بالمعنى المعتاد، بل هو مثال على سؤال غير مباشر لأنه لا يتضمن أيّاً من أدوات الاستفهام، بل سؤال غير معلن فهمه النبي ﷺ: "هل ابن مسعود على حق؟". وحقيقة أن زينب أرادت التصديق على غير زوجها وولده تعني أن قول ابن مسعود لم يوافق فكرها، فسعت لتأكيد من مصدر موثوق. كان لها رأيها — إذ لم تر الصدقة في النفقة على الزوج وولده — وتمسكت به حتى أفناها النبي ﷺ مؤكداً صحة قول ابن مسعود. هذا التصرف يعكس تواضعها الفكري باعترافها بضرورة السؤال لطلب العلم، ويظهر استقلالها الفكري بعدم الاكتفاء بكلام زوجها دون دليل مقنع.

ومن الأمثلة المشابهة ما رواه البخاري^{٥٦٠} ومسلم^{٥٦١} وأبو داود^{٥٦٢} والنسائي^{٥٦٣} حول حالة سبيعة بنت الحارث التي توفي عنها زوجها وهي حامل، ثم وضعت حملها يسيراً بعد وفاته، فتجملت للخطّاب بعد نفاسها، وقالت: "فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكُكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ تَحْمَلِينَ لِلْخُطَّابِ، تُرْجِينَ النِّكَاحَ؟ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ

^{٥٥٧} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقْرَبِ، ٢: ١٢٠ (١٤٦٢ و ١٤٦٦).

^{٥٥٨} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، ٢: ٦٩٤ (١٠٠٠).

^{٥٥٩} النسائي، السنن، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِ، ٥: ٩٢ (٢٥٨٣).

^{٥٦٠} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ غَيْرِ مَسْمُومٍ، ٥: ٨٠ (٣٩٩١).

^{٥٦١} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَتَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَعَنْهَا يَوْضَعُ الْحَمْلُ، ٢: ١١٢٢ (١٤٨٤).

^{٥٦٢} أبو داود، السنن، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ فِي عِدَّةِ الْحَامِلِ، ٢: ٢٩٣ (٢٣٠٦).

^{٥٦٣} النسائي، السنن، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ عِدَّةِ الْحَامِلِ الْمُتَوَتَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، ٦: ١٩٤ (٣٥١٨).

حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَقْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّرْجُوحِ إِنْ بَدَأَ لِي. " في هذه الحالة أيضاً، السؤال في الحديث ليس صريحاً، ولكن تم تحديده من التعبير "وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ" كما ناقشنا في الفصل السابق تحت مفهوم السؤال. وموقف سبيعة مشابه لحالة زينب بمعنى أنها كانت لديها فكرة واعتقدت أنها على حق، وقد يكون أنها على علم بحكم الحامل المطلقة فقاست به الحامل المتوفى عنها زوجها، وعندما قُدمت لها فكرة تعارض فكرتها لم تتخلى عن فكرتها، بل سعت وراء الحكم بين الفكرتين المتعارضتين من مصدر معرفة وتوجيه جدير بالثقة. وبالتالي، أظهرت الاستقلالية الفكرية والتواضع الفكري معاً مثل زينب تماماً إلا أن النبي ﷺ أثبت فكرتها بينما نفى فكرة زينب. وأيضاً، من الأمثلة قصة حُويلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ التي راجعت زوجها أوس بن الصامت في شيء فأغضبته فظاهر منها، ودخل عليها بعد قليل يريد لها على نفسها فامتنعت منه وذهبت إلى النبي ﷺ تستفتيه،^{٥٦٤} وأخرج أبو داود عنها: "فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْكُو إِلَيْهِ، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُجَادِلُنِي فِيهِ، وَيَقُولُ: «اتَّقِيَ اللَّهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمَلِكِ»، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة ٥٨: ١]، إِلَى الْفُرْصِ، فَقَالَ: «يُعْتَقُ رَقَبَةً» قَالَتْ: لَا يَجِدُ، قَالَ: «فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: «فَلْيُطْعَمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ، قَالَتْ: فَأُتِيَ سَاعَتِيذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «قَدْ أَحْسَنْتِ، أَذْهَبِي فَأُطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمَلِكِ»"،^{٥٦٥} ويمكن الحصول على بعض تفاصيل القصة من روايات أخرى وإن كانت بعضها ضعيفة. ندم الرجل بعدما ظاهر من امرأته ثم طلب منها أن تستفتي النبي ﷺ عن إمكانية الرجوع، ورد في المعجم الكبير للطبراني: " فَلَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِالظَّهَارِ، قَالَ: لَا أُرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيَّ، فَأَنْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّكَ تَبْتَغِي شَيْئًا يَرُدُّكَ عَلَيَّ... فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ فِي ضَعْفِ

^{٥٦٤} انظر: ابن حبان، محمد التميمي البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط ٢، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت:

مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣)، ١٠: ١٠٨ (٤٢٧٩). صححه الأرناؤوط وحسنه الألباني.

^{٥٦٥} أبو داود، السنن، كتاب الطلاق، باب في الظهار، ٢: ٢٦٦ (٢٢١٤). قال الألباني: حسن دون قوله والعرق.

رَأَيْهِ، وَعَجَزَ مَقْدَرَتِهِ، وَقَدْ ظَاهَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،... فَأَبْتَغِي شَيْئًا يَرُدُّنِي إِلَيْهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي"^{٥٦٦} ومن ضمن الرواة أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف مجمع على ضعفه،^{٥٦٧} ومن أجوبة الرسول ﷺ عليها: "مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتَ عَلَيْهِ"^{٥٦٨} و"مَا أُمِرْنَا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَإِنْ نُؤْمَرُ فَسَأُحْبِرُكَ"^{٥٦٩} وتفصيل شكواها عند ابن ماجه: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرْتُ سَيِّئِي، وَأَنْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ"^{٥٧٠} ويحتمل أن تكون الشكوى متابعة لأول استجابة النبي ﷺ حين استفتته، وأحست أنه لا يوجد حل لمشكلتها وأرادت إيضاح حالتها بمعنى: "لقد قضيت معه سن الشباب والإنجاب وأكثرت له الأولاد، وقال ما قاله وندم عليه، ولا حل للمشكلة الناجمة؟" وبالفعل، علمت خويلة واعتقدت أن الظهار جعلها محرمة على زوجها وكانت مصممة على عدم مخالفة ذلك، حتى لو حاول زوجها التأثير عليها بخلاف ذلك حتى يحكم الله ورسوله. وهذا دليل على السيطرة على معتقداتها وقيمها، أي الاستقلال الفكري، والذي ظهر أيضاً في تفاعلها مع الرسول ﷺ. كانت على علم بالظروف التي ظاهر منها بعلمها فيها وأصرت على توضيح ذلك، وكذلك طلبت حلاً معتبرة ذلك معقولاً. ولم تبرح حتى نزل الوحي. وهكذا، بالإضافة إلى الاستقلال الفكري، أبدت خويلة أيضاً تواضعاً فكرياً من خلال اعتمادها على الرسول ﷺ في توفير الحل، وذلك اعتراف بأنها لا تملك المعرفة والقدرة على الوصول إلى الحل بشكل مستقل. ومن خلال إصرارها أبدت المثابرة الفكرية.

المطلب الرابع: ملاحظة الإبداع في الأسئلة الواردة في الأحاديث

لقد أسلفنا أنه نظراً لحقيقة أن الأسئلة تتحدى الافتراضات، وتحفز التأمل، وتشجع على الأفكار الجديدة، فإن الإبداع ينبع من التساؤل من خلال إعادة صياغة الأسئلة، مما يسمح

^{٥٦٦} الطبراني، المعجم الكبير، ١١: ٢٦٥ (١١٦٨٩). ضعيف.

^{٥٦٧} انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٢: ٧ (١٠).

^{٥٦٨} الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٣: ٢٢٤.

^{٥٦٩} الطبراني، جامع البيان، ١١: ٢٦٥ (١١٦٨٩). ضعيف.

^{٥٧٠} ابن ماجه، السنن، كتاب الطلاق، باب الظهار، ١: ٦٦٦ (١٩٨٣).

للعقل بالتححرر من أنماط التفكير المألوفة، مما يسهل بدوره التفكير والبحث في اتجاهات جديدة. في الأحاديث، يمكن ملاحظة أن التساؤل يؤدي دورًا تحويليًا في فتح آفاق لفهم أعمق وفكر خيالي. فعلى سبيل المثال، في حديث المفلس، أجاب الصحابة عن السؤال: "أتدرون ما المفلس؟"^{٥٧١} من منظور اقتصادي، لكن النبي ﷺ أعاد تعريف الإفلاس أخلاقيًا: المفلس الحقيقي هو من خسر حسناته بظلم الآخرين. وهكذا، وسّع السؤال مفهومًا مألوفًا إلى مفهوم أخلاقي من خلال السؤال: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا وَلَا تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ»،^{٥٧٢} دعا النبي ﷺ إلى التفكير المجازي، رابطًا الظواهر الطبيعية بالبصيرة الروحية. وفي حديث جبريل، بالإضافة إلى إظهاره خصائص أسئلة المعرفة أو التذكر كما حددها بلوم، أصبح الحوار المنظم، الذي تحركه الأسئلة المطروحة، أداة تعليمية إبداعية، التي أتاحت للصحابة التعلم من خلال طرح الأسئلة المنظمة بدلًا من التعليم المجرد. وأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوْقُ؟»^{٥٧٣، ٥٧٤} وقال المباركفوري: "وَالْمَعْنَى أَنَّكَ لَوْ تَدَبَّرْتَ لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ فَفِيهِ مَعَ الْمُبَاسَطَةِ لَهُ الْإِشَارَةُ إِلَى إِرْشَادِهِ وَإِرْشَادِ غَيْرِهِ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَ قَوْلًا أَنْ يَتَأَمَّلَهُ وَلَا يُبَادِرَ إِلَى رَدِّهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُدْرِكَ غَوْرَهُ"،^{٥٧٥} وأوافق معه في تفسيره، والذي يشير إلى أن السؤال داع إلى تطبيق التفكير التأملي والتفكير التدبري بشكل إبداعي. وإنه من المرجح أن الرجل فكر قبل طرح سؤاله، لأنه من الأقل، يحتاج إلى بعض التفكير ليفهم قول النبي قبل رد فعله - "ماذا يقول ولد ناقة وأنا أقول احملني؟" وقد يوصف ذلك بالتفكير التأملي أو التدبري، ولكن لم يعمق

^{٥٧١} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١: ٢٦٥ (٢٥٨١).

^{٥٧٢} انظر: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ»، ٦: ٧٩ (٤٦٩٨).

^{٥٧٣} أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ٤: ٣٠٠ (٤٩٩٨). صححه الألباني.

^{٥٧٤} الترمذي، السنن، أبواب البر والصلة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب ما جاء في المزاح، ٣: ٤٢٥ (١٩٩١)، وقال: حديث صحيح غريب.

^{٥٧٥} المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٥)، ٦: ١٠٩.

فيه إلى حد المطلوب للوصول إلى النتيجة. أو قد يكون أنه لم يأخذ في اعتبار قول النبي ﷺ كاملاً عند تفكيره، فركز على "ولد الناقة" وأهل "إنا حاملوك"، مما قد يساعده لو جمع بين التفسير والسياق في إدراك أن المقصود أنه سيمنح ناقة قادرة على حمله.

وإن في الأحاديث مواقف حيث قام فيها بعض الصحابة بتصرفات غير مسبقة - أي أبدعوا - فأصابوا في بعض الحالات فأقر النبي ﷺ فعلهم، وفي الحالات التي أخطأوا علمهم النبي ﷺ الصواب. فعلى سبيل المثال، مارس صحابي رقية بفاتحة الكتاب ولم يكن عارفاً بالرقا ولا بأن سورة الفاتحة رقية، فأقر النبي ﷺ فعله لما أخبر به،^{٥٧٦} وأجنب صحابي آخر في سفر ولم يجد الماء فتمرغ في التراب يريد الطهارة فصحح النبي ﷺ فعله بتعليمه أن التيمم كاف في تلك الحالة.^{٥٧٧} والهدف في هذا القسم عرض أمثلة على الأسئلة الواردة في الأحاديث المحفزة للإبداع أو التي تقتضيه بدءاً بتقديم تفاصيل هذين المثالين.

فأما المثال الأول، فهو كما ذكرت من أمثلة الحالات التي أبدع فيها بعض الصحابة فأقر النبي ﷺ ما فعلوا بعدما بلغه الخبر، وهو ما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لَدِغَ سَيْدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِالْمِ الْقُرْآنَ، وَيَجْمَعُ بُرْقَاهُ وَيَتَفَلُّ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، خُذُوهَا وَاصْرُبُوا لِي بِسَهْمٍ».^{٥٧٨} ولقد تعرض الصحابي لمشكلة لم يواجهها من قبل، ففكر في حلها بنفسه، كما جاء في رواية أخرى: "فَجَاءَتْ جَارِيَّةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَقْرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقِيَّةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقِيَّةً - أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ - قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِالْمِ الْكِتَابِ".^{٥٧٩} ولقد استحسّن النبي ﷺ عمله. ويمكن القول أن هذا إبداع من

^{٥٧٦} انظر: البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الرُقَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ٧: ١٣١ (٥٧٣٦).

^{٥٧٧} انظر: البخاري، كتاب التَّيْمُمِ، باب الْمَيْيَمُ هَلْ يَنْفَعُ فِيهِمَا؟، ١: ٧٥ (٣٣٨).

^{٥٧٨} المصدر نفسه، كتاب الطب، باب الرُقَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ٧: ١٣١ (٥٧٣٦).

^{٥٧٩} البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب فَضْلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ٦: ١٨٧ (٥٠٠٧).

جانب الصحابي لما أظهره من أصالة. وهذا هو الإبداع النفسي، إذ من المعروف أن ممارسة الرقية كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، فمثلاً روى الإمام مسلم عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: "كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^{٥٨٠} وعليه، فإن الممارسة كانت موجودة إلا أن الصحابي المبدع في الحديث لم يكن يمارسها ولا عارفاً بكيفيةها حتى واجه تلك المشكلة فأتى بفكره لحلها من تلقاء نفسه. ويدل هذا الحديث على أن المواقف التي تتطلب الإبداع تعتمد على الخلفية المعرفية للشخص المعني، أي إذا كان عالماً بالمشكلات المطروحة في المواقف وحلولها، فلا يوجد ما يدعو إلى الإبداع، تماماً كما قد يكون الأمر لو كان الصحابي على دراية بالرقى وكيفية ممارستها. وأيضاً بالنظر إلى السؤال المطروح: "فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟" أو "هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟" يبدو كأنه طلب بسيط يتطلب إجابة بسيطة، ومع ذلك، فقد أثار مشكلة تتطلب الإبداع لحلها لأنه لم يكن أحد من الحاضرين على دراية بحل المشكلة، مما يشير إلى أنه على الرغم من أن نوع السؤال المطروح قد يكون مهماً في إثارة مشكلة تتطلب حلاً إبداعياً، ولعل أهم شيئين هما المشكلة الناتجة والخلفية المعرفية لذي منصب حلال المشكلة. وهذا المثال بيان أو توضيح للنقاش حول الأسئلة والإبداع في المطلب العاشر تحت المبحث الأول للفصل الحالي، حيث قدمنا توصيفاً عاماً للأسئلة المؤدية إلى الإبداع أو محفزة لها. ولندكر مثالا آخر استشهدا على إقرار النبي ﷺ إبداع صحابي على الرغم من أنه لم يكن بحافز سؤال، وذاك حيث تلقظ صحابي بكلمات في الصلاة وكان غير مسبوق في ذلك، فأقر النبي ﷺ قوله كما أورد الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه، واللفظ للإمام مسلم هو "أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟» فَأَرَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا» فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفْسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا.»^{٥٨١} ونقطة جديرة بالملاحظة من هذا المثال هي أن فعل الصحابي كان مندفعاً

^{٥٨٠} مسلم، الصحيح، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، وعَرَّهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، ٤: ١٧٢٧ (٢٢٠٠).

^{٥٨١} مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ١: ٤١٩ (٦٠٠).

وبدون تفكير كثير، وهو ما يبدو أنه يدعم آراء بعض الفلاسفة مثل سقراط وأفلاطون بأن الإبداع يحدث بنوع من الإلهام،⁵⁸² إلا أنني لا أتفق مع المصادر التي ينسبون إليها الإلهام.

وأما المثال الثاني، فهو الحدث في رواية سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَجَنَّبْتُ فَلَمْ أُصِبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا» فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفِّهِ الْأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِمَا وَجْهَهُ وَكَفِّهِ. وهذا مثال جيد جدًا لتوضيح كيف أن المشكلة نفسها تتطلب تفكيرًا عالي المستوى من فرد ما في لحظة ما وتفكيرًا منخفض المستوى من الفرد نفسه في لحظة أخرى بسبب التغير في المعرفة الخلفية للفرد. وعندما واجه عمار المشكلة لأول مرة، لم يكن لديه علم بكيفية حلها واضطر إلى إيجاد حل بنفسه، الأمر الذي لم ينل التأكيد النبوي، وعلمه النبي ﷺ الحل الصحيح. ولذلك عندما عرض السائل المشكلة نفسها، كان عمار ﷺ خبيرًا بها وبحلها، ولم يكن بحاجة إلى التفكير فيها كما فعل في المرة الأولى.

ومن الأمثلة التي تبرز الحالة الفكرية لمشكلة بالنسبة لاختلاف الخلفية المعرفية بين الأفراد، رواية رحلة عمر ﷺ - عن ابن عباس ﷺ - إلى الشام عندما وصلهم خبر تفشي وباء في الوجهة. وتشاور عمر ﷺ بشكل منفصل مع المهاجرين والأنصار ومَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ بشأن المضي قدمًا أو العودة. وانقسمت كل فرقة من الفريقين الأولين إلى فريقين واختلفت فيما بينهم، بينما أجمعت المجموعة الثالثة على قرار العودة، وهو ما رجحه عمر ﷺ. ثم "قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفَرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفَرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُذُوتَانِ، إِحْدَاهُمَا حَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْحَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَعَيِّنًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَعَيْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ

⁵⁸² Paul and Stokes, "Creativity".

وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ. ^{٥٨٣} وأما السؤال الرئيسي في الحديث، أي الذهاب إلى الشام أو الرجوع، فهو سؤال يحتاج إلى تمرين فكري أعلى لكل من في تلك الرحلة، وكان عمر يحتاج إلى شيء من الإبداع، إلا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لأنه كان عنده بالضبط ومعرفة كيفية التعامل مع الموقف، وما عليه إلا أن يتذكره تمامًا كما علمه النبي ﷺ. والسؤال الذي طرحه أبو عبيدة رضي الله عنه يدل على فهمه للموقف والرأي الذي يفضل، مما دفع عمر رضي الله عنه إلى إبداع القياس من أجل إثبات صحة القرار المتخذ، وقيل أن قوله: "نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله" يريد أنه "لَا يَعْتَمِدُ أَنَّهُ بِالْفِرَارِ يَنْجُو مِمَّا قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَرْجِعُ عَمَّا يَخَافُ أَنْ يَكُونَ قُدِّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَبَاءِ إِنْ وَصَلَ إِلَى مَا يَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ قُدِّرَ لَهُ مِنَ السَّلَامَةِ إِنْ رَجَعَ." ^{٥٨٤}

ويمكن اعتبار حديث «النخلة» ^{٥٨٥} عن ابن عمر، الذي تم ذكره من ضمن أمثلة الأحاديث التي تشمل الأسئلة التركيبية كمثال هنا أيضا، وذلك بأن السؤال "أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا وَلَا تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ" يطلب تركيب المعلومات المعروضة للوصول إلى الإجابة المطلوبة، ولكن من الواضح أن المحييين لم يواجهوا سؤالاً مثل هذا من قبل، وبالتالي كانوا بحاجة إلى الإبداع من أجل التوصل إلى إجابة.

ومن الأمثلة الأخرى على الأسئلة التي تتطلب الإبداع تلك التي تطلب من المستجيبين كيف سينظرون إلى مواقف معينة في المستقبل، والتي لم يواجهوها من قبل ولم يتعلموا عنها. على سبيل المثال، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمْرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ - أَوْ - يُمَيِّتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، فَإِنْ أَذْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ» ^{٥٨٦} وقد يعني سؤال النبي ﷺ كيف سيتصرف أبو ذر إن عاش في الحالة التي وُصفت له، ولقد نُقل عن الطيبي أنه فسر السؤال قائلاً: "أَيُّ مَا حَالُكَ حِينَ تَرَى مَنْ هُوَ حَاكِمٌ عَلَيْكَ مُتَهَاوِنًا فِي الصَّلَاةِ يُؤَخِّرُهَا

^{٥٨٣} انظر: البخاري، الصحيح، كتاب الطَّيِّبِ، بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الطَّاعُونَ، ٧: ١٣٠ (٥٧٢٩).

^{٥٨٤} أبو الوليد، سليمان بن خلف الأندلسي، المنتقى شرح الموطأ، (مصر: مطبعة السعادة، ١٩١٤)، ٧: ١٩٩.

^{٥٨٥} انظر: البخاري، كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ» ^{٥٨٦} (٤٦٩٨).

^{٥٨٦} مسلم، الصحيح، كتاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ إِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ، ١: ٥٦٩ (٦٤٨).

عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مُحَالَفَتِهِ إِنْ صَلَّيْتَ مَعَهُ فَاتَتْكَ فَضِيلَةُ أَوَّلِ الْوَقْتِ، وَإِنْ خَالَفْتَهُ خِفْتَ أَذَاهُ وَفَاتَتْكَ فَضِيلَةُ الْجَمَاعَةِ...^{٥٨٧} والواقع هو أن أبا ذر لم يواجه مثل تلك الحالة قط ولم يكن يعلم كيفية التصرف فيها، وعليه يحتاج إلى التفكير الإبداعي لكي يحصل على الإجابة المطلوبة. ومثال آخر على هذا الغرار حديث «حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِرِّمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، يُغْرِبِلُ النَّاسَ فِيهِ غَرْبَلَةً، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُھُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا، وَكَانُوا هَكَذَا؟»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِكُمْ».^{٥٨٨} وسؤال النبي ﷺ للصحابة في الحديث يعني كيف سيكون حالهم في زمن يتوفى خيار الناس ولا يبقى سوى شرارهم وأراذلهم وقد اختلفت وفسدت عھودهم،^{٥٨٩} ولقد قيل^{٥٩٠} أن النبي ﷺ يعني القرون المذمومة في آخر الزمان وليس أصحابه وتابعيهم لأنه قد شهد لهم بالفضل بقوله: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ... ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُجَوِّثُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذَرُونَ وَلَا يُقَوَّنُونَ...»^{٥٩١} المهم، لم يجب الصحابة عن السؤال، بل طلبوا النصيحة النبوية عن كيفية التصرف عند الحالة الموصوفة: "كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟"، ومن الاحتمالات الخاطرة على البال أنهم كانوا غير عارفين بالجواب المطلوب، وعليه، لو أنهم تجرأوا على الإجابة، لكان عليهم أن يفكروا بطريقة إبداعية. ومنها أيضاً، الأسئلة الواردة في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يَقْوَمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟» - يَعْنِي الْقَبْرِ - قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ: «تَصَبَّرْ» قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ

^{٥٨٧} علي بن (سلطان) محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢: ٥٣١.

^{٥٨٨} ابن ماجه، السنن، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ التَّنَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ، ٢: ١٣٠٧ (٣٩٥٧).

^{٥٨٩} انظر: ابن ماجه، التعليق الهامشي لمحمد فؤاد عبد الباقي.

^{٥٩٠} انظر: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخارى، ط ٢، أبو تميم ياسر بن إبراهيم

(الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣)، ١٠: ٢٠٧.

^{٥٩١} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُحْدَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، ٨: ٩١ (٦٤٢٨).

- قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعَقَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الرَّيِّتِ بِالْدَمِّ؟» قُلْتُ: مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَا، وَلَكِنْ ادْخُلْ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دَخَلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِأَمْنِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». ^{٥٩٢} ولكلٍّ من الأسئلة الثلاثة التي طرحها النبي ﷺ في الحديث، أجاب أبو ذر رضي الله عنه الطريقة نفسها: "مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ" أَوْ "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ". لكن من الواضح في الجزء الأخير من الحديث أن أجوبته لا تعني بالضرورة أنه ليس له رأي في أجوبة الأسئلة. لقد أبدى رأيه في النهاية بعد أن سمع من النبي ﷺ: "أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ" مع الأسئلة اللاحقة لإجابات النبي ﷺ، والتي أدت إلى النصيحة النبوية. ويبدو أن الصحابة كانوا يتأدبون هكذا مع النبي ﷺ يرغبون في الاستماع إلى رأيه ﷺ أولاً قبل الإدلاء برأيهم إن أمكن، أي، بدلا من أن يجيبوا عن سؤال النبي ﷺ، يتفاعلون بدءا إما بطلب الإجابة منه ﷺ كما هو ملحوظ في حديث «خُتَالَةُ مِنَ النَّاسِ» أو بقولٍ مثل: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ" وما شابهه. وهذه الملاحظة مدعومة بعدة أحاديث، مثلا، من الأحاديث الواردة حول حجة الوداع، رُوي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: "خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَذَرُونَّ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى... ^{٥٩٣} الحديث. ومن الواضح أنهم يعرفون اليوم الذي يسأل عنه، وكذلك الشهر والبلد. ومن الأمثلة الصارخة ما جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة ٢: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهْنِ لَكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ

^{٥٩٢} ابن ماجه، السنن، كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ التَّجَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ، ٢: ١٣٠٨ (٣٩٥٨).

^{٥٩٣} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِئَى، ٨: ١٧٦ (١٧٤١).

الْعِلْمُ». ^{٥٩٤} فَنرى أَن جواب أبي الأول كان "اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، فلما أصر النبي ﷺ أبدى رأيه، فتبين أَنه الجواب الصحيح.

ولنسرِد الآن بعض الأمثلة التي تشبه ما سبق ذكره في الأحاديث، حيث كان النبي ﷺ هو المستجيب بدلا من السائل، وكان ذلك حيث طُرح عليه أسئلة لم يكن يعلم إجاباتها فلبث ساكتا حتى أُوحي إليه الجواب. وأعتبر تلك الأسئلة حافزة للإبداع لأنه لولا الوحي لكان على المستجيب أن يبدع لو اضطر على الإجابة. وإن من أمثال هذا النوع من الأسئلة ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري وغيره أَن النبي ﷺ بعدما عبّر عن مخافته من تأثير زهرة الدنيا وزينتها على أمته من بعده سئل: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْيَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ؟" فسكت. قال الراوي: "فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟" قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءُ، فَقَالَ: «أَتَيْنَ السَّائِلُ؟» وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ، وَإِنَّمَا يُنْبِئُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَنَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ خُلُوةٌ، فَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^{٥٩٥} وكذلك روي عن صفوان بن يعلى أَنه: "جاءه رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ، وَهُوَ مُتَضَمِّحٌ بِطَيْبٍ؟" فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظْلِمَ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: «أَتَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ؟» فَأُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: «اغْسِلِ الطَّيْبَ الَّذِي بِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَانْرِغْ عَنْكَ الْجُبَّةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ» قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَرَادَ الْإِنْقَاءَ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْسِلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ^{٥٩٦} وعن أبي مسعود الأنصاري، قال: "أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي

^{٥٩٤} أبو داود، السنن، كتاب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوُثْرِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ، ٢: ٧٢ (١٤٦٠). صححه الألباني.

^{٥٩٥} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَغْنِيهِ، ٢: ١٢١ (١٤٦٥).

^{٥٩٦} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ غَسْلِ الْخُلُقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنَ النَّيَّابِ، ٢: ١٣٦ (١٥٣٦).

عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ
 عَلِمْتُمْ»^{٥٩٧} وسئل عبد الله بن عمر: "أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُتْلَعَانِ أَيْفَرَّقُ بَيْنَهُمَا؟" فقال:
 "سُبْحَانَ اللَّهِ، نَعَمْ، إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أَنْ
 لَوْ وَجَدَ أَحَدُنَا امْرَأَتَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ، كَيْفَ يَصْنَعُ إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ؟ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ
 عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَاهُ، فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِي
 سَأَلْتَنِي عَنْهُ قَدْ ابْتُلِيتُ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
 أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور ٢٤: ٦] فَتَلَاهُنَّ عَلَيْهِ، ... فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ،
 وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، ثُمَّ ثَنَّى بِالْمَرْأَةِ، فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ
 إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا،"^{٥٩٨}
 وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ
 عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ ... فَقَامَ رَجُلٌ
 مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ،
 قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾ [الإسراء ١٧: ٨٥]."^{٥٩٩}

خلاصة الفصل

تناول هذا الفصل دور الأسئلة في الأحاديث النبوية في بناء المعرفة وتحفيز التفكير بمستوياته
 المختلفة، موضحاً أن السؤال أداة تربوية محورية لتنمية النقد والاستقلال والإبداع. وقد عُرِضَت
 الأسئلة وفق تصنيف بلوم، ثم جرى تحليلها من منظور التفكير النقدي والاستقلال الفكري
 والإبداع، مع إبراز عناصر الفكر ومعايير وسماته.

^{٥٩٧} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، ١: ٣٠٥ (٤٠٥).

^{٥٩٨} المصدر نفسه، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَتَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، ٢: ١١٣٠ (١٤٩٣).

^{٥٩٩} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ١: ٣٧.

فمن منظور تصنيف بلوم، غطّت الأسئلة النبوية المستويات الستة: من المعرفي/التذكري كما في حديث جبريل، إلى الاستيعابي كما في استفسار الصحابة عن معنى "الظلم"، ثم التطبيقي كما في تفسير الرؤى، والتحليلي في حوار النبي ﷺ مع الأعرابي الذي أنكر نسب ولده أو في أسئلة هرقل، والتركبي كما في سؤال الشجرة التي تشبه المسلم، والتقييمي كما في حديث "على كل مسلم صدقة".

وبالنسبة للتفكير النقدي، أوضحت الأحاديث أن الأسئلة لم تكن مجرد استفسارات، بل أدوات لتحفيز العقل على مراجعة الافتراضات وكشف الأخطاء. فقصة الشاب الذي طلب الإذن بالزنا أبرزت كيف وجّه النبي ﷺ الحوار بأسلوب استدراجي أورث الشاب وعياً وتعاطفاً وعدالة فكرية. كما كشف حوار النبي ﷺ مع الأعرابي عن معالجة الافتراضات الخاطئة بأمثلة وأسئلة تحليلية، بينما وسّعت إجابات النبي ﷺ على أسئلة عائشة عن عبادته أفق التفكير لتجاوز التصور الضيق للعبادة.

أما الاستقلال الفكري، فقد تجلّى في جرأة الصحابة والتابعين على طرح الأسئلة رغم إيمانهم الراسخ، مثل سؤال الحارث بن هشام عن كيفية مجيء الوحي، أو سؤال الأعراب عن وقت الساعة، أو استفسار عائشة عن الحشر يوم القيامة. لقد دلّت هذه الأسئلة على تواضع فكري في الاعتراف بحدود المعرفة، وعلى استقلالية فكرية تدفع للسؤال والاستزادة، وهو ما عزّزه النبي ﷺ من خلال تشجيع التساؤل وتوجيهه لما هو أنفع عبر أسلوب الحكيم.

وبالنسبة للإبداع، برزت الأسئلة النبوية كوسيلة لإطلاق الخيال وتوليد الأفكار الجديدة. فقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التشبيه والتمثيل في صياغة الأسئلة، مثل سؤاله عن الشجرة التي تشبه المسلم، أو ربطه بين أعمال متفرقة كالصوم واتباع الجنائز وإطعام المساكين وعبادة المرضى للوصول إلى فكرة مركبة تقود إلى الجنة. كذلك أظهرت بعض الأسئلة طابعاً ابتكارياً في توظيف المواقف اليومية لصياغة تعليم عميق، كما في حديث «لا عدوى» الذي أعاد صياغة التصور الشعبي للمرض بطريقة فكرية جديدة. وبهذا يتضح أن الأسئلة النبوية لم تقتصر على النقد أو الاستيعاب، بل فتحت آفاق الإبداع والابتكار الفكري لدى السائلين، وأسست لنموذج تعليمي يزاوج بين العقل والخيال.

وأما عناصر الفكر ومعايير وسماته، فقد أظهرت الأحاديث وضوح المقاصد ودقة الألفاظ، ومراعاة معايير التفكير الرشيد كالعمق والملاءمة والصلة. كما تجلّت السمات الفكرية في التواضع الفكري، والاستقلالية، والمثابرة في متابعة السؤال، والنزاهة والعدالة الفكرية، إضافة إلى التعاطف والشجاعة الفكرية.

ويبدو من مناقشة الفصل أن الأسئلة النبوية منهج تربوي متكامل، يجمع بين بناء المعرفة وتنمية النقد وتعزيز الاستقلال الفكري وإطلاق طاقات الإبداع. فهي ليست مجرد استفسارات، وإنما أدوات تعليمية مقصودة وجهت الفكر نحو الأجدى، وصحّحت التصورات الخاطئة، وأثارت الخيال والابتكار، مما يجعل التجربة النبوية في توظيف السؤال نموذجاً ممتازاً لبناء الفكر المتوازن والفاعل في الفرد والمجتمع.



الفصل الخامس

التساؤل الجيد وقيّمته

الفكرة الأساسية من طرح الأسئلة هي أنّنا تمنحنا القدرة على الوصول إلى المعلومات وفهمها. وتعتمد هذه الفكرة على إدراك جوهر عملية السؤال والإجابة، لكن الفصل الثاني كشف عن وجود أنواع متعددة من الأسئلة، بعضها لا يهدف مباشرة إلى الحصول على معلومات من المجيب، بل يُستخدم لأغراض أخرى مثل الإنكار، أو التوبيخ، أو السخرية، أو التقرير، أو التأكيد، أو التعجب، أو التذكّر، وغيرها من الأهداف التي قد تخدمها الأسئلة. فعليه، أرى أن التساؤل ليس مجرد وسيلة لاستقصاء المعلومات وفهمها، بل يُستخدم أيضاً كأداة للتعبير عن المشاعر والانطباعات المختلفة تجاه المطروح عليه أو موقفه.

ومن خلال الربط بين هذه الفكرة والفكرة العامة حول الاستفهام، يمكن القول إن الاستفهام يُمكن من تدفق المعلومات وفهمها بين السائل والمسؤول، بحيث يكون اتجاه التدفق في الإطار العام من المجيب إلى السائل على هيئة الجواب المطلوب. ومع ذلك، قد ينعكس هذا الاتجاه عندما يكون هدف السائل إيصال شعور أو انطباع معين إلى المسؤول، على سبيل المثال، السؤال الذي يهدف إلى التعبير عن الإنكار ينقل هذا الشعور والفهم إلى المخاطب دون أن يكون الغرض الحصول على المعلومات منه.

يتضح أن للتساؤل أغراضاً متعددة، وأن جودة التساؤل وقيّمته تعتمدان على مدى استيفائه لتلك الأغراض.

المبحث الأول: قيمة التساؤل

المعرفة والفهم من أهم الكنوز الفكرية التي يمكن الحصول عليها عن طريق طرح الأسئلة. ومن ثم، يمكن تقدير قيمة التساؤل من خلال النظر في العلاقة بينه وبين المعرفة، وبينه وبين الفهم.

المطلب الأول: العلاقة بين التساؤل والمعرفة

قد أكد الباحثون على أهمية الفرق بين المعرفة وعدم المعرفة،^{٦٠٠} وكذلك أهمية إسناد قيمة للمعرفة. ويقال إن نظرية المعرفة التي تفتقر إلى تفسير مُرضي لتخصيص قيمة للمعرفة هي بالضرورة غير كافية.^{٦٠١} ويُعتقد أن قيمة المعرفة تنشأ من المهارات الفكرية والفضائل المطلوبة للحصول عليها،^{٦٠٢} أي، أنه في اكتساب المعرفة يتم تحديد قيمتها. ومن ثم، فإن الأداة أو العملية التي تساعد في اكتساب المعرفة مثل طرح الأسئلة يجب أن تكون ذات قيمة أيضًا.

ولقد أشارت المقدمة في الفصل الأول إلى الاعتقاد المنسوب إلى سقراط أنه قد يكون لدى المرء مفاهيم صحيحة مغفول عنها، والتي يمكن الكشف عنها من خلال طرح الأسئلة عليه مرارا وفي أشكال مختلفة.^{٦٠٣} وهذا يدل على العلاقة بين السؤال والمعرفة حيث يُستخدم السؤال كأداة لمساعدة الإنسان على إدراك المعرفة التي يملكها على غير علم. وكذلك أشرت إلى دعوة الباحثين إلى الاعتراف بأهمية العلاقة بين المعرفة وبين الأسئلة اعتمادًا على رأيهم أن الأسئلة تثير عددًا كبيرًا من القضايا في فلسفة المنطق وفلسفة اللغة.^{٦٠٤}

وإلى جانب هذه المؤشرات، يقال إن التساؤل يؤدي الأدوار الأداتي والتأسيسي والأساسي في اكتساب المعرفة،^{٦٠٥} ويمكن فهم الدور الأداتي من خلال التفات النظر إلى الحقيقة أن طرح الأسئلة يمكن من الحصول على المعلومات جنبًا إلى جنب مع النظر إلى العلاقة بين المعرفة وبين المعلومات: "المعرفة هي الوعي أو الفهم أو المهارة التي تحصل عليها من خلال الخبرة أو التعليم. والمعلومات هي حقائق أو تفاصيل شيء ما". وهما مرتبطتان: المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه،^{٦٠٦} والمعلومات هي "الأخبار والتحقيقات أو كل ما يؤدي إلى كشف الحقائق وإيضاح الأمور واتخاذ القرارات".^{٦٠٧} وبالتالي، إذا كان للتساؤل وظيفة مميزة تتمثل في

⁶⁰⁰ Timothy Williamson, *Knowledge and Its Limits*, (Oxford University Press, 2000), 31.

⁶⁰¹ Jonathan Kvanvig, *The Value of Knowledge and the Pursuit of Understanding*. (Cambridge Univ. Press. 2003), ix-x.

⁶⁰² Riggs, Wayne. "Reliability and the Value of Knowledge." *Philosophy and Phenomenological Research* 64, (2002): 79-96.

⁶⁰³ Plato. *Meno*, 80.

⁶⁰⁴ Lihoreau, Franck (Ed.), *Knowledge and questions*, (Vol. 77), (Rodopi, 2008), pvii-xxiv.

⁶⁰⁵ Lani, "Why Ask", 112-120.

^{٦٠٦} انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٨)، ٢: ١٤٨٧.

^{٦٠٧} أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢: ١٥٤٤.

استخلاص المعلومات، فإنه، إذن، يلعب دورًا مركزيًا كأداة في اكتساب المعرفة. أما بالنسبة للدور التأسيسي للسؤال في اكتساب المعرفة، فيفهم من خلال الملاحظة أن السؤال يلعب دورًا مهمًا في تقييم المعرفة، وهي حقيقة تدعمها أهداف إجراء المقابلات بحثًا عن المرشحين المناسبين للوظائف. وبطبيعة الحال، من بين أهم أهداف المقابلات التأكد من أن المرشح المختار لديه المعرفة الكافية للمنصب الذي تم تعيينه له. ومن دون طرح الأسئلة، من الصعب أن نتصور كيف يمكن تحقيق هذا الهدف. وعليه فقد صرح الباحثون بأن المعرفة مستحيلة بدون التساؤل.^{٦٠٨} هذه حقيقة تشير إلى تأسيسية السؤال وضروريته بالنسبة للمعرفة.

المطلب الثاني: العلاقة بين التساؤل والفهم

في المطلب السابق، من خلال لفت نظرنا إلى العلاقة بين المعلومة والتساؤل من جهة، والعلاقة بين المعلومة والمعرفة من جهة أخرى، تمكنا من إثبات العلاقة بين التساؤل والمعرفة. وعلى نفس المنوال، من خلال إدراك العلاقة بين المعلومة والفهم، يمكن إثبات هدف هذا الطلب بسهولة أيضًا. ومع ذلك، من المهم الإشارة إلى الفرق بين المعرفة والفهم لأن الاعتبار العرضية تشير إلى أنهما مترادفان خاصة من الناحية اللغوية كما سنرى قريبًا.

في ظل الاعتبارات الاصطلاحية، من أجل الفهم، يجب على المرء الاستيعاب، بطريقة أو بأخرى، بالروابط داخل شبكة من المقترحات أو المعلومات، على سبيل المثال، "يتطلب الفهم استيعاب العلاقات التفسيرية وغيرها من العلاقات المتماسكة في مجموعة كبيرة وشاملة من المعلومات".^{٦٠٩} ويوصف الفهم أيضًا بأنه تقدير أو استيعاب النظام والنمط وكيفية تماسك الأشياء معًا.^{٦١٠} والمعرفة من ناحية أخرى تُعرّف بأنها الاعتقاد الحقيقي المبرر،^{٦١١} والذي يعني أنه يقال إن شخصًا ما يعرف شيئًا ما إذا كان هذا الشيء صحيحًا ويؤمن به الشخص بأسباب

⁶⁰⁸ Jonathan Schaffer, "Contrastive Knowledge." In *Oxford Studies in Epistemology 1* edited by Tamar Szabo Gendler and John Hawthorne, (Oxford University Press. 2005), 235-272.

⁶⁰⁹ Kvanvig, *The Value of Knowledge and the Pursuit of Understanding*, 192.

⁶¹⁰ Wayne Riggs, "Understanding Virtue and the Virtue of Understanding." In *Intellectual Virtue: Perspectives from Ethics and Epistemology* edited by Michael DePaul and Linda Zagzebski. (Oxford University Press. 2007), 217.

⁶¹¹ Risto Hilpinen, "Knowing that one knows and the classical definition of knowledge," *Synthese*, (1970): 109-132.

وجبهة للقيام بذلك.^{٦١٢} ومن الواضح من التعريفين أن الفهم يتحدد من حيث العلاقة بين قطع المعلومات أو الاقتراحات، في حين تتحدد المعرفة من حيث عنصر معزول. فحين يفهم المرء شيئاً ما فإنه لا يعرفه فقط، بل يعرف أيضاً طبيعة العلاقة بينه وبين أشياء أخرى، وهذا يوضح إمكانية معرفة شيء ما بدون فهمه. ومع ذلك، لا يبدو أن الاعتبارات اللغوية توضح الفرق بين المفهومين. بل يبدو أن البعض يعتبرهما مترادفين، على سبيل المثال: "يقال فَهِمْتُ الشَّيْءَ [فَهَمًا وَفَهْمًا] بمعنى عَرَفْتُهُ وَعَقَلْتُهُ، وَفَهَمْتُ فَلَانًا وَأَفْهَمْتُهُ بمعنى عَرَفْتُهُ،^{٦١٣} ولكن لبعض الاعتبارات، يمكن فهم الكلمات والعبارات الرئيسية على أنها تشير إلى أن الفهم معرفة أعمق، مثلاً، يقال فَهِمَ الأمرَ أو الكلامَ أو نحو ذلك بمعنى أدركه، أو علمه، أو أحسن تصوّره، أو استوعبه،^{٦١٤} والفَهْمُ جودة استعداد الذّهن للاستنباط،^{٦١٥} كما يقال من حيث العلم: الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة، وقيل: هو تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: أدراك خفي، دقيق، فهو أخص من العلم، لأن العلم نفس الإدراك سواء كان خفياً أو جلياً.^{٦١٦} فكلّ من حسن التصور والاستيعاب والاستنباط والعلم بمعاني الكلام والإدراك الخفي الدقيق يوحي بأن فهم الشيء يعني إحاطة به علماً بما في ذلك علاقاته بأشياء أخرى، فإنه لم يحسن تصور الشيء من تصوّره بدون طبيعة ارتباطاته بأشياء أخرى وكذلك لم يستوعبه وليس بمستعد لاستنباط منه بشكل جيد، كما إن العلم بمعنى الكلام يشمل العلم بدلالاته. ومن هنا يتضح من هذه المناقشة أنه على النقيض من المعرفة، الفهم يهتم بالعلاقات في مجموعة من المعلومات ويعمق إحاطة المعرفة الشخص لما هو معروف بالفعل.^{٦١٧}

فالعلاقة الوثيقة بين المعرفة والفهم واضحة من خلال المناقشات اللغوية والاصطلاحية. وفي حين تعتبران في بعض الأحيان مترادفتين خاصة في ظل الاعتبار اللغوي، فإن الاعتبارين

⁶¹² Ettore Bolisani, Bratianu, C., Bolisani, E., & Bratianu, C. The elusive definition of knowledge. *Emergent knowledge strategies: Strategic thinking in knowledge management*, (2018): 1-22.

^{٦١٣} أبو عبد الرحمن، الخليل بن الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (القاهرة:

دار ومكتبة الهلال)، ٤: ٦١.

^{٦١٤} انظر: أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٧٨٤.

^{٦١٥} انظر: أحمد عمر، ٣: ١٧٤٩.

^{٦١٦} انظر: أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ٤١٤.

⁶¹⁷ Linda Zagzebski, "Recovering Understanding," In *Knowledge, Truth, and Duty* (eds.) Matthias Steup, (Oxford University Press. 2001), 244.

اللغوي والاصطلاحي يشيران أيضاً إلى أن الفهم نوع خاص من المعرفة. وعليه، فإن الفهم من السلع المعرفية القيمة مثل المعرفة. ومن ثم، كما هو الحال في حالة المعرفة، يُنظر إلى التساؤل على أنه مرتبط بالفهم بطرق أداتية وتأسيسية وأساسية. كأداة تحصيل المعلومات، يمكن اعتبار طرح الأسئلة مهارة فكرية أساسية، والذي يتم من خلاله تحقيق الفهم. ومن الجدير بالذكر أنه يبدو أن طبيعة الاستيعاب الناجح تتضمن مهارة التساؤل. وبالتالي، يُظهر طرح الأسئلة قيمة أداتية مميزة فيما يتعلق بالفهم.^{٦١٨}

ومن السهل تصوّر هذه الحقيقة إذ اعتُبر أن ما يُفهم هي المعلومات، والتساؤل وسيلة الحصول على المعلومات، وفي غياب المعلومات، لا يوجد شيء يمكن فهمه. وإن كانت المعلومات موجودة بالفعل ففهمها إذاً معتمد على قدرة المرء على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالمعلومات، وقدرته على التساؤلات يمكنه من السعي وراء الحصول على الفهم الذي لا يملكه هو من خلال استجواب الذين يملكونه. هذه الملاحظة، بالإضافة إلى الكشف عن أداة التساؤل في الوصول إلى الفهم، تظهر أيضاً أن التساؤل هو إحدى المهارات الفكرية الأساسية المشاركة في الوصول إلى الفهم. مرة أخرى، إذا وجهنا الانتباه إلى عمليات إجراء المقابلات وأهدافها، فإننا نرى أنه كما هو الحال في حالة المعرفة، يتم تقييم الفهم أيضاً من خلال طرح الأسئلة. لذا، فإن التساؤل هو السبب جزئياً في أننا نقدر الفهم، أي أن التساؤل يُظهر قيمة تأسيسية فيما يتعلق بالفهم.

على الرغم من أن الأمثلة المذكورة أعلاه قد سلّطت الضوء على أدوار التساؤل فيما يتعلق بالفهم، فإنه من المهم الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين التساؤل والاستيعاب. فقد لاحظ الباحثون أنه يبدو في طبيعة الاستيعاب الناجح تنطوي على مهارة التساؤل. ومن أجل فهم أي موضوع، يتعين على الفرد إدراك الروابط ذات الصلة بداخله، مما يجعل الاستيعاب أداة فعالة لتحقيق الفهم. وبالمثل، يُعد التساؤل وسيلة حيوية بسبب ارتباطه الوثيق بعملية الاستيعاب.^{٦١٩} علاوة على ذلك، تم تعزيز القيمة التأسيسية للتساؤل من خلال إدراك مفهوم الاستيعاب كعنصر مميز في تحليل الفهم. تظهر قيمة الفهم من خلال علاقات التماسك التي يكشفها الاستيعاب، إذ يكون الاستيعاب مصدراً فريداً للقيمة، مما يمنح الفهم مكانته وأهميته.

⁶¹⁸ Lani, "Why Ask," 122.

⁶¹⁹ Lani, 123.

ويعد الفهم ذو قيمة لأن العثور على علاقات التماسك ينظم التفكير في موضوع ما، ويمكن الفرد من الوصول إلى استنتاجات توفر أساساً للعمل، كما يوفر الرضا المعرفي كنتيجة لإدراك تلك العلاقات.^{٦٢٠} وهكذا يلعب الاستيعاب دوراً تأسيسياً في تحقيق الفهم، وكذلك السؤال أيضاً بحكم علاقته بالفهم.

ومن أجل إظهار أن التساؤل أساسي (أي ضروري) للفهم، فقد قيل إن فهم سبب حدوث شيء ما يرقى إلى فهم تفسير سبب حدوثه، وبالتالي فإن "التفسير هو إجابة لسؤال لماضي".^{٦٢١} وأضيف أيضاً أن فهم كيفية ارتباط العناصر المختلفة في مجموعة من المعلومات ببعضها البعض يعادل فهم تفسير كيفية ارتباطها ببعضها البعض. وهكذا نرى أن التفسير هو إما إجابة لأسئلة لماضية أو لأسئلة كيفية. وعلى أية حال، الاستنتاج هو أنه "بدون القدرة على طرح الأسئلة والإجابة عليها، فإن التفسير بنفسه لن يكون له أي معنى. وهذا هو الحال حتى لو لم تتجل هذه القدرة بشكل علني. وعلى هذا النحو، يمكن النظر إلى التساؤل على أنه يلعب دوراً أساسياً في اكتساب الفهم، كما هو الحال مع المعرفة، ويظهر قيمة تأسيسية أساسية...".^{٦٢٢}

المبحث الثاني: أمثلة محددة حول قيمة الأسئلة

لعل الدراسة حتى الآن قد أبرزت قيمة التساؤل من خلال علاقته بالفهم والمعرفة، وأبدت أن السؤال ليس مجرد أداة لطلب المعلومة، بل هو أداة فكرية تنظم التفكير والحوار والاكتشاف. فمن حوارات سقراط في الفلسفة اليونانية القديمة إلى المناهج التربوية المعاصرة، ظل السؤال عنصراً أساسياً في التعلم والتفكير. وفي التراث الإسلامي، نجد القرآن الكريم والسنة النبوية يبرزان قيمة السؤال باعتباره وسيلة لإيقاظ القلب، وتنمية العقل، وتوجيه السلوك. يستعرض هذا المبحث بعض الأبعاد لقيمة السؤال، ثم يقارن بين النماذج الغربية في التربية والفلسفة وبين النموذج النبوي.

المطلب الأول: القيمة المعرفية والعقلية

⁶²⁰ Kvanvig, *The Value of Knowledge and the Pursuit of Understanding*, 202.

⁶²¹ Van Fraassen, *The Scientific Image*, 134.

⁶²² Lani, 129.

يُرى السؤال كالقوة المحركة للتفكير، لأنه يحدد اتجاهه وعمقه.^{٦٢٣} فالتفكير من دون سؤال راكد، أما بوجوده فإنه يتحول إلى عملية نقدية ديناميكية.

وقد استخدم النبي ﷺ السؤال لتنبية العقول وشحذ التفكير. فقد قال لأصحابه: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟». ثلاثاً، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَبِّمًا، فَقَالَ - «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته يسكت.^{٦٢٤} فالسؤال هنا أيقظ الانتباه قبل أن يأتي الجواب، مما جعل أثره أعمق في النفوس. وبأسلوب التحفيز نفسه، قال ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ مَا الْعُضَةُ؟ هي النملة القالة بين الناس»^{٦٢٥}

المطلب الثاني: القيمة التربوية

لقد واجهنا تصنيف بلوم للأهداف التعليمية، الذي يؤكد أن طرح الأسئلة يساعد على الانتقال في التفكير من مجرد التذكر إلى أعلى مستويات التفكير مثل التحليل والتركيب والتقويم،^{٦٢٦} وأبرزت تلك القدرات في الأسئلة الواردة في الأحاديث. ويرى باحثون غير بلوم أيضاً أن الحوار الموجّه بالسؤال يمكن المتعلّم من الارتقاء من مستواه الراهن إلى إمكاناته الكامنة.^{٦٢٧} وهذا ما نجده في المنهج النبوي، كما في حديثه ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا...»^{٦٢٨} فالسؤال طلب إعادة تعريف المفهوم، وربط التعليم بالأبعاد الأخلاقية والعملية.

المطلب الثالث: القيمة الفلسفية والعلمية

⁶²³ Richard Paul and Linda Elder, *The Miniature Guide to Critical Thinking Concepts and Tools* (Dillon Beach, CA: Foundation for Critical Thinking, 2006), 34.

^{٦٢٤} البخاري، الصحيح، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ٢: ٩٣٩ (٢٥١١).

^{٦٢٥} مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النملة، ٤: ٢٠١٢ (٢٦٠٦).

⁶²⁶ Benjamin S. Bloom, ed., *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals. Handbook I: Cognitive Domain* (David McKay, 1956).

⁶²⁷ Lev S. Vygotsky, *Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes* (Harvard University Press, 1978), 86.

^{٦٢٨} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١: ٢٦٥ (٢٥٨١).

إن كون التساؤل أدواتها وأساسيا وتأسيسيا في اكتساب المعرفة كما لاحظنا^{٦٢٩} يشير إلى أن العلم يبدأ بالسؤال، وذلك يتفق مع القول "العلم يبدأ بالمشكلات، والمشكلات تُصاغ في صورة أسئلة".^{٦٣٠} وكذلك اعتمد سقراط في حواراته على سلسلة من الأسئلة تكشف التناقضات وتبني الفهم.^{٦٣١}

أما النبي ﷺ فقد استخدم أساليب متنوعة في تعليم أصحابه، منها: السؤال مع القياس التمثيلي، كقوله ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟» قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا».^{٦٣٢} وهنا قاد السؤال الصحابة إلى الربط بين الصورة الحسية والحقيقة الروحية.

المطلب الرابع: القيمة الاجتماعية والتواصلية

يُعَدُّ السؤال من أهم الأدوات الإنسانية في التواصل، فهو لا يقتصر على كونه وسيلة لاكتساب المعلومات فحسب، بل يتجاوز ذلك ليصبح وسيلة لتعميق العلاقات الاجتماعية، وتنمية التفكير، وتنظيم التفاعل البشري. وقد شدد عدد من منظري التربية والاتصال على البُعد العلائقي والحواري للسؤال: أن التفكير التأملي لا ينشأ إلا من خلال التساؤل ومراجعة المسلمات،^{٦٣٣} وأن السؤال الحواري أساس في التربية التحررية،^{٦٣٤} ومن جهة أخرى، أظهرت الدراسات اللسانية والاجتماعية أن السؤال يلعب دورًا في بناء الألفة الاجتماعية، وتيسير الحوار، ومعالجة سوء الفهم.^{٦٣٥}

وفي التراث الإسلامي، كان السؤال وسيلة رئيسة اعتمدها النبي ﷺ في تربيته وتعليمه لأصحابه. فقد استخدم السؤال أداة توجيهية وتربوية، يلفت بها الانتباه، ويصحح بها المفاهيم، ويشرك بها السامعين في الحوار. والسنة النبوية حافلة بأمثلة توضح أن السؤال عند النبي ﷺ لم

⁶²⁹ Lani, "Why Ask", 112-120.

⁶³⁰ Karl Popper, *The Logic of Scientific Discovery* (Routledge, 2002), 123.

⁶³¹ Thomas C. Brickhouse and Nicholas D. Smith, *Plato's Socrates* (Oxford University Press, 2000), 45.

^{٦٣٢} البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَقَارَةً، ١: ١٩٧ (٥٠٥).

⁶³³ John Dewey, *How We Think* (D.C. Heath, 1933), 15

⁶³⁴ Paulo Freire, *Pedagogy of the Oppressed* (Continuum, 1970), 66-67

⁶³⁵ Deborah Tannen, *You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation* (Ballantine Books, 1990), 115-18

يكن مجرد وسيلة لنقل المعلومة، بل كان ممارسة اجتماعية وأخلاقية، تسهم في بناء الجماعة وتشكيل منظومتها القيمية. ولنأخذ بعض الأمثلة:

بناء العلاقات الاجتماعية: يشير علماء التواصل إلى أن الأسئلة الودية (مثل السؤال عن الصحة) تُستخدم لبناء الألفة لا لاكتساب المعرفة فقط.^{٦٣٦} وقد كان النبي ﷺ يسأل أصحابه عن أحوالهم ويزور مرضاهم، كما فعل في زيارة المرضى، مثلاً، ورد في السنن: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَطَنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ».^{٦٣٧} كان السؤال هنا أداة رحمة واهتمام، مما يعزز الروابط الاجتماعية ويقوي روح الجماعة.

تعزيز المشاركة والاندماج: إن الحوار الحقيقي لا يقوم إلا بمشاركة الأصوات المتعددة.^{٦٣٨} وقد استخدم النبي ﷺ السؤال مدخلاً لإشراك أصحابه في التعلم، مثل قوله «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ» فلما أجابوا بالترحيب، عدّد لهم تلك الكبائر.^{٦٣٩} السؤال هنا جعل السامعين أطرافاً فاعلين في الدرس.

تسهيل الفهم والتوضيح: لقد أكد الباحثون أن الأسئلة التوضيحية وسيلة لإصلاح الخلل في التواصل.^{٦٤٠} وقد استخدمها النبي ﷺ بفعالية، كما في حديث "المفلس"،^{٦٤١} حيث انتقل بالصحابة من المعنى الاقتصادي إلى البعد الأخلاقي.

تمكين التعبير والحوار: ومما يمكن المتعلم من المشاركة الفعالة، السؤال الحوارية^{٦٤٢} وقد فتح النبي ﷺ المجال لأسئلة الصحابة، مثل سؤال الرجل «أَكُلُّ عَامٍ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ!» في شأن

⁶³⁶ Tannen, *You Just Don't Understand*, 119

^{٦٣٧} ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، بابُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ، ٢: ١٤٢٣ (٤٢٦١)، وحسنه الألباني.

⁶³⁸ Bakhtin, *Dialogic Imagination*, 280

^{٦٣٩} البخاري، الصحيح، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ٢: ٩٣٩ (٢٥١١).

⁶⁴⁰ Heritage, *Garfinkel and Ethnomethodology*, 245

^{٦٤١} مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤: ١٩٩٧ (٢٥٨١).

⁶⁴² Freire, *Pedagogy of the Oppressed*, 81

الحج، فأوضح له النبي ﷺ الحكمة ورفع الحرج.^{٦٤٣} وهذا الأسلوب يعكس قبول السؤال وتقدير حق المتعلم في الاستفهام.

إثارة التفكير والتأمل: ويُرى أن السؤال هو الشرارة الأولى للتفكير التأملي.^{٦٤٤} وقد وظّف النبي ﷺ هذا المنهج حين قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانتظار الصلاة بعد الصلاة. فذلكم الرباط».^{٦٤٥} السؤال هنا جعل السامعين يعيدون النظر في أفعالهم اليومية بوصفها عبادات عظيمة.

إعادة تشكيل السلطة بالأخلاق: وقد تم التبيين أن الأسئلة تحدد توزيع السلطة في الصفوف.^{٦٤٦} وقد استخدم النبي ﷺ السؤال لتصحيح المواقف الأخلاقية من غير تعنيف، كما في قصة الشاب الذي أراد الزنا. إذ واجهه النبي ﷺ بأسئلة وجدانية جعلته يرى الأمر من منظور الآخرين، فاقتنع وابتعد عن المعصية.^{٦٤٧}

التعليم الجماعي وبناء المعرفة المشتركة: ويرى الخبراء أن السؤال الجماعي يبني المعرفة المشتركة.^{٦٤٨} وقد استخدم النبي ﷺ هذا المنهج حين سأل أصحابه «أتدرون ما الغيبة؟»^{٦٤٩} فلما أجابوا، أوضح لهم المعنى الشرعي، فكان السؤال أداة لبناء وعي جماعي بالمسؤولية الأخلاقية.

يتبين أن السؤال ليس أداة معرفية فحسب، بل هو ممارسة اجتماعية وأخلاقية. ففي نظريات الاتصال الحديثة، يساهم السؤال في بناء العلاقات، توضيح المعاني، تمكين الحوار، إثارة التفكير، وإعادة تشكيل السلطة. وفي السنة النبوية، كان السؤال النبوي وسيلة تجمع بين التعليم

^{٦٤٣} مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب فَرَضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ، ٢: ٩٧٥ (١٣٣٧).

^{٦٤٤} Dewey, *How We Think*, 33-34

^{٦٤٥} مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، ١: ٢١٩ (٢٥١).

^{٦٤٦} Mehan, *Learning Lessons*, 51-53

^{٦٤٧} أحمد، أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١)، ٣٦: ٥٤٥ (٢٢٢١١). وقال المحققون: "صحيح".

^{٦٤٨} Mercer, *Words and Minds*, 89-91

^{٦٤٩} مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ٤: ٢٠٠١ (٢٥٨٩).

وبناء الجماعة، بين التوجيه الفردي والتربية الجماعية. ومن خلال المقارنة، يظهر أن السؤال يجمع بين البعد المعرفي والبعد الاجتماعي، وأنه يربط بين العقل والقيم، وبين الفرد والجماعة، ليصبح بذلك أداة إنسانية شاملة للتعليم والتواصل والتغيير.

المطلب الخامس: لقيمة الأخلاقية والروحية

القرآن نفسه يطرح أسئلة استنكارية للتأمل، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾^{٦٥٠} وما شابه ذلك، وكذلك استخدم النبي ﷺ السؤال لتوجيه الروح إلى مراتب العبودية. قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله»^{٦٥١} فالسؤال هنا وسيلة للترقي الروحي لا مجرد التعلّم المعرفي، ومثال آخر قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه أدرتكم من قبلكم، وفُتِم من بعدكم، تحمدون الله في دبر كل صلاة، وتسبحونه، وتكبرونه ثلاثاً وثلاثين، وثلاثاً وثلاثين، وأربعاً وثلاثين»^{٦٥٢} ومن الأمثلة الأخلاقية قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل، جواظ، مستكبر»^{٦٥٣} حيث يحفز إلى التواضع، ورقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان بينما يثبط عن الجفاء، الخصومة بالباطل، والجمع والمنع، والتكبر.^{٦٥٤} ومثال آخر قوله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله فيها، ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يسأل بالله ولا يُعطي به»^{٦٥٥} وفي الحديث بيان مرتبتين من أهل الخير ومرتبة من أهل الشر اعتماداً على خصال من الأخلاق.

^{٦٥٠} [النساء ٤: ٨٢] و[محمد ٤٧: ٢٤]

^{٦٥١} الترمذي، السنن، أبواب الدعوات، باب منه، ٥: ٤٥٩ (٣٣٧٧)، وصححه الألباني.

^{٦٥٢} ابن ماجه، السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم، ١: ٢٩٩ (٩٢٧). قال الألباني:

حسن صحيح.

^{٦٥٣} البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب {عتل بعد ذلك زنيماً}، ٤: ١٨٧٠ (٤٦٣٤).

^{٦٥٤} النووي، شرح صحيح مسلم، ١٧: ١٨٧-١٨٨.

^{٦٥٥} الترمذي، السنن، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء أي الناس خير، ٣: ٢٨٦ (١٦٥٢). وقال الترمذي: حسن

غريب.

المبحث الثالث: التساؤل الجيد

المطلب الأول: تمهيد

لقد سلطت المناقشات أعلاه الضوء على علاقة التساؤل بالمعرفة وبالفهم. أي أن السؤال بالإضافة إلى كونه وسيلة لتحصيل الفهم والمعرفة، فإن كلاً منهما يشكله بحيث يصعب تصور تحقيقه في غيابه. وهكذا، فإن الكثير مما نعرفه ونفهمه يتم الوصول إليه من خلال التساؤل، وهو يشكل جزءاً لا يتجزأ من تفاعلاتنا المعرفية اليومية.^{٦٥٦} وكما هو الحال مع كل شيء مفيد تقريباً، عند استخدام التساؤل، قد يكون بطريقة جيدة أو غير ذلك. وستركز المناقشة في هذا القسم على ماهية التساؤل الجيد.

من أجل الحكم على أي أداة معينة، يجب تقييمها فيما يتعلق بالمهمة التي من المفترض أن تؤديها، وبالتالي، "إن السؤال عما يجعل التساؤل جيداً، في أي حالة معينة أو بشكل عام، هو سؤال يتعلق بالسّمات الداخلية أو المتأصلة في التساؤل نفسه. إذا كان الاستجواب ممارسة تتميز بوظيفة استخلاص المعلومات، فإن التساؤل الجيد هو في المقام الأول استجواب يؤدي هذه الوظيفة بنجاح - طرح الأسئلة التي تستخرج المعلومات بنجاح."^{٦٥٧} إن الحصول على معلومات بنجاح، في حالة طرح الأسئلة، يعني ببساطة طلب جزء معين من المعلومات وتلقيها كإجابة. ولا ينبغي التعامل مع كل حالة من حالات استخلاص المعلومات الناجحة باعتبارها حالة من التساؤل الجيد بالمعنى المعياري. فالسؤال "ما هو التساؤل الجيد؟"، هو إذن مرادف في هذا السياق للسؤال "ما هو التساؤل الماهر؟"

في حالات التساؤل الماهر أو الفعال، يكون الهدف الرئيسي هو استخلاص المعلومات ذات القيمة بكفاءة، وليس مجرد الحصول على أي معلومات..^{٦٥٨} ويتطلب هذا الاستخلاص توظيف أسئلة دقيقة ومحددة، بحيث تُوجّه الإجابات نحو تحقيق الغرض المقصود منها. بعبارة أخرى، يعتمد استخلاص المعلومات بكفاءة على صياغة الأسئلة بطريقة تضمن أن الإجابات المعترف بها ليست نتاج الصدفة أو الحظ،^{٦٥٩} والتي قد يكون سببها أسئلة غامضة ليس لها

⁶⁵⁶ Lani, 135.

⁶⁵⁷ Lani, 136.

⁶⁵⁸ Lani, 137.

⁶⁵⁹ Ibid.

إجابات فريدة. وبالتالي، بينما يتطلب الاستخلاص الناجح توفر إجابة مناسبة، فإن الاستخلاص الكفء يركّز على جودة السؤال نفسه. ومثال توضيحي في الحديث حول هذه النقطة هو الحديث عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «وَيْلَكَ، وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا» الحديث.^{٦٦٠} إن استخلاص المعلومات في السؤال الذي طرحه البدوي كفؤاً لأن السؤال كان دقيقاً، ولكنه غير ناجح لأنه لم يحصل على الإجابة التي أرادها السائل.

أما بالنسبة للحصول على معلومات تستحق الحصول عليها، فهذا يعني المعلومات المهمة أو الجديرة بالاهتمام أو ذات الصلة. والملاحظ هو إذا اعتبر التساؤل الجيد التساؤل الذي يستخلص المعلومات جديرة بالاهتمام بكفاءة، فالتساؤل المعتبر هو التساؤل المعتاد حيث يتوقع الإجابة من المستجوب، ولكن إذا اعتبرنا التساؤل بالمعنى العام، والذي يشمل الأسئلة الهادفة إلى تنقل الانطباعات والشعور من السائل إلى المطروح عليه، فإذا نصّف التساؤل الجيد بأنه: تساؤل الذي يعزز تدفق معلومات جديرة بالاهتمام بين السائل والمستجوب بكفاءة.

وهذا الوصف للتساؤل الجيد يسمح لتدفق المعلومات إلى المطروح عليه ومنه. ومع ذلك، فإن تحديد المعايير التي يتم من خلالها الحكم على المعلومات بأنها جديرة بالاهتمام أو مهمة هو صعوبة يواجهها علماء المعرفة. وعلى وجه الخصوص، فقد برزت كقضية رئيسية في المناقشات المتعلقة بهدف التحقيق "inquiry" - "يقال إن التحقيق له هدف. وهناك بعض الجدل حول ماهية هذا الهدف. وعادة ما تكون المرشحة حالات عقلية مثل المعرفة، والاعتقاد الحقيقي والاعتقاد المعقول والفهم وما إلى ذلك."^{٦٦١} وفي مناقشة هدف الاعتقاد، قيل إنه "يقال في كثير من الأحيان أن الاعتقادات تهدف إلى الحقيقة. وفي الواقع، غالباً ما يُعتقد أن هذا الادعاء يعبر عن سمة أساسية أو تأسيسية للاعتقاد. لكن من الواضح أن هذا الادعاء ليس صحيحاً حرفياً.... [المعتقدات] لا تهدف حرفياً إلى أي شيء."^{٦٦٢} وإن إجراء دراسة شاملة

^{٦٦٠} البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويملك، ٨: ٣٩ (٦١٦٧).

^{٦٦١} Jane Friedman, "The Aim of Inquiry," *Philosophy and Phenomenological Research* 108, no. 2 (2024): 506-523.

^{٦٦٢} Ralph Wedgwood, "The Aim of Belief," *Philosophical Perspectives* 16, (2002): 267-97.

لهدف التحقيق هو خارج نطاق البحث الحالي، ولكن نظرا لارتباطه بجدارة المعلومات، فإنني أرى أنه من المهم تسليط الضوء على أن المفهوم مثير للنقاش بين علماء المعرفة.

وفي سياق هذه الدراسة، لعله من المفيد الرجوع إلى دراسة الموقف الإسلامي من السؤال في الفصل الثاني، حيث استخرجت أربعة مفاهيم مترابطة في مسألة السؤال المحمود: الأمر، حيث يُؤمر بالسؤال؛ العناية، حيث يسأل المرء عن أمرٍ يهمه أو يعنيه؛ الحاجة، حيث يكون السؤال عن شيء يحتاج إليه السائل؛ المنفعة، حيث يكون السؤال عن شيء نافع أو مفيد للسائل. ومما لا شك فيه أن هذه المفاهيم الأربعة تتعلق بالسائل مباشرة لا بالسؤال الذي يطرحه، فهو الذي يُؤمر بالسؤال، أو الذي يحتاج إلى ما يسأل عنه، أو أن يجد ما يسأل عنه إما نافعاً أو يهمه.

لذا، في حالة الفهم المعتاد للتساؤل، وهو وسيلة لاستخلاص المعلومات، فقد تعتبر المعلومات جديرة بالحصول عليها إذا كانت المفاهيم الأربعة ذات صلة بطالها. أي: (١) إذا جهل المعلومات، فيؤمر بسؤال أهل العلم عنها، (٢) إذا تعنيه المعلومات، (٣) إذا كانت المعلومات نافعة أو مفيدة له، (٤) إذا كان في حاجة إلى المعلومات. وبالطبع، يجب أن يكون ما يحتاجه المرء نافعاً ومفيداً له، كما يجب أن يعنيه، وإن جهله، فإنه مأمور أن يطلبه علماً. ومع ذلك، إذا كان الاستجواب بدافع أهداف أخرى غير البحث عن المعلومات، فقد يلزم النظر إلى الوضع بشكل مختلف.

على سبيل المثال، إذا كان المعلم يطرح الأسئلة بهدف تحفيز تفكير الطلاب، فإن اهتمام الطلاب هو أن يكونوا قادرين على التفكير كما أن الحاجة إلى التفكير وفائدة التفكير تخص الطلاب أيضاً، وبالتالي الأمر بالتفكير يتعلق ضمناً بالطلاب. وكذلك لو طُرح سؤال بهدف التعبير عن بعض المشاعر أو الانطباعات لدى السائل - مثل الإنكار أو التقرير أو الأمر أو النهي ونحو ذلك - فيجب النظر في جدارة (أو جدوى) السؤال من حيث تحديد السائل أن فهم تلك العبارات والانطباعات يحتاج إليه السائل ويهمه وفيه منفعة له. فإن كان كذلك، فإن المسؤول إذاً مأمور ضمناً بفهم العبارات والانطباعات.

المطلب الثاني: بيان أهمية كون المرء متسائلاً جيداً من خلال العلاقة بين التساؤل والمعرفة

في هذا السياق من الدراسة، نفهم أن المعرفة والفهم يمثلان سلعة معرفية قيّمة، وأن التساؤل يمتلك دوراً أداتياً وتأسيسياً في تحقيق كل منهما، مما يجعله ممارسة فكرية ذات قيمة عالية. غالباً ما يتم تقييم كل من الفهم والمعرفة فيما يتعلق بالمعلومات، والتي يتم استنباطها إما بشكل صريح أو ضمني عن طريق الاستجواب. إن التساؤل الجيد (أو طرح الأسئلة الجيدة)، كما هو موضح أعلاه، هو استخلاص معلومات جديدة بالاهتمام.

بالنظر إلى هذا المفهوم، يصبح من الضروري استكشاف ما يجعل المرء متسائلاً جيداً. يمكن الاستفادة هنا من وجهة نظر علماء المعرفة فيما يتعلق بمفهوم المعرفة والعارف؛ حيث تتجاوز اهتماماتهم تعريف ماهية المعرفة إلى التركيز على كيفية تعزيزها أو تحقيق وصف "العارف الجيد".⁶⁶³ وتشمل أوصاف العارف في نظرية المعرفة ما يلي: كونك عارفاً يعني في الأساس أن تتحمل وضعاً معيارياً معرفياً وأخلاقياً في نفس الوقت: فهو معرفي بقدر ما تشير تسمية "العارف" إلى الأدوار التي يمكن للمرء أن يتولاها بشكل مشروع ضمن ممارسات التبرير والتفويض، وأخلاقي بمعنى أن يكون المرء عارفاً يورط المرء في العلاقات الشخصية والقدرة على الإجابات التي تستدعي مفاهيم العدالة والظلم والازدهار والانحطاط والفضيلة والرذيلة والمعاملة المشروعة والضرر الأخلاقي.⁶⁶⁴

لتحقيق هذه الشروط بشكل فعال، لا بد من توفر المعلومات التي تمكن الفرد من أداء هذه الأدوار؛ حيث تعتمد ممارسات التبرير والتفويض على وسائل المعلومات، كما يتم تمييز المفاهيم الأخلاقية كالعدالة والظلم استناداً إلى نفس الوسائل. بناءً على ذلك، تبرز أهمية التساؤل بوصفه أداة رئيسية للحصول على المعلومات ذات الصلة والقيمة..

وبالتالي، فإن العارف الجيد هو من يمتلك القدرة على الحصول على معلومات قيمة بكفاءة. وهذا بدوره يتطلب أن يكون ممارساً للتساؤل الجيد، أي شخصاً قادراً على صياغة الأسئلة بشكل فعال لتحقيق أهدافه المعرفية..

⁶⁶³ Ben Kotzee, "Introduction: Education, Social Epistemology and Virtue Epistemology," *Journal of Philosophy of Education* 47, no. 2 (2013): 157-167.

⁶⁶⁴ Matthew Congdon. "'Knower' as an Ethical Concept: From Epistemic Agency to Mutual Recognition," *Feminist Philosophy Quarterly* 4, no. 4 (2018): 1-26.

بالاستناد إلى وجهة نظر علماء المعرفة التي تركز على كيفية أن يكون المرء عارفاً جيداً، يمكننا أن نقول أيضاً: كما أن فهم ماهية المعرفة يتطلب فهم كيفية أن يكون المرء عارفاً جيداً، فإن فهم التساؤل يتطلب فهم كيفية أن يكون المرء متسائلاً جيداً. ولكي يكون المرء متسائلاً جيداً، يجب أن يكون قادراً على استخلاص معلومات جديدة بالاهتمام بكفاءة، مما يعني أنه يجب أن يمتلك مهارة طرح أسئلة جيدة. وهذا مرة أخرى في السياق المعتاد للتساؤل، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار المعنى العام، فيمكننا القول: إن المتسائل الجيد يجب أن يكون قادراً على استخدام السؤال بطريقة تعزز تدفق معلومات جديدة بالاهتمام بينه وبين محاوره بكفاءة.

المطلب الثالث: النظر إلى المتسائل الجيد من خلال مكونات التساؤل

وعلى الرغم من أن السؤال هو وسيلة للحصول على معلومات، إلا أنه يحتوي أيضاً على المعلومات التي يجب فهمها بشكل صحيح حتى يتم تقديم المعلومات التي يبحث عنها بشكل صحيح. وذلك ممكن من خلال فهم ما يلي بالنسبة للسؤال:

١. ما الذي يجب أن يُسأل عنه؟
٢. كيف ينبغي طرح السؤال؟
٣. لمن يجب توجيه السؤال؟ (أو على من يجب طرح السؤال؟)
٤. أين يجب طرح السؤال؟
٥. متى يجب طرح السؤال؟
٦. لماذا يجب طرح السؤال؟

إن الإجابة على السؤال الأول "ما الذي ينبغي أن يُسأل عنه؟" تحدد محتوى السؤال، أي المعلومات التي ينبغي أن ينقلها السؤال إلى المسؤول. وهذا هو **المكون المحتوى** في عملية طرح الأسئلة.^{٦٦٥} ويتعين على السائل الجيد أن يكون قادراً على تقييم المعلومات المعروفة والمفقودة وتحديد ما ينبغي أن يسأل عنه، أي المعلومات المفقودة التي تستحق الحصول عليها. وبهذه الطريقة، يستبعد السائل المعلومات غير ذات الصلة من سؤاله، مما يساعد على وضوح

⁶⁶⁵ Lani, 144.

السؤال. فعلاً، لكل سؤال محتوى، ولكن لا يمكن تقييم سؤال فيما يتعلق بجودته إلا بعلم هدف السؤال، فعلى سبيل المثال، إذا سئل شخص ما "ماذا تسمى أنت؟" بهدف معرفة اسمه، فمن الاحتمالات أن يحصل السائل كجواب اسم المستجوب أو لقبه أو كنيته. ومن ثم، فإن السؤال غامض وإنه ليس من ممارسة تساؤل جيد استخدامه للغرض المعلن. إلا أن نتيجة التقييم قد تكون مختلفة تماماً إذا كان السائل مهتماً فعلاً بما يسمي الناس الشخص المستجوب.

في بعض الأحيان بسبب الغموض في طرح الأسئلة، قد يتعين إعادة السؤال عدة مرات حتى يتمكن السائل من الحصول على المعلومات المطلوبة. ومن أمثلة ذلك ما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: "قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُؤَسِّفُ نَبِيَّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقُّهُوا.»^{٦٦٦} والملاحظ أن السؤال كان فيه عدد من الإجابات المحتملة، وكان على النبي صلّى الله عليه وآله أن يظل يخمن ما يعنيه السائل حتى أصاب في المحاولة الثالثة. ومنها أيضاً ما ورد في رواية عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ رضي الله عنها، قِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ. قَالَ: أَبُوهَا.^{٦٦٧} والملاحظ في هذا الحديث أن الأمر يحتاج إلى محاولتين للوصول إلى مقصود السائل. وهناك نقطة أخرى وهي أنه في الأسئلة الغامضة يمكن للمسؤول عنه استخدام التورية لإخفاء ما لا يريد أن يقوله للسائل. ومن الأمثلة على ذلك كيف استغلها النبي صلّى الله عليه وآله في الأحداث التي سبقت غزوة بدر عندما كان يحاول جمع المعلومات. قال ابن هشام: «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ: حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ فُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمْ مَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: "إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ". قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ الشَّيْخُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ

^{٦٦٦} البخاري، الصحيح، كتابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ٤: ١٢٥]، ٤: ١٤٠ (٣٣٥٣).

^{٦٦٧} الترمذي، السنن، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله، بَابُ مَنْ فَضَّلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، ٦: ١٩٠ (٣٨٩٠)، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ حَبْرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَحْنٌ مِنْ مَاءٍ"، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ، أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟»^{٦٦٨}

ولقد ضعف بعض العلماء الرواية لأن محمد بن يحيى لم يدرك الواقعة،^{٦٦٩} ولكن رغبتنا أن نبرز أنَّ الأسئلة الغامضة تمكن المسؤول من إخفاء ما لا يجب إظهاره من خلال استخدام التورية مثلاً. وأما السؤال الثاني "كيف ينبغي طرح السؤال؟" فإن إجابته تحدد الطريقة أو الأسلوب الذي يُطرح به السؤال على الشخص المستجوب. ويُشار إلى هذا باعتباره **المكون الاتصالي** في عملية طرح الأسئلة.^{٦٧٠}

ويتعين على السائل الجيد أن يتبنى استراتيجية أو وسيلة طرح الأسئلة الأكثر كفاءة، وأن يقرر كيفية طرح أسئلته من أجل استنباط المعلومات المطلوبة. ومهما كانت قيمة محتوى سؤال المرء ودقته، فلن يكون طرحه جيداً ما لم يتم توصيل الأسئلة المطروحة بشكل جيد واستهداف المعلومات المطلوبة بكفاءة.

وبالنظر إلى وسائل الاتصال المختلفة المتاحة للفرد، في بعض الأحيان تكون بعض الوسائل أكثر ملاءمة من غيرها في مواقف وسياقات معينة. على سبيل المثال، قد يكون أنسب إجراء مكالمة هاتفية في بعض المواقف، بينما في حالات أخرى قد يكون من الأفضل الكتابة أو الاجتماع شخصياً وما إلى ذلك، وقد يكون من المناسب تفويض شخص ما ليسأل كما فعل علي بن أبي طالب لما أراد استفتاء النبي فيما يتعلق بالمذي، قال: "كُنْتُ رَجُلًا مَذَاءً فَأَمَرْتُ

^{٦٦٨} جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

(القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة)، ٢: ١٨٨-١٨٩.

^{٦٦٩} انظر هامش: محمد بن طاهر البرزنجي، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، تحقيق محمد بن طاهر ومحمد صبحي حسن حلاق (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٧)، ٢: ٩٥.

^{٦٧٠} Lani, 154

رَجُلًا أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَسَأَلَ فَقَالَ: «تَوَضَّأَ وَاغْتَسَلَ دُكْرَكَ».»^{٦٧١}

فمن ثم، بالإضافة إلى اختيار المحتوى الأنسب لسؤاله، يجب على السائل الجيد أن يكون قادراً على اختيار وسائل الاتصال الأنسب بالإضافة إلى اللهجة والأخلاق الأكثر ملاءمة لاستخلاص المعلومات المطلوبة بكفاءة. اعتماداً على ثقافة الفرد، قد تكون هناك بعض التعبيرات المستخدمة في الكلام والتي قد تساعد في تحقيق متطلبات هذا المكون من التساؤل، على سبيل المثال، من الألفاظ المستخدمة في الأحاديث بين النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم التي يبدو أنها تعمل على تحقيق متطلبات هذا المكون للتساؤل استخدام الألفاظ مثل: "بأبي أنت وأمي" و"فداك أبي وأمي"، بمعنى أفديك بأبي وأمي، وأعز عزيز عندى من كل مكروه، وقيل: لم يوجد أعز منهما عند العرب، وهذا من شأن الرجولة والشجاعة وبر الوالدين.^{٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤} ومن الأمثلة في الأحاديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُنَيْئَةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سَكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟^{٦٧٥} الحديث، وعنه أيضاً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَنْفَقَ رَوْحَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟

^{٦٧١} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْغُسْلِ، بَابُ غَسْلِ الْمَذْيِ وَالْوُضُوءِ مِنْهُ، ١: ٦٢ (٢٦٩).

^{٦٧٢} أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، تحقيق أبو داود أيمن

بن حامد بن نصير الدسوقي، (القاهرة: دار الذخائر، ٢٠١٨)، ٣٠٤-٣٠٦.

^{٦٧٣} انظر هامش: المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ط ٣، تحقيق مصطفى

محمد عمارة (مصر: مكتبة مصطفى الباوي الحلبي، ١٩٦٨)، ١: ٢٧٦.

^{٦٧٤} النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، تحقيق لجنة من العلماء (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة

التضامن الأخوي، ١٩٢٦-١٩٢٩)، ٢: ٣٥.

^{٦٧٥} انظر: مسلم، الصحيح، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يُقَالُ بَيْنَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ، ١: ٤١٩

(٥٩٨).

قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.^{٦٧٦} وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ وَجَدَ النَّبِيَّ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، يَقُولُ: «هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»... قَالَ: "فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟"^{٦٧٧} وعنه أيضا قال: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟"^{٦٧٨} وعن حذيفة أن النبي قال أثناء الحديث عن أحوال يوم القيامة بالنسبة للمرور على الصراط: «فَيَمُرُّ أَوْلَكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ حذيفة: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِ الْبَرْقِ؟^{٦٧٩}

والأمثلة كثيرة في الأحاديث، وكذلك استخدم النبي العبارة تقديرا جهود بعض الصحابة، ولندكر فقط مثالين منها لعدم تعلقها بالأسئلة: قال الزبير رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ [يوم الأحزاب]: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ؟». فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^{٦٨٠} وقال سعد بن أبي وقاص: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ «إِزِمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^{٦٨١} ومن ثم، فمن خلال النظر إلى هذه الأمثلة، يتضح أنه من المهم أن يفهم السائل كيف يفضل الناس أن يخاطبوا ويسعى إلى التوافق مع ذلك من أجل تعزيز نجاحه في استخلاص المعلومات من خلال طرح الأسئلة.

إن الأسئلة الثلاثة "إلى من ينبغي توجيه السؤال؟" و"أين ينبغي طرح السؤال؟" و"متى ينبغي طرح السؤال؟" مجتمعة لتحديد المكون السياقي.^{٦٨٢} ذلك بأن الإجابات عن الأسئلة تحدد من ينبغي توجيه السؤال إليه وأين ومتى ينبغي طرح السؤال عليه. ويجب أن يكون السائل قادراً على التقاط الإشارات التي تحمل المعلومات في بيئته والتي توجهه نحو مصادر المعلومات المناسبة. إن القدرة على تحديد وتفسير هذه الأنواع من الإشارات تمكن السائل من تحديد

^{٦٧٦} الترمذي، السنن، أبواب المناقب، باب، ٦: ٥٥ (٣٦٧٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

^{٦٧٧} البخاري، الصحيح، كتاب الأيمان والتأويل، باب كيف كانت يمينا النبي ﷺ، ٨: ١٣٠ (٦٦٣٨).

^{٦٧٨} الترمذي، السنن، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب أي الكلام أحب إلى الله، ٥: ٤٦٨ (٣٥٩٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

^{٦٧٩} انظر: مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١: ١٨٦ (١٩٥).

^{٦٨٠} البخاري، الصحيح، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الزبير بن العوام، ٥: ٢١ (٣٧٢٠).

^{٦٨١} البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل

عمران ٣: ١٢٢]، ٥: ٢١ (٣٧٢٠).

المصدر الصحيح للمعلومات في سياق معين. إن السائل الجيد يطرح أسئلته في الوقت المناسب وفي المكان المناسب وعلى المصدر المناسب من أجل استهداف المعلومات الجديرة بالاهتمام بكفاءة. ومن بين الأسئلة الثلاثة التي تشكل المكون السياقي للسؤال، يبدو لي أن أهمها هو "إلى من ينبغي توجيه السؤال؟" وذلك لأنه إذا أجاب عن السؤالين الآخرين اللذين يحددان الزمان والمكان المناسبين دون أن يسأل الشخص المناسب، فإنه لن ينجح في استخلاص المعلومة. ومع ذلك، إذا وصل إلى الشخص المناسب وكان الزمان والمكان غير مناسبين، فقد يظل من الممكن الحصول على المعلومات المطلوبة، حتى لو لم يكن على الفور. قد يمكن اتخاذ الترتيبات اللازمة للمكان والزمان المناسبين إذا كان ذلك مستحيلاً تماماً على الفور، لكن هذا لن يكون حلاً للحالة الأخرى حيث لا يوجد الشخص المناسب لاستجوابه.

وأرى أنه في الواقع، حتى الملاحظة العرضية للحياة البشرية تكشف أن السائلين يميلون بشكل طبيعي إلى سؤال شخص يعتقدون أن لديه إجابات لأسئلتهم، وأحياناً أسئلتهم الأولية - مثل "مع من يمكنني التحدث عن كذا وكذا؟" "هل تعلم عن هذا وذاك؟" - قد يكون الهدف هو التأكد من أن الشخص الذي هم على وشك التحدث معه يستحق التحدث إليه فيما يتعلق بالأسئلة التي لديهم. وفي الحالات التي يُطلب منهم فيها الاستفسار من شخص لا يعرفونه، قد يسألون أولاً بصيغة مثل: "هل أنت فلان؟" وكل هذا لا ينبغي أن يثير الاستغراب، فالأمر القرآني بالسؤال عند الجهل يُذكر تحديداً بـ "أهل الذكر"، أي: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ١٦: ٤٣] بمعنى اسألوا العالمين بالرسالة إلى الأمم السابقة أيها المشركون إن كنتم لا تعلمون أن الرسل كانوا رجالاً مثل محمد ﷺ. ٦٨٣

ومما يدعم هذه الملاحظات في الأحاديث، زيارة النبي ﷺ وخديجة رضي الله عنها ورقة بن نوفل رضي الله عنه لاستفساره عما لقي النبي ﷺ في غار حراء في بداية التنزيل، ٦٨٤ وذلك بأن أم المؤمنين متأكدة أن لدى نوفل الأجوبة لأسئلتها. ولما دخل ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ على النبي وأصحابه هادفاً سؤال النبي عن صحة نبوته وبعض أمور الدين ولم يعرفه، كان أول سؤاله "أيكم محمد؟" لكي يتأكد من الحصول على الشخص المناسب، ثم سعى إلى تهيئة النبي ﷺ لقبول أسلوبه في

٦٨٣ انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٧: ٢٠٨.

٦٨٤ انظر: البخاري، الصحيح، كِتَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ١: ٤ (٣).

الاتصال قائلاً: "إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُشِدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ»"، ويبدو أن هذا أسلوب رائع للاستخدام، خاصة إذا علم المرء أنه بسبب سمات معينة في طبيعته، فإنه يُنظر إليه بطريقة يصعب على الناس التعامل معه، فيمكنه تحذير (أو تنبيه) محاوره من هذه السمات والترافع عنه أن يصبر في التعامل معه فيما يتعلق بتلك السمات. وقد أخبر ضِمَامُ النَّبِيِّ ﷺ عن آدابه في الكلام وحصل على الإذن في المضى قدماً: "فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا فَتَقْسِمَ بِهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي...^{٦٨٥} ومن الواضح أنه أحسن ضِمَامُ إدارة مضمون أسئلته ولم يكن النبي ﷺ بحاجة إلى توضيح أي منها.

وأما النبي ﷺ، فكان ماهراً في التعامل مع آداب مختلفة، فهذا أعرابي جاء وناداه "يا محمد" بصوت له جهوري. قال الراوي (صَفْوَانُ بْنُ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ): "فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَحْوِ مَنْ صَوْتِهِ «هَأُؤْمُ» وَقُلْنَا لَهُ: «وَيَحْكُ أَغْضُضُ مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا»، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ». قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: «الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»... الحديث.^{٦٨٦} والملاحظ هو أن الأعرابي حصل على المعلومات التي طلبها رغم آدابه التي لم تتفق مع مقتضيات ممارسة حسن التساؤل، لأن النبي ﷺ فهمه على حقيقته وتعامل معه على هذا الأساس. وقوله: "الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ" من أمثلة السؤال غير مباشر بمعنى: "يحب القوم، ولكن عمله دون عملهم؛ لا يساويهم في العمل، مع من يكون [يوم القيامة]؟ أيكون معهم أو لا؟"^{٦٨٧} وهذا الفهم لقصد

^{٦٨٥} انظر: البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه ٢٠]: [١١٤] ٢٣: ١ (٦٣).

^{٦٨٦} الترمذي، السنن، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب في فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، ٤٣٦: ٥ (٣٥٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

^{٦٨٧} العثيمين، شرح رياض الصالحين، ١: ١١٤.

السائل ملحوظ من جواب النبي ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وهذا المثال يشير إلى أنه على الرغم من عدم استيفاء الشخص لمتطلبات ممارسة السؤال الجيد، فإنه قد يظل قادراً على استخلاص المعلومات التي يريدونها بنجاح بشرط أن يكون محاوره مراعيًا كما أظهر النبي ﷺ، إلا أن هذا لا يمكن اعتباره أمراً مسلماً به أو مفروغاً منه، فعلى سبيل المثال، أغضب النبي ﷺ بعض ممارسات الأسئلة غير المناسبة معه كما روي عن أبي موسى أنه سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها وأكثرها عليه حتى غضب.^{٦٨٨} فلذلك أقول أنه لا ينبغي اعتبار صبر المسؤول عند التساؤل مسلماً به أو مفروغاً منه فيطرح عليه الأسئلة بدون الالتفات إلى متطلبات التساؤل الجيد.

ومن الأمثلة الأخرى التي تبين أهمية اهتمام السائلين بسؤال الشخص المناسب، حديث اللقاء بين هرقل وأبي سفيان وأصحابه عندما دعاهم للسؤال عن أمر النبي ﷺ. ومن أجل اختيار من يسأل، قال: "أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟" ^{٦٨٩} بأنه اعتقد أن رجلاً من أقرباء النبي ﷺ أعلم به وممتلك الأجوبة الصحيحة لأسئلته فيما يتعلق بالنبي ﷺ. وأرى السؤال السادس، "لماذا يجب طرح السؤال؟" في غاية الأهمية لأن جوابه يوضح أهداف طرح السؤال ويمكن استخدامه لتحديد استحقاق طرح السؤال، أي هل يخلو من عيب التكلف وكثرة السؤال أم لا؟ ويمكن تحديد ذلك من خلال تقييم السؤال فيما يتعلق بالمفاهيم الأربعة التي استخلصتها في الفصل الثاني، وهي الأمر والعناية والحاجة والمنفعة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن فهم المسؤول للهدف يمكن أن يساعد في توضيح السؤال، مما ينعكس إيجابياً على دقة المعلومات المقدمة كإجابة. ومع ذلك، يرى علماء المعرفة أن المكونات الثلاثة التي تحددها الأسئلة الخمسة الأولى فقط هي ما يشكل متطلبات التساؤل الجيد، أما السؤال السادس الذي تعطي إجابته أسباب أو أهداف طرح السؤال، فيعتبرونه بمثابة تحديد للمكون الدافع إلى التساؤل.^{٦٩٠} ويشكل هذا المكون مع المكونات الثلاثة أعلاه متطلبات التساؤل الفاضل "Virtuous Questioning"،^{٦٩١} والذي يشار إليه بالدافع الصادق للانخراط في التساؤل الجيد.

^{٦٨٨} انظر: البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب الغضب في المؤظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ١: ٣٠ (٩٢٩).

^{٦٨٩} البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١: ٨ (٧).

^{٦٩٠} Lani, 172.

^{٦٩١} Ibid.

ومن ثم، فإن الانتقال من السؤال الجيد إلى السؤال الفاضل هو في المقام الأول مسألة دافعية.

٦٩٢

وفي الحقيقة فإن تقويم الأسئلة فيما يتعلق بهذا المكون من الاستفهام ليس بالأمر السهل كما أسلفنا في الفصل الثاني، أي، إن أغراض الأسئلة كثيرة، وبينما هو من الإمكان تحديد أغراض بعض الأسئلة بسهولة وبدقة إلى حد ما، إنه ليس كذلك لبعض إلا مع شرح السائل. في الواقع، من الممكن أن يكون هناك عدد من الأهداف وراء سؤال بسيط مثل "ما اسمك؟" إلى جانب استخلاص المعلومات كما يظهر من الاستفهام، ولناخذ مثلاً من رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَمْ تَسْأَلْنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاءُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ.»^{٦٩٣}

لقد سأل الرجل صاحب الحديقة عن اسمه، لا مجرد معرفته، بل ليتأكد أنه المالك الفعلي ليتمكن من سؤاله عن السبب الذي جعله جديراً بالشرف الذي لاحظته. ولم يدرك المسؤول مقصد السائل بوضوح إلا بعد أن استفسره. إن تأكيد السائل لهوية المستجوب هو جهد لتحقيق متطلبات أهم المكون السياقي (أي "من ينبغي أن يُسأل؟")، وليس هناك سبب واضح لانتقاد أسلوبه تساؤلاً ولا محتويات أسئلته ولا هدفه من الاستجواب - لقد كانت أسئلته واضحة ومطروحة بشكل لائق، ولم يخالف سعيه للتساؤل أيّاً من المفاهيم الأربعة: فهو لم يعرف سبب تفضيل صاحب الحديقة على وجه التحديد، ولكن سؤاله "فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟" يدل على أنه يعتقد أن التفضيل مستحق لبعض الأعمال الصالحة التي هو عليها، وكان لديه فضول لمعرفة

⁶⁹² Ibid.

^{٦٩٣} مسلم، الصحيح، كتابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الصَّدَقَةِ فِي الْمَسَاكِينِ، ٤: ٢٢٨٨ (٢٩٨٤).

ذلك، وربما لاقتداء به راجيا جلب نفس المنفعة. فعليه، إن الاستفهام في هذه الحالة مناسب ومحمود، وقد يقال إن السائل مارس التساؤل الفاضل.

المطلب الرابع: التساؤل الفاضل في الحديث النبوي

علاوة على كون السؤال أداة لغوية ووسيلة للاستفهام، هو أيضاً أداة تفكير وبناء معرفي، ووسيلة تربوية لإثارة العقول وتوجيهها كما أسلفت. فقد اعتمدت الفلسفة اليونانية القديمة على السؤال في بناء الحوار السقراطي، وجعلته التربية النقدية المعاصرة أساساً لتعليم التفكير المستقل. وبالنظر إلى التراث الإسلامي، يمكن ملاحظة أن المنهج النبوي معتمداً على التساؤل الفاضل، الذي لا يهدف إلى مجرد نقل المعرفة، بل إلى إعادة بناء المفاهيم، وترسيخ القيم، وتوجيه السلوك.

تتجلى أهمية التساؤل الفاضل في الحديث النبوي في كونه يوازن بين البعد المعرفي (توضيح المفاهيم)، والبعد الأخلاقي (تربية الضمير)، والبعد الاجتماعي (تعزيز روح المشاركة والحوار). من هنا، سأحاول دراسة التساؤل الحديثي من منظور تربوي وأخلاقي، عبر تحليل نماذجه الحديثة، وربطه بالنظريات المعاصرة في التربية والتفكير النقدي.

أولاً: الأسئلة وإعادة تعريف المفاهيم

يُظهر المنهج النبوي توافقاً مع ما يُعرف اليوم بالتفكير المفاهيمي "Conceptual Thinking"، الذي يعيد النظر في الأفكار السائدة لتصحيحها.^{٦٩٤} ومن أمثلته، حديث «أتدرون من المفلس؟»^{٦٩٥} الذي صادفناه مراراً، حيث تم إعادة تعريف الإفلاس من الجانب الاقتصادي إلى الأخلاقي الأخرى، ومنها حديث «مَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيكُمْ؟»^{٦٩٦} حيث أعاد النبي ﷺ تعريف الصرعة من حيث إهلاك النفس وضبطه عند الغضب بدلاً من صرعة الناس. وقيل في حديث يَا رَسُولَ

⁶⁹⁴ Erickson, H. Lynn. *Concept-Based Curriculum and Instruction: Teaching Beyond the Facts*. (Corwin Press, 2007), 12-14.

^{٦٩٥} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٢٦٥ : ١ (٢٥٨١).

^{٦٩٦} أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، ٤ : ٢٤٨ (٤٧٧٩). صححه الألباني.

الله: "أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟" قَالَ ﷺ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^{٦٩٧} وأجاب من حيث تفاعل المسلم مع المسلمين بدلا من مفاهيم مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان. وهذه الطريقة توازي ما يسميه جون ديوي "John Dewey" بالتفكير التأملية، حيث تُفكك التصورات التقليدية وتُعاد صياغتها.^{٦٩٨} ومن المهم ملاحظة أنه توجد بعض الأقوال في الأحاديث التي تعيد تعريف المفاهيم، حتى وإن لم تتضمن أسئلة، على سبيل المثال: إعادة تعريف المسكين في قوله ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأُكْلَةُ وَالْأُكْلَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى، وَيَسْتَحْيِي، أَوْ، لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِحْفَافًا»^{٦٩٩} وفي قوله ﷺ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغَنَى عَنْ النَّفْسِ»^{٧٠٠} أعاد تعريف الغنى. وبالنظر إلى الحديثين كجوابين عن السؤالين: "ما المسكين؟" و"ما الغنى؟" أو ما شابههما، يعني إمكانية تعليم المفهومين أو الحديثين من خلال أسلوب التساؤل.

ثانياً: الأسئلة وإثارة الفضول

أحياناً كان النبي ﷺ يثير الفضول بطرح أسئلة تحفز على التفكير قبل الإجابة، وهو أسلوب يُعرف في النظريات التربوية الحديثة بالتعلم القائم على السؤال "Inquiry-based Learning" (وهو مقارنة تربوية تركز عملية التعلم حول الأسئلة، والبحث، وحل المشكلات، بحيث يُشجّع المتعلم على بناء المعرفة من خلال الاستكشاف والتفكير النقدي^(٧٠١)).

إن من أساليب النبي ﷺ استخدام العبارات مثل «أتدرون...» و«ألا أدلكم...» و«ألا أخبركم...» و«ألا أنبئكم...»، والتي تجذب انتباه المخاطبين وتجلبهم يحبون اطلاع على ما يسألهم عنه، مثلاً، وقف النبي ﷺ على ناسٍ جلوسٍ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟» "قَالَ [الراوي]: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا

^{٦٩٧} البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، ١: ١٣ (١١).

^{٦٩٨} Dewey, John. *How We Think*. Lexington, MA: D.C. Heath, 1933, pp. 15–17

^{٦٩٩} البخاري، الصحيح، كتاب الزكاة، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾ [البقرة ٢: ٢٧٣]، ٢: ٥٣٧

(١٤٠٦)

^{٧٠٠} مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، ٢: ٧٢٦ (١٠٥١)

^{٧٠١} Justice, Christopher, et al. "Inquiry-Based Learning in Higher Education: Administrators' Perspectives on Integrating Inquiry Pedagogy into the Curriculum." *Higher Education* 58, no. 6 (2009): 841–855

بَحَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: «حَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى حَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى حَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ.»^{٧٠٢} لقد تناولت سابقاً العديد من الأحاديث التي تتناول هذا النوع من الأسئلة ضمن مواضيع مختلفة، مثل «أتدرون من المفلس؟»^{٧٠٣} و«ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟»^{٧٠٤} و«هل تدري حق الله على عباده».^{٧٠٥}

وأسلوب آخر هو استخدام الأمثلة كما ورد في حديث النخل: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فأخبروني ما هي؟»^{٧٠٦} حيث شبه المسلم بالنخل شبه النبي المؤمن بالشجرة، وقد أثار ذلك فضول الصحابة الذين حاولوا معرفة نوع هذه الشجرة. وأسلوب إثارة الفضول يتناغم مع ما تسميه التربية المعاصرة نظرية الفضول المعرفي "Epistemic Curiosity Theory"، التي ترى أن السؤال المحفز يولد دافعية داخلية.^{٧٠٧}

ثالثاً: الأسئلة لحماية المجتمع

تتقاطع الأسئلة النبوية مع ما يُعرف بالتربية القيمية "Values Education" والتربية المدنية "Civic Education"، حيث يُربط التعلم ببناء القيم الاجتماعية. والتربية القيمية هي ممارسات تعليمية مخططة تهدف إلى تنمية الأخلاق، وتعزيز الوعي بالمسؤولية الأخلاقية، وترسيخ القيم الثقافية والاجتماعية الجوهرية.^{٧٠٨} والتربية المدنية هي تعليم المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة للمشاركة الواعية والفاعلة والمسؤولة في الحياة المجتمعية.^{٧٠٩}

فعلى سبيل المثال، ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي

^{٧٠٢} أحمد، المسند، ١٤: ٤٩٢ (٨٩٢٠). صححه الأرنفوط وآخرون.

^{٧٠٣} ينظر: مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١: ٢٦٥ (٢٥٨١).

^{٧٠٤} ابن ماجه، السنن، كتاب الأدب باب فضل الذكر، ٢: ١٢٤٥ (٣٧٩٠)، وصححه الألباني.

^{٧٠٥} البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، ٤: ٢٩ (٢٨٥٦).

^{٧٠٦} البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا، ١: ٣٤ (٦١).

⁷⁰⁷ Loewenstein, George. "The Psychology of Curiosity: A Review and Reinterpretation." *Psychological Bulletin* 116, no. 1 (1994): 75-98

⁷⁰⁸ Halstead, J. Mark, and Monica J. Taylor. *Values in Education and Education in Values*. (Falmer Press, 1996), 3-5

⁷⁰⁹ Kerr, David. "Citizenship Education: An International Comparison." *International Journal of Social Education* 12, no. 1 (1997): 1-10

مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ.»^{٧١٠} وفي الحديث، حماية من تفكك المجتمع عبر منع انتهاك أعراض الناس، سواء كان فيهم ما يذكر القائل أم لا. وسئل النبي ﷺ في حيث آخر: يَا رَسُولَ اللَّهِ: «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ ﷺ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^{٧١١} والملاحظ في الحديث، درس هادف إلا ضمان الأمن والأمان للمجتمع بالإضافة إلى إعادة تعريف أعلى مستوى الإسلام. وبالنظر إلى الروايات المختلفة للحديث، نجد إجابات مختلفة من النبي ﷺ لأشخاص مختلفين يطرحون السؤال نفسه، مما يكشف عن مهارة فهم الناس ومخاطبتهم حسب احتياجاتهم، قال ابن بطال: "هذا الجواب خرج على سؤال سائل، لأنه قد سُئِلَ، (صلى الله عليه وسلم)، مثل هذا السؤال، فأجاب بغير هذا الجواب، وذلك تمت أنه سئل: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام - . فدل اتفاق السؤال واختلاف الجواب أن ذلك كله منه ﷺ في أوقات مختلفة، لقوم شتى، فجواب كل إنسان بما به الحاجة إلى علمه، وجعل إسلام من سلم المسلمون من لسانه ويده من أفضل الإسلام." وفي حديث آخر، قال النبي ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ؟». ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ - «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»،^{٧١٢} فحذر النبي ﷺ، بعد جذب انتباه المستمعين استفهاماً، من أعظم الجرائم العقدية والأخلاقية، والمجتمع السليم من تلك الجرائم مجتمع مضمون له السلامة والأمن والأمان. إن الأسئلة في هذه الأمثلة تشبه في جوهرها التربية الوقائية والتحريرية، التي تهدف إلى وعي مجتمعي يحمي من الانحراف.^{٧١٤}

^{٧١٠} مسلم، الصحيح، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّالَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيْبَةِ، ٨: ٢١ (٢٥٨٩).

^{٧١١} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، ١: ١٣ (١١).

^{٧١٢} ابن بطال، شرح صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابُ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟، ١: ٦٣.

^{٧١٣} البخاري، الصحيح، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، ٢: ٩٣٩ (٢٥١١).

^{٧١٤} Freire, Paulo. *Pedagogy of the Oppressed*. (Continuum, 2000), 72-74

رابعاً: الأسئلة ذات البعد الروحي

تركزت بعض الأسئلة على التربية الوجدانية "Affective Education"، حيث يكون الضمير والقلب مركزاً للسلوك: ^{٧١٥} مثلاً، إن النظر في حديث «أتدري من المفلس؟» ^{٧١٦} من زاوية أخرى يكشف أن هدفه ليس مجرد لفت انتباه السامعين وإعادة تعريف مفهوم الإفلاس، بل هو توعية أعمق بشأن عواقب سوء الأخلاق والظلم يوم القيامة، وهو درس يهدف إلى التأثير في نفوس السامعين، وإيقاظهم لأهمية الآخرة، وتحذيرهم من سوء الأخلاق، وتشجيعهم على حسن الأخلاق، مما يجعل هذا الحديث ذا أهمية في بناء مجتمع متماسك، إلى جانب دوره في تعزيز الروحانية.

ومثال آخر ما جاء في حديث متفق عليه عن عمر بن الخطاب ؓ، حيث وقع المشهد بعد غزوة حُنين، عندما أُحضِر سبي هوازن وثقيف إلى النبي ﷺ بعد المعركة، وكان من بينهم امرأة تبحث بقلق بين الأطفال حتى عثرت على ولدها، فاحتضنته بشدة وأرضعته، فاستثمر النبي ﷺ هذا الموقف ليقرب للصحابة معنى رحمة الله، فقال: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ». قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلدها». ^{٧١٧} وفي الحديث، **تصوير قوي وفعال لمدى رحمة الله ﷻ**. قال أبو المظفر: "وقوله ﷺ: «أترون هذه طريحة ولدها في النار؟» يعني أن من رحمة الله ﷻ لعباده إرساله الرسل، وإنزاله الكتب وتخويله عباده بما خوفهم به؛ أنه كذلك إذا طرح في النار من يستحق ذلك في سخطه فإن رحمته على ما وصف، فينبغي للعبد ألا يستعظم في كرم الله وسعة رحمته ذنب مذنب، كما ينبغي له ألا يأمن سطوة الله عند أيسر مخالفة. ويفسر هذا بأنه إذا ذكر لك بعض المسرفين على أنفسهم فرأيت استحقاقهم للنار، فإن خطر لك في ذلك الوقت هذا الحديث من سعة رحمة الله تعالى التي تحظر عليك أن توجب لأحد من المسلمين النار فذلك في موضعه، كما أنه إذا بلغك عن بعض المجتهدين شدة عبادة فرجوت له رجاء قطعت به مع كونه لا يؤمن عليه زلة قدم في بعض

⁷¹⁵ Krathwohl, David R., Benjamin S. Bloom, and Bertram B. Masia. *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals. Handbook II: Affective Domain*. (David McKay Company, 1964), 7-10.

^{٧١٦} ينظر: مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ١: ٢٦٥ (٢٥٨١).

^{٧١٧} البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، ٥: ٢٢٣٥ (٥٦٥٣).

مقاماته من سوء أدب أو نوع إدلال أو خاطر عجب فتهدم أعماله، فعلمت حينئذ أن الرجاء والخوف لا يزيلان أحداً على الإطلاق حتى يزايل الدنيا.^{٧١٨} ومن هذا التعليق، يظهر التوازن النفسي بين الخوف والرجاء، هادفاً إلى جعل المسلم متوازناً لا يطغى عليه الخوف المؤدي إلى اليأس ولا الرجاء المؤدي إلى الغرور.

ومن الملاحظات في الحديث أيضاً: ترسيخ قيمة الرجاء حيث يُرْسَخ الحديث في وجدان المؤمن أن رحمة الله أعظم من رحمة الأم بولدها، فيزول القنوط وتُزْرَع الطمأنينة، كما فيه أسلوب التعليم بالمشهد الحي، حيث اعتمد النبي ﷺ على المشاهدة المباشرة لا على الشرح النظري، فجعل الصحابة يرون مشهد الأم الملهوفة ثم قَرَّب لهم المعنى العقائدي من خلاله.

مثال آخر على التدريس التوضيحي ما ورد في الحديث حيث خَطَّ النبي ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ وَخُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخَطًّا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ - أَوْ تَنْهَسُهُ - مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ، الْأَجَلُ الْمُحِيطُ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ.»^{٧١٩} في الحديث، رسم النبي صلى الله عليه وسلم رسمًا بيانيًا لتسهيل تصور العلاقة بين الإنسان وعمره وما فيه من أحداث وآمال. وجذب الانتباه إلى الرسم البياني من خلال سؤال، ثم شرحه (التعليم بالرسم البصري). ومن الدروس الروحية، أن أجل الإنسان أقرب إليه من أمله،^{٧٢٠} وأيضاً، إدراك أثر قصر الأمل وطوله عليه. ورد ابن حجر في الفتح: "وَقِيلَ إِنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ حَقِيقَةُ الرَّهْدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ سَبَبٌ لِأَنَّ مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ زَهَدَ وَيَتَوَلَّدُ مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ وَالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّسْيَانِ لِلْآخِرَةِ وَالْقَسْوَةِ فِي الْقَلْبِ لِأَنَّ رِقَّتَهُ وَصَفَاءَهُ إِنَّمَا يَقَعُ بِتَذْكِيرِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ ... مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ قَلَّ هَمُّهُ وَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْمَوْتَ اجْتَهَدَ فِي الطَّاعَةِ وَقَلَّ هَمُّهُ وَرَضِيَ بِالْقَلِيلِ."^{٧٢١} قلت: بامتداد

^{٧١٨} أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح، ١: ١٤٥-١٤٦.

^{٧١٩} ابن ماجه، السنن، كِتَابُ الرَّهْدِ، بَابُ الْأَمَلِ وَالْأَجَلِ، ٢: ١٤١٤ (٤٢٣١). قال الأباقي: صحيح.

^{٧٢٠} ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١١: ٢٣٨.

^{٧٢١} ابن حجر العسقلاني، الفتح، ١١: ٢٣٧.

قوله عن الكسل والتسويق بالنسبة للتوبة والطاعة إلى الأعمال كلها، تدخل الأبعاد النفسية والاجتماعية أيضاً في تحليله، بحيث على المستوى النفسي، إدراك قصى الأجل يحزر الفرد من القلق على المستقبل البعيد، ويحفزه على استثمار وقته الحاضر، وعلى المستوى الاجتماعي، استحضار الأجل يستبعد المجتمع عن الطمع المفرط والتنافس غير المشروع، ويغلب عليه التكافل والتوازن.

وما أبرزته هذا القسم قريب مما يُعرف بـ **التربية الكلية** "Holistic Education" التي تؤكد أن التربية تشمل العقل والوجدان والروح.^{٧٢٢}

وقد حاولت المناقشات في هذا المطلب، في مجملها، إثبات وجود أمثلة على الأسئلة الواردة في الأحاديث تجمع بين: **إعادة تعريف المفاهيم** (التفكير النقدي) و**إثارة الفضول** (التعلم القائم على السؤال) و**حماية المجتمع** (التربية القيمية) و**تعميق الروح** (التربية الوجدانية)، وهو ما يجعلها منسجمة مع أبرز النظريات التربوية الحديثة، ويؤكد صلاحيتها كإطار تربوي لبناء التفكير النقدي والإيمان العميق في آن واحد.

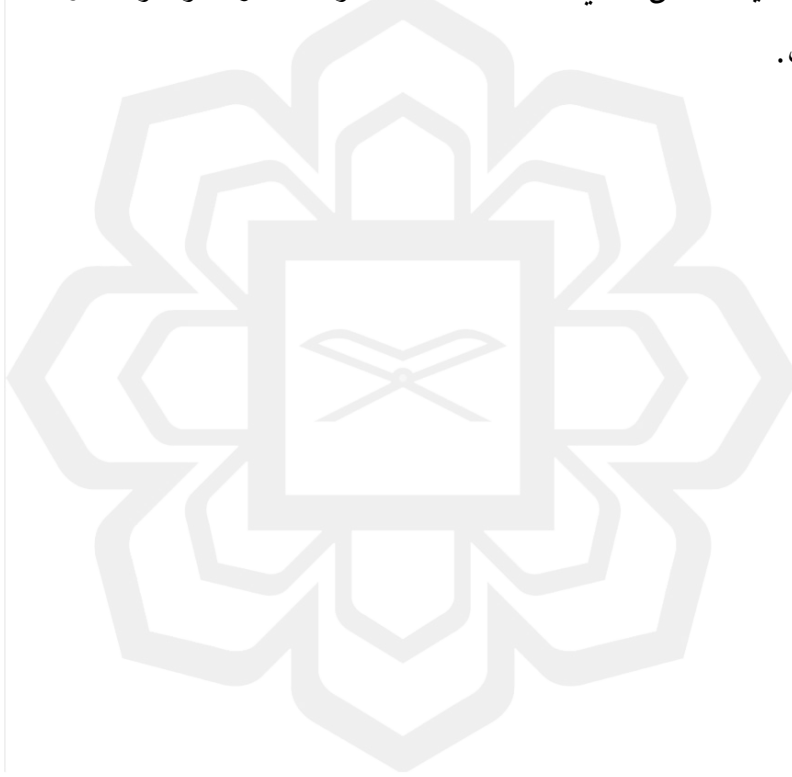
خلاصة الفصل

تناولنا في هذا الفصل التساؤل الجيد وقيّمته مع الأخذ في الاعتبار أنواع الأسئلة المختلفة التي قمنا بتصنيفها إلى فئتين رئيسيتين، أي تلك التي تهدف إلى استخلاص المعلومات من الشخص المستجوب، وتلك التي تهدف إلى نقل المشاعر والانطباعات من السائل إلى السائل، مشيرين إلى النوع الأول كـ **الاستفهام المعتاد**.

انطلاقاً من أن المعرفة والفهم من السلع المعرفية القيمة، فإن قيمة التساؤل تتحدد من خلال تقدير العلاقة بينه وبين المعرفة وبينه وبين الفهم. لقد ثبت أن طرح الأسئلة يلعب دوراً أداتياً وتأسيسياً وأساسياً في تحقيق المعرفة والفهم، مما أدى إلى استنتاج مفاده أنه من الصعب تحقيق المعرفة والفهم دون طرح الأسئلة، مما يثبت أن طرح الأسئلة له قيمة تمامًا مثل المعرفة والفهم. ولقد اعتبرنا الاستجواب بمعناه العام بحيث لا يقتصر فقط على استنباط المعلومات من قبل السائل، ومع هذا الاعتبار، تم تعريف التساؤل الجيد من حيث تدفق المعلومات بين

⁷²² Miller, John P. *The Holistic Curriculum*. (OISE Press, 2007), 3-5

المتحاورين، أي، تساؤل الذي يعزز التدفق المعلومات جديرة بالاهتمام بين السائل والمستجوب بكفاءة. وبالتالي قدمنا وصف السائل الجيد بأنه قادر على استخدام السؤال بطريقة تعزز التدفق المعلومات جديرة بالاهتمام بينه وبين محاوره بكفاءة، ثم ختمنا الفصل بالنظر إلى السائل من حيث مكونات التساؤل: مكون المحتوى ومكون الاتصال ومكون السياق ومكون الدافع. وتعتبر المكونات الثلاثة الأولى متطلبات التساؤل الجيد وإيفاء مكون الدافعي إضافة إلى الثلاثة ينقل السائل من التساؤل الجيد إلى التساؤل الفاضل. ولقد أشرنا إلى أهمية المكون الدافعي خلال علاقته بهدف السؤال وربطناه بالمفاهيم الأربعة - الأمر والعناية والحاجة والمنفعة - التي استنبطناها في الفصل الثاني فيما يتعلق بالتساؤل المحمود. وحاولنا إبراز ما ناقشنا بأمثلة من الأحاديث.



الختام

تمامًا مثل التحدث بشكل عام، يمكن القول إن التساؤل جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، بمعنى أنه غالبًا ما يحدث دون عناء ويتم تجاهله أو اعتباره أمرًا مفروغًا منه. والحقيقة أنه من الصعب أن نتصور أي نشاط إنساني هادف لا ينطوي على التساؤل سواء في مرحلة التخطيط له، أو أثناء النشاط، أو بعده على سبيل تقويمه. وتشير هذه الحقيقة إلى أهميتها، وتزداد أهميتها إذا نظرنا إلى دورها في العلاقات الشخصية كميسر للفهم واكتساب السلع المعرفية بشكل عام. وقد تناولت هذه الدراسة - كما هو مبين في عنوانها - التساؤلات الواردة في الأحاديث مع الاهتمام بدورها المعرفي. وإلى جانب عرض الخطوط العريضة للدراسة، فقد قدم الفصل الأول لمحة موجزة عن تاريخ التساؤل منذ الفترة الكلاسيكية حتى القرن الحادي والعشرين الميلادي. وقد تجلّى التنوع في أهداف التساؤل في ظهور مدرستين فكريتين (أي مذهبين): مذهب استخدام الأسئلة في السعي وراء سلع معرفية مثل المعرفة والفهم مقابل مذهب استخدام الأسئلة كوسيلة جدلية بهدف الإقناع. وفي نهاية المطاف، تم دمج هذين المذهبين في نظام فلسفي موحد، حتى أن أولئك الذين أكدوا على الحجج المقنعة، مثل الرومان القدماء، كانوا ملتزمين بالحفاظ على التوجه المعرفي بشكل أساسي في الخطاب الفلسفي. ومع ذلك، عانت ممارسة التساؤل القيود في عصور الوسطى من قبل الكنيسة المسيحية التي كانت تعارض الفضول والسعي وراء المعرفة والحكمة كما كانت تمارس من خلال التساؤلات في الفترة الكلاسيكية. وظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي الواقع في تلك الفترة التي كانت تحت قيود معينة، مع عقلية وموقف مختلفين تجاه الفضول، أتاح للعلماء في العالم الإسلامي فرصة تحقيق الكثير من التقدم العلمي في مختلف الحقول وهو ما لم يكن ممكنًا في الغرب تحت سلطة الكنيسة المسيحية، مما أشار إلى ضرورة الحرية الفكرية للتقدم كما لوحظ في الفرق بين العالمين، وقد أظهرت الانتقادات الموجهة للأفكار الفلسفية التي اعتبرت متعارضة مع أجزاء من العقيدة الإسلامية أن الحرية الفكرية تحتاج إلى حدود لمنعها من التأثير سلبًا على الاعتقادات الدينية. ومن الملاحظات الداعمة لضرورة الحرية الفكرية للتقدم هي الملاحظة أن الوضع في الغرب بدأ

يتحسن في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين مع بداية ضعف سلطة الكنيسة، وعندما فقدت احتكارها للسلطة المعرفية في نهاية القرن الثامن عشر، عاد التساؤل مرة أخرى، تمامًا مثل العصور القديمة، في صميم المساعي الفلسفية وتم توظيفه علانية في السعي وراء الحقيقة والمعرفة والفهم.

وأما الفصل الثاني فقد تناول مفهوم السؤال والموقف الإسلامي من ممارسة التساؤل بدءًا بمناقشة مصطلح السؤال وبعض المصطلحات المرتبطة به كالتساؤل والاستجواب والطلب والاستخبار والاستفهام والاستعلام، وميز بين نوعين من السؤال - المباشر وغير المباشر، ثم سلط الضوء على أغراض طرح السؤال مستخدمًا أمثلة قرآنية وحديثية، وأجرى مناقشة الموقف الإسلامي من السؤال من خلال المفهومين، وهما التكلف وكثرة السؤال. واقترح للسائل التنبيه بأربعة مفاهيم حتى يطمئن أن ممارسته للسؤال محمودة وغير مذمومة، والمفاهيم هي الأمر والعناية والحاجة والمنفعة، أي، إما أن يكون مأمورًا بالسؤال، أو يسأل عما يعنيه أو عما يحتاج إليه أو عما فيه منفعة له.

ولقد تناولت مناقشة الفصل الثالث التفاعل بين التساؤل والمعرفة، وكذلك العلاقة بين التساؤل والتفكير، بهدف اقتراح كيفية ارتباط المعرفة والتفكير. وقد أقر بأن التفكير ينشأ غالبًا مما هو معروف بالفعل للمفكر، وبالتالي فإن المعرفة الخلفية تُقدر كمحفز للفكر. وتتجلى أهمية المعرفة الخلفية في تشكيل العمليات الفكرية من خلال فهم أن التفكير لا يحدث في عزلة؛ فهو متجذر فيما هو معروف بالفعل للمفكر. وتساعد المعرفة الخلفية في اكتساب معلومات جديدة، وتعزيز قدرات التفكير، وتسهيل التعلم، وتحسين الوظائف المعرفية مثل حل المشكلات والاستدلال المنطقي. وبالتالي، كلما كانت المعرفة الأساسية للشخص أكثر شمولاً، كلما كانت هذه العمليات المعرفية أكثر سلاسة وكفاءة. وتولد المعرفة المعرفة من خلال تمكين المتعلم من اكتساب معلومات جديدة، والتأمل فيها، والاحتفاظ بها. وقد تم التأكيد على أهمية الذاكرة العاملة في العمليات الفكرية، والاستدلال، والتأثير على اتخاذ القرار والسلوك. بالإضافة إلى ذلك، لوحظ أن المعرفة الخلفية تساعد المفكر على هيكلة المعلومات وجمعها في الذاكرة العاملة. يساعد هذا التنظيم في استرجاع المعلومات، ويسمح بالتأمل في المعلومات الجديدة، ويقلل من الجهد المعرفي، ويحسن قدرات حل المشكلات.

وقد تناولت المناقشة التفكير النقدي والاستقلال الفكري والتفكير الإبداعي، مع أسئلة واردة في الأحاديث تشجع على هذه التمارين الفكرية. وقد تم إثبات التكافؤ بين التعريفات المختلفة للتفكير النقدي من خلال فحص المفهوم الأساسي الموجود في كل تعريف. وتم تقديم مفهوم التساؤل لتعزيز التفكير النقدي، إلى جانب فكرة مفادها أن إتقان الفكر يمكن أن يساعد في منع التحيز لدى المفكرين النقديين. وتبع ذلك تأكيد على أن التعاليم الإسلامية تشمل فكرة إتقان الفكر، ثم انتقلت المناقشة إلى دراسة التفكير النقدي والإبداع في التقاليد الفكرية العربية كما استكشف الحديث أشكالاً مختلفة من الإبداع. وفيما يتعلق بالاستقلال الفكري، تم الاعتراف بأن الاستقلال التام أمر لا يمكن تحقيقه. ومع ذلك، فإن السمة الرئيسية للفرد المستقل فكرياً هي إدراك متى يمارس الاستقلال ومتى يعتمد على الآخرين. وفي سياق نظريات التفكير والتعلم، استكشفنا التفكير على المستويين الأعلى والأدنى. وقد تبين أن تصنيف المشكلة حسب المستوى المطلوب من التفكير يختلف بين الأفراد، بسبب الخلفيات المعرفية المتنوعة. ولقد عرضنا تصنيف بلوم الهرمي، موضحين كل مستوى بأمثلة مناسبة من الأحاديث. وقد أعقب ذلك نقد التصنيفات الهرمية وعرض تصنيف غير هرمي.

وركز الفصل الرابع على التساؤل الجيد وقيمه. وقد صنف الأسئلة إلى مجموعتين رئيسيتين: (١) تلك المصممة لاستخلاص المعلومات من الشخص الذي يُطرح عليه السؤال، والتي أشرت إليها بالأسئلة المعتادة، و(٢) تلك التي تهدف إلى توصيل مشاعر السائل وإدراكاته إلى المستجيب ولا تتطلب بالضرورة إجابات.

ونظراً لأن المعرفة والفهم سلعتان معرفيتان قيمتان، فيمكن قياس قيمة التساؤل من خلال علاقته بالمعرفة والفهم. وقد ثبت أن طرح الأسئلة يلعب دوراً أداتياً وتأسيسياً أساسياً في تحقيق المعرفة والفهم، مما أدى إلى استنتاج مفاده أنه من الصعب تحقيق المعرفة والفهم دون طرح الأسئلة، وبالتالي فإن طرح الأسئلة له نفس قيمة المعرفة والفهم.

ولقد نظرنا إلى التساؤل بمعناه العام بحيث لا يقتصر على استخلاص المعلومات من السائل، وبالتالي تم تعريف التساؤل الجيد بأنه التساؤل الذي يعزز بكفاءة تدفق المعلومات المثيرة للاهتمام بين السائل والمستجوب. وهكذا فإن السائل الجيد هو من يستطيع استخدام الأسئلة بطرق تعزز بكفاءة تدفق المعلومات المثيرة للاهتمام بينه وبين محاوره. ثم ينتهي الفصل

بنظرة على السائل من حيث مكونات السؤال: مكون المحتوى، ومكون الاتصال، والمكون السياقي، والمكون التحفيزي. المكونات الثلاثة الأولى هي متطلبات السؤال الجيد، وتحقيق المكون التحفيزي بالإضافة إلى الثلاثة ينقل السائل من مرتبة سائل جيد إلى مرتبة سائل فاضل. وتم إبراز أهمية المكون التحفيزي في الاستجواب من خلال علاقته بالمفاهيم الأربعة المستنبطة في الفصل الثاني: الأمر، والعناية، والحاجة، والمنفعة.

نتائج البحث

ظهرت الدراسة أن الأسئلة النبوية تغطي مستويات التفكير كافة كما وردت في تصنيف بلوم، ابتداءً من التذكر والفهم ووصولاً إلى التحليل والتركيب والتقييم. وهذا يدل على شمولية المنهج النبوي وقدرته على تفعيل جميع القدرات العقلية، بحيث لا يقتصر دوره على التعليم المباشر، بل يمتد إلى بناء ملكات التفكير العليا وتنميتها. ومن ثمّ، فإن السؤال النبوي يشكل إطاراً تربوياً متكاملًا يصلح لتوظيفه في العملية التعليمية المعاصرة.

كما بيّن البحث أن الأسئلة النبوية ليست مجرد وسيلة للحصول على المعلومات، بل هي أداة لبناء المعرفة وتصحيح التصورات وتوضيح الأحكام الشرعية. فهي تنقل المتعلم من مجرد التلقي السلبي إلى المشاركة النشطة في الفهم والتحليل، الأمر الذي يعزز دوره كعنصر فاعل في اكتساب المعرفة. وقد كشفت النتائج أن هذه الأسئلة تتسم بوضوح المعنى ودقة الصياغة وملاءمة السياق، وهو ما يجسّد معايير التفكير الرشيد من وضوح وعمق وإنصاف واتساق.

وتوصلت الدراسة إلى أن الأسئلة النبوية تسهم بفعالية في تعزيز الاستقلال الفكري، إذ تشجع الفرد على التعبير عن تساؤلاته بحرية والبحث عن الإجابة المبنية على الدليل، وفي الوقت نفسه تغرس التواضع العلمي الذي يقي من الغرور الفكري. وهذا الاستقلال الفكري الذي رُصد في مواقف الصحابة والسائلين أمام النبي ﷺ يُعدّ أساساً لبناء شخصية متوازنة قادرة على مقاومة التقليد الأعمى والانغلاق.

كذلك أثبت البحث أن الأسئلة النبوية تُعدّ محفّزاً مهماً للإبداع، إذ تدفع المتعلم إلى التفكير خارج النمط المعتاد وإيجاد حلول جديدة للمشكلات. فالتساؤل في الأحاديث لم يكن

مجرد نقل للمعرفة، بل أتاح مساحة لتوليد الأفكار المبتكرة، وهو ما يتجلى في مواقف متعددة أنتجت منها حلول عملية وتشريعات نافعة.

ومن النتائج المهمة أيضًا أن البحث استطاع بلورة مفهوم **التساؤل الجيد**، محددًا عناصره الأربعة: المحتوى، الاتصال، السياق، والدافع. فإذا تحققت العناصر الثلاثة الأولى عُدَّ السؤال جيدًا، وإذا أضيف إليها عنصر الدافع النافع أصبح السؤال فاضلاً. وقد أظهرت النصوص النبوية تمييزًا واضحًا بين السؤال النافع الذي يبني معرفة ويخدم المجتمع، وبين السؤال المدموم الذي يفضي إلى الجدل العقيم أو التكلف.

وأخيرًا، أثبتت الدراسة أن الأسئلة النبوية أسهمت عمليًا في التشريع وتوضيح الأحكام، كما كشفت عن وعي الصحابة وارتباطهم الفكري والتربوي بالنبى ﷺ، وأظهرت أن السؤال في السنة النبوية يتجاوز الوظيفة التعليمية البسيطة ليكون أداة تربوية، وفكرية، وتشريعية، وإبداعية في آن واحد.

التوصيات

استنادًا إلى نتائج البحث وما خلص إليه من أن الأسئلة النبوية تشكل نموذجًا معرفيًا وتربويًا متكاملًا، يوصي الباحث بما يلي:

أولاً: توصيات تربوية وتعليمية

١. إدماج مهارات التساؤل النبوي في المناهج الدراسية بمختلف المراحل التعليمية، بحيث يتم تدريب الطلاب على طرح الأسئلة التي تعزز الفهم والتحليل والنقد.
٢. إعداد برامج تدريبية للمعلمين تستلهم المنهج النبوي في طرح الأسئلة، وتكسبهم مهارات إدارة الحوار الصفّي وتنمية التفكير النقدي لدى المتعلمين.
٣. اعتماد الأسئلة النبوية كأدوات عملية في استراتيجيات التعلم النشط (مثل: التعلم القائم على المشكلات، والتعلم القائم على الاستقصاء)، لما لها من قدرة على إثارة التفكير.
٤. تحفيز المتعلمين على الاستقلال الفكري من خلال تشجيعهم على طرح الأسئلة بحرية، والتمييز بين السؤال النافع والمدموم، بما يعزز لديهم روح المسؤولية العلمية.

ثانيًا: توصيات فكرية وثقافية

١. نشر ثقافة السؤال في المجتمع عبر البرامج الإعلامية والثقافية، لتصبح أداة لبناء وعي نقدي وإبداعي.
٢. مواجهة التقليد الأعمى والانغلاق الفكري من خلال تعزيز التساؤل الحر القائم على أسس معرفية ومنطقية، مستلهمًا النموذج النبوي.
٣. إعادة تفعيل المنهج النبوي في الحوار ليكون أداة في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة، مثل: التطرف، والانحرافات الفكرية، والجدل العقيم.
٤. إبراز قيمة التساؤل الجيد في الخطاب الديني المعاصر، بما يعيد للسؤال مكانته الشرعية والتربوية.

ثالثًا: توصيات بحثية وأكاديمية

١. تشجيع الباحثين على استكمال دراسة الأسئلة النبوية من زوايا متعددة، مثل: اللسانيات، علم النفس التربوي، الفلسفة الإسلامية، مقارنة الأديان.
٢. تأليف كتب خاصة بجمع الأحاديث التي تحتوي على أسئلة، وخاصة إذا تضمنت هذه الكتب تصنيفات أو تعليقات أو شروحات تركز على الأسئلة التي تحتويها الأحاديث.
٣. إجراء دراسات تجمع بين الأسئلة من القرآن والحديث.
٤. بناء قواعد بيانات متخصصة تجمع وتصنف الأسئلة الواردة في الأحاديث النبوية وفق موضوعاتها ومستوياتها، لتكون مرجعًا للباحثين.
٥. إجراء دراسات مقارنة بين الأسلوب النبوي في السؤال وأساليب الحوار والتساؤل في الفلسفات الأخرى، بهدف إبراز خصوصية النموذج الإسلامي.
٦. إنتاج أدوات تعليمية (كتب، أدلة تربوية، مقررات إلكترونية) تعتمد على تحليل الأسئلة النبوية وتوظيفها في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداعي.

رابعًا: توصيات عملية ومجتمعية

١. إقامة ورش عمل ودورات تدريبية للطلاب والمعلمين والباحثين حول فن السؤال والتفكير النقدي في ضوء السنة النبوية.

٢. تشجيع الحوار الطلابي في الجامعات والمدارس من خلال منتديات أو حصص مخصصة للأسئلة والمناقشات.

٣. توظيف النموذج النبوي في مجالات القيادة والإدارة من خلال اعتماد الحوار المبني على التساؤل الفعّال في حل المشكلات واتخاذ القرارات.

٤. تعزيز التكامل بين المؤسسات التعليمية والدينية لاستثمار الأسئلة النبوية في بناء خطاب وسطي متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

فاللهم ربنا اجعلنا من الممارسين التساؤل بطريق يرضيك ويقربنا إليك، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، وأجز مشرفيني العزيزين والممتحنين وجميع أساتذتي خير الجزاء، وصل وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

القرآن الكريم.

إبراهيم، مصطفى، وآخرون. المعجم الوسيط. الإسكندرية: دار الدعوة.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي. تفسير القرآن العظيم، ط ٣. تحقيق أسعد محمد الطيب. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨.

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. مناقب الإمام أحمد. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. جيزة: دار هجر، ١٩٨٥.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٤.

ابن الملك، محمد بن عز الدين الكرماي الحنفي. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي. تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية، ٢٠١٢.

ابن بطل، علي بن خلف. شرح صحيح البخاري. تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤.

ابن حبان ، محمد التميمي البُستي. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط ٢. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وعليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز. بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٠.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. تهذيب التهذيب. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٩٤٣.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري. صحيح ابن خزيمة. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط ٧. تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

ابن رسلان، أحمد بن حسين المقدسي الرملي. شرح سنن أبي داود. تحقيق عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط. الفيوم: دار الفلاح للبحث، ٢٠١٦.

ابن رشيقي، الحسن القيرواني الأزدي. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ط ٥. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ١٩٨١.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله البخاري. الكتاب الشفاء (الإلهيات). تحقيق الأب قنواني وسعيد رايد.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ. تحقيق بشار عواد معروف وآخرون. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٧.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري. جامع بيان العلم وفضله. تحقيق أبي الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. بيروت: محمد علي بيضون، ١٩٩٧.

ابن فورك، محمد بن الحسن الأصبهاني. تفسير ابن فورك. تحقيق علال عبد القادر بندويش المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ٢٠٠٩.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. تأويل مختلف الحديث، ط ٢. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٩.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. الشعر والشعراء. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، ط ٢. تحقيق سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ٢٠١٠.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٩٩٤.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (١٩٨٥م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط٦. تحقيق
مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. القاهرة:
شركة الطباعة الفنية المتحدة.

أبو البركات، عبد الله بن أحمد النسفي. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**.
تحقيق يوسف علي بديوي. بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨.

أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الكفوي. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق
اللغوية**. تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو البقاء، يعيش بن علي الموصلي. **شرح المفصل للزمخشري**. بيروت: دار الكتب العلمية،
٢٠٠١.

أبو الربيع، سليمان بن عبد القوي الصرصري. **شرح مختصر الروضة**. تحقيق عبد الله بن عبد
المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير
أبي السعود**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن القنوجي. **فتح البيان في مقاصد القرآن**. تحقيق عبد
الله بن إبراهيم الأنصاري. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٢.

أبو العباس، أحمد بن عمر القرطبي. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. تحقيق محيي
الدين ديب ميستو وآخرون. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٦.

أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي. **المصباح المنير في غريب الشرح
الكبير**. بيروت: المكتبة العلمية.

أبو العباس، أحمد بن يوسف الحلبي. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. تحقيق محمد باسل عيون السود، القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

أبو العباس، أحمد بن محمد المصري. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٩٠٥.

أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين العراقي. طرح التثريب في شرح التقریب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو الفضل، عياض بن موسى السبتي. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد. تحقيق أبو داود أيمن بن حامد بن نصير الدسوقي. القاهرة: دار الذخائر، ٢٠١٨.

أبو الفضل، عياض بن موسى السبتي. إكمال المعلم بفوائد مسلم. تحقيق يحيى إسماعيل. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.

أبو الليث، محمد الخير الآبادي. علوم الحديث - أصيلها ومعاصرها، ط٧. ماليزيا: دار الشاكر، ٢٠١١.

أبو الليث، محمد الخير الآبادي، المدخل لمادة دراسة مقارنة بين شروح الأحاديث المشككة، مذكرة المادة RKQS7031A الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٦/٢٠١٧م.

أبو الليث، نصر بن محمد السمرقندي. بحر العلوم (تفسير السمرقندي). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.

أبو المظفر، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد الشيباني. الإفصاح عن معاني الصحاح. تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد. الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧.

أبو بكر، عبد الرزاق بن همام الصنعاني. المصنف. (ط٢). تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات. القاهرة: دار التأصيل، ٢٠١٣.

أبو بكر، محمد بن الحسن الأزدي. **جمهرة اللغة**. تحقيق رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. **البحر المحيط في التفسير**. تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجّستاني. **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى. **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**. القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو زيد، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري. **تاريخ المدينة**. تحقيق فهد محمد شلتوت. جدة: السيد حبيب محمود أحمد، ١٩٧٩.

أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري. **كتاب العين**. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد. **التقرير والتحجير على تحرير الكمال بن الهمام**، ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

أبو عبد الله، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء. **طبقات فحول الشعراء**. تحقيق محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.

أبو عُبَيد، القاسم بن سلام البغدادي. **غريب الحديث**. تحقيق محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد-الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤.

أبو موسى الأصبهاني، محمد بن عمر. **المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث**. تحقيق عبد الكريم العزباوي. جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. معجم الفروق اللغوية. تحقيق الشيخ بيت الله بيات. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٢.

إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوقي. روح البيان. بيروت: دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. الجامع الصحيح المختصر. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. اليمامة وبيروت: دار طوق، ٢٠٠١.

بدر الدين العيني، محمود بن أحمد الحنفى. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البرزنجي، محمد بن طاهر. صحيح وضعيف تاريخ الطبري. محمد بن طاهر ومحمد صبحي حسن حلاق (تحقيق). دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٧.

البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ط ٤. تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة. تحقيق لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٢.

البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. سنن الترمذي. (د.ط.). تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (١٤٤٢هـ). الحيوان، ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٢١.

الرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. تحقيق ياسين الأيوبي. بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

الرجاني، علي بن محمد. **معجم التعريفات**. تحقيق محمد صديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة.

الرجاني، علي بن محمد. **كتاب التعريفات**. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

جمعة، محمد لطفي. **تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب**، ط ٢. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥.

الحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١.

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. **المستدرک علی الصحيحین**. مصطفى عبد القادر عطا (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠.

حَبَنَكَة، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي. (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). **البلاغة العربية**. (ط ١). دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية.

الخضير، عبد الكريم بن عبد الله. **شرح التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**. المكتبة الشاملة، ١٤٣٢.

الخطابي، حمد بن محمد البستي. **معالم السنن**، وهو شرح سنن أبي داود. حلب: المطبعة العلمية، ١٩٣٢.

الخطيب، عبد الكريم يونس. **التفسير القرآني للقرآن**. القاهرة: دار الفكر العربي.

خورشيد، إبراهيم زكي؛ وأحمد الشنتناوي؛ وعبد الحميد يونس. موجز دائرة المعارف الإسلامية. تحقيق حسن حبشي، وعبد الرحمن عبد الله الشيخ، ومحمد عناني. الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. إعراب القرآن وبيانه، ط ٤. دمشق - بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٥.

الدسوقي، محمد بن عرفة. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]. تحقيق عبد الحميد هندراوي. بيروت: المكتبة العصرية.

الزجاج، إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلي. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ٢. دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨.

الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء، ١٩٩٥.

زيتون، كمال عبد المجيد. التدريس نماذجه ومهاراته. الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر، ١٩٩٧.

سعيد حوى. الأساس في التفسير، ط ٧. القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٣.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم.

السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه). بيروت: دار الجيل.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

السيوطي، محمد بن أحمد، عبد الرحمن بن أبي بكر. **تفسير الجلالين**. القاهرة: دار الحديث.

الشاذلي الحوّلي، محمد عبد العزيز بن علي. **الأدب النبوي**، ط ٤. بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٢.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **الموافقات**. تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. القاهرة: دار ابن عفان، ١٩٩٧.

شمس الدين البرمائي، محمد بن عبد الدائم. **اللامع الصحيح بشرح الجامع الصحيح**. تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. سوريا: دار النوادر، ٢٠١٢.

شمس الدين الكرماني، محمد بن يوسف. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٧.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.

الشوكاني، محمد بن علي. (١٤١٤هـ). **فتح القدير**. بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٤.

الصغاني، الحسن بن محمد. **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية**. محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق). القاهرة: دار الكتب، ١٩٨٣.

الضبي، المفضل بن محمد. **أمثال العرب**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١.

الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١.

الطبي، الحسين بن عبد الله. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشف). دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣.

العاكوب، عيسى علي. التفكير النقدي عند العرب: مدخل إلى نظرية الأدب العربي. بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٥.

عبد الحميد عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة. الرياض: عالم الكتب، ٢٠٠٨. عبد الرزاق، مصطفى. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. القاهرة-بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١.

عبد الرؤوف المناوي، محمد بن تاج العارفين. فيض القدير شرح الجامع الصغير. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٧.

العثيمين، محمد بن صالح. شرح رياض الصالحين. الرياض: دار الوطن للنشر، ٢٠٠٥.

العزاوي، رحيم يونس كرو. استراتيجيات طرح الأسئلة مع تطبيقات رياضية. عمان: دار دجلة، ٢٠١٠.

العسكري، الحسن بن عبد الله. (١٩٨٤م). المصون في الأدب، ط ٢. تحقيق عبد السلام محمد هارون. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

عضيمة، محمد عبد الخالق. (د.ت). دراسات لأسلوب القرآن الكريم. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

العكبري، أبو البقاء الحنبلي. إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحث. تحقيق وحيد عبد السلام بالي ومحمد زكي عبد الديم. القاهرة: دار ابن رجب، ١٩٩٨.

عيد، يحيى إسماعيل. "التقويم في علوم الشريعة": فصل في كتاب: المرجع في علوم الشريعة. تحقيق تحرير عبد الرحمن صالح.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. تهافت الفلاسفة، ط ٥. تحقيق سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. مفاتيح الغيب، ط ٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

القرطبي، محمد بن أحمد. (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط ٢. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤.

قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنبي. معجم لغة الفقهاء، ط ٢. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

الكرماني، محمود بن حمزة. غرائب التفسير وعجائب التأويل. جدة-بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن.

لاشين، موسى شاهين. فتح المنعم شرح صحيح مسلم. بيروت: دار الشروق، ٢٠٠٢.

المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام. **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط ٣. بنارس الهند: الجامعة السلفية، ١٩٨٤.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٧٣.

كافي الكفاة، إسماعيل بن عباد. **المحيط في اللغة**. تحقيق محمد حسن آل ياسين. بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤.

قلعجي، محمد رواس وحامد صادق قنيبي. **معجم لغة الفقهاء**، ط ٢. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**. تحقيق محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠-١٩٩٢.

المستعصمي، محمد بن أيدير. **الدر الفريد وبيت القصيد**. تحقيق كامل سلمان الجبوري. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٥.

مسلم بن الحجاج النيسابوري. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥.

مظهر الدين المظهري، الحسين بن محمود. **المفاتيح في شرح المصابيح**. تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب. الكويت: دار النوادر، ٢٠١٢.

مقاتل، أبو الحسن بن سليمان. **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق عبد الله محمود شحاته. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٢.

المقريري، أحمد بن علي. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. تحقيق محمد عبد الحميد النميسي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩.

الملا القاري، علي بن (سلطان) محمد الهروي. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر. تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم. بيروت: دار الأرقم.

الملا القاري، علي بن (سلطان) محمد الهروي. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ط ٣. تحقيق مصطفى محمد عمارة. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٨.

الميورقي، أبو عبد الله بن أبي نصر. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٩٥.

النسائي، أحمد بن شعيب الخراساني. السنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلي تحت إشراف شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

النووي، يحيى بن شرف. المجموع شرح المذهب. تحقيق لجنة من العلماء. القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، ١٩٢٦-١٩٢٩.

النووي، يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢.

الهديلي، ماجد بن محمد بن علي. مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام. تحقيق محمد بن حسين بن أحمد. الشاملة الذهبية، ٢٠١١/٢٠١٢.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن. تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي. بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠١.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج). تحقيق لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي. الرياض: دار المنهاج، ٢٠٠٩.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله. شرح سنن ابن ماجة (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجة والقول المكتفى على سنن المصطفى). تحقيق لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي. جدة: دار المنهاج، ٢٠١٨.

الواحدى، علي بن أحمد النيسابوري. (١٤١٥هـ). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. صفوان عدنان داوودي (تحقيق). دمشق - بيروت: الدار الشامية - دار القلم، ١٩٩٥.

الواحدى، علي بن أحمد النيسابوري. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤.

الواحدى، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. التفسير البسيط. تحقيق لجنة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٩.

ول ديورانت، ويليام جيمس ديورانت. قصة الحضارة. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨.

الولوي، محمد بن علي الإثيوبي. شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى). مكة: دار آل بروم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

الرسائل الجامعية:

أبو شاويش، مدلين سعيد. "سؤالات اليهود للنبي ﷺ وسؤالات النبي لهم: تخرج ودراسة". رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١١.

جمال حسن النجار، أنسام. "سؤالات أم المؤمنين عائشة ؓ للنبي ﷺ - دراسة موضوعية". رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٥.

شهاب الدين، أحمد بن إسماعيل. "غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني" (من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس). تحقيق محمد مصطفى كوكصو. رسالة دكتوراه، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، ٢٠٠٧.

عواودة، نسرين جمال مفلح. "أسئلة الصحابيَات للنبي ﷺ وإجابته عليها - نصوص مستقرأة، ودلالات مستنبطة." رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ٢٠٠١.

محمد دخان، خالد. "الدلالات التربوية لأسلوب السؤال والجواب في السنة النبوية." رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٠.

ناغش، عيدة. "أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين." رسالة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ٢٠١٢.

المجلات الدورية:

الشرعة، حامد حامد؛ وشريف الخطيب. "أسئلة النبي ﷺ وأجوبتها المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ في الصحيحين وأثرها على الواقع." مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، ٢٧، العدد ١ (٢٠١٩): ٣٩٧-٤٣١.

منصور، سعد الدين، ومحمد سيف الإسلام، وطارق عثمان علي. (٢٠١٦م). "الأسئلة الموجهة للنبي ﷺ والإجابة عنها بوصفها نماذج لفتواه." المؤتمر العالمي في الفتاوى، (ماليزيا:

eISBN: 987-983-42251-8-6.(INFAD

عريب، عثمان محمد؛ وبروا عبد الله حسين. "أسئلة الصحابة العقديّة للنبي ﷺ في الصحيحين حول أهل الفترة." مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، ٢٨، العدد ٧ (٢٠١٦): ٣١٠-٣٥١.

الرعود، محمد عبد الرزاق؛ ومراد شحادة يوسف. (٢٠٠٩م). 'السؤال النبوي الشريف – دراسة حديثة تربوية تحليلية'. *مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية*، ١٧، العدد ١ (٢٠٠٩): ٢٩-١٦.

المقوسي، ياسين علي. 'أسئلة الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيف بلوم للعمليات العقلية'. *مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، ١، العدد ٢ (٢٠١٤): ٣٤٠-٢٨٥.

المراجع الأجنبية

- Ahmed, Keshif. S. "Arabic Medicine: Contributions and Influence." *Proceedings of the 17th Annual History of Medicine Days*. (2008): 7-8.
- Aloni, Maria. A formal treatment of the pragmatics of questions and attitudes. *Linguistics and Philosophy* 28, no. 5 (2005): 505-539.
- Al-Qadi, Ibrahim A.. The Origins of Cryptology: The Arab Contributions. *Cryptologia* 16, no. 2 (1992): 97-126.
- Altalib, H., Abusulayman, A., and Altalib, O. *Parent-child relations: A guide to raising children*. International Institute of Islamic Thought (IIIT). (2013). <https://www.jstor.org/stable/j.ctvkrvqn.25>.
- Anderson, L. W., Krathwohl, D. R. Wittrock, M. C. *Taxonomy of learning, teaching, and assessing: A revision of Bloom's taxonomy of educational objectives* (2nd ed., abridged). Pearson Allyn & Bacon, 2001.
- Arbuckle, T. Y., Vanderleck, V. F. "Harsany, M., and Lapidus, S.. Adult age differences in memory in relation to availability and accessibility of knowledge-based schemas." *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition* 16, (1990): 305-315.
- Arslam, M.. The role of questioning in the classroom. *Hasan Ali Yücel Eğitim Fakültesi Dergisi* 2, (2006): 81-103
- Augustine, *Confessions*. Translated by Albert Outler. Westminster Press, 1955.
- Bacon, Francis. *The Physical and Metaphysical Works of Lord Bacon: Including the Advancement of Learning, and Novum Organum*. G. Bell and Sons, 1911. <https://jscholarship.library.jhu.edu/bitstream/handle/1774.2/36216/31151029084575.pdf> (Retrieved 15 February 2021).
- Barnes, C. A. "Critical thinking revisited: Its past, present, and future." *New Directions for Community Colleges, Summer 2005*, (2005): 5-13

- Bartlett, F. C. *Thinking: An experimental and social study*. London: Allen & Unwin, 1958.
- Bin Jamil, Khairil Husaini. "Islamic Scriptures and Voice Intonation: A Preliminary Survey in Arabic Linguistic Thought and *Ḥadīth* Interpretive Discourse." *KEMANUSIAAN: The Asian Journal of Humanities* 26, (2019): 1-21.
- Bloom, B., Englehart, M., Furst, E., Hill, W., and Krathwohl, D. *Taxonomy of Educational Objectives: The Classification of Educational Goals. Handbook I: Cognitive Domain*. Longmans Green, 1956.
- Boden, M. A. "What is Creativity?," in *Dimensions of Creativity*, Margaret A. Boden (ed.), Cambridge, MA: The MIT Press, (1994): 75-117.
- Boden, M. A. *Creativity Art: Three Roads to Surprise*. Oxford University Press, 2010.
- Broemeling, L. D. "An Account of Early Statistical Inference in Arab Cryptology." *The American Statistician* 65, no. 4 (2011): 255-257.
- Brown, R. G. "Schooling and thoughtfulness." *Journal of Basic Writing*, (1991): 3-15.
- Browne, M. N., and Keeley, S. M. *Asking the Right Questions: A Guide to Critical Thinking*. Pearson Education Inc., 2007.
- Carruthers, P. "Creative Action in Mind." *Philosophical Psychology* 24, no. 4 (2011): 437-461.
- Chin, C. "Learning in science: What do students' questions tell us about their thinking?" *Education Journal* 29, no. 2 (2001): 85-103.
- Chin, C. (2004). "Questioning students in ways that encourage thinking." *Teaching Science* 50, no. 4 (2004): 16-21.
- Christenbury, Leila and Kelly, Patricia. *Questioning: A Path to Critical Thinking*. ERIC, 1983. (ED226372).. <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED226372.pdf> (Retrieved 17 Nov 2022).
- Congdon, M. (2018). "“Knewer” as an Ethical Concept: From Epistemic Agency to Mutual Recognition." *Feminist Philosophy Quarterly* 4, no. 4 (2018): 1-26.
- Corley, M. A. and Rauscher, C. W. "Deeper Learning through Questioning." *Teaching Excellence in Adult Literacy* 12, (2013): 1-5.
- Cropley, D. H., Cropley, A. J., Kaufman, J. C., and Runco, M. A. (eds.). *The dark side of creativity*. Cambridge University Press, 2010.
- Cross, Charles and Floris Roelofsen. "Questions", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* Edward N. Zalta (ed.). (Fall 2020 Edition). <https://plato.stanford.edu/archives/fall2020/entries/questions/>.

- Cunningham, R. T. *Developing Question-Asking Skills. in Weigand, James (ed): Developing Teacher Competencies*. Prentice-Hall, Inc., 1971.
- Dapsens, M. (2016). De la Risalat Maryanus au De compositione alchemiae. Quelques réflexions sur la tradition d'un traité d'alchimie. *Studia graeco-arabica*, 6, (2016): 121.
- Descartes, René. Letter of the Author to the French Translator of the Principles of Philosophy serving for a preface. Descartes, Rene - Principles of Philosophy (classicalibrary.org) (Retrieved 8 February 2022).
- Dewey, John. (1910). *How We Think*. D. C. Heath., 2010.
<https://archive.org/details/howwethink000838mbp> (Retrieved 16 Nov 2022)
- Diamond, A.. Executive functions. *Annual Review of Psychology* 64, (2013):135-68.
- Dillon, J. T. *The Practice of Questioning*. Routledge, 1990.
- El-Sa'adany, K. (2010). "Functions of Interrogations in Hadith: A Sociolinguistic Study." <https://11nq.com/rJJK7> (29 August 2020)
- Ennis, Robert H. (2016). A Three-Dimensional Analysis with Bearing on Key Concepts. In Patrick Bondy and Laura Benacquista (eds.), *Argumentation, Objectivity, and Bias: Proceedings of the 11th International Conference of the Ontario Society for the Study of Argumentation (OSSA)*, (2016): 18-21 May 2016, Windsor, ON (pp. 1-19) OSSA.
<https://scholar.uwindsor.ca/ossaarchive/OSSA11/papersandcommentaries/105/> (Retrieved 24/11/2022).
- Friedman, J. "The Aim of Inquiry." *Philosophy and Phenomenological Research* 108, no. 2 (2024): 506-523. <https://jfriedmanphilo.github.io/AIMS.pdf>. (Retrieved May, 15, 2024).
- Gaon, S. and Norris, S. P. "The Undecidable Grounds of Scientific Expertise: Science Education and the Limits of Intellectual Independence." *Journal of Philosophy of Education* 35, no. 2 (2001): 187-201.
- Gaut, B. (2010). "The Philosophy of Creativity." *Philosophy Compass* 5, no. 12 (2010): 1034-1046.
- Ginzburg, J. "Interrogatives: Questions, facts and dialogue." *The handbook of contemporary semantic theory*. Blackwell, Oxford, 1996. 359-423.
- Goldman, A. *Knowledge in a Social World*. Oxford University Press, 1999.
- Grice, H. P. "Utterer's meaning and intentions." *The philosophical review* 78, no. 2 (1969): 147-177.
- Halliday, Michael Alexander Kirkwood. *Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning*. Hodder Arnold, 1978.

- Halpern, D. F. "Teaching critical thinking for transfer across domains: Dispositions, skills, structure training, and metacognitive monitoring." *American Psychologist* 53, (1998): 449-455.
- Hardwig, J. "Epistemic Dependence." *The Journal of Philosophy* 82, no. 7 (1985): 335-349.
- Hardwig, J. "The Role of Trust in Knowledge." *The Journal of Philosophy* 88, no. 12 (1991): 693-708.
- Hitchcock, David. "Critical Thinking." *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2022 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.). <https://plato.stanford.edu/cgi-bin/encyclopedia/archinfo.cgi?entry=critical-thinking>. (Retrieved 4 Nov 2022).
- Hlinak, M. "The Socratic Method 2.0." *Journal of Legal Studied Education* 31, no. 1 (2014): 1-20.
- Hobbes, T. *Leviathan*. JM Dent, 1914.
<https://scholarsbank.uoregon.edu/xmlui/bitstream/handle/1794/748/leviathan.pdf?sequence=1&isAllowed=y> (Retrieved 15 February 2021).
- Huang, K., Yeomans, M., Brooks, A. W., Minson, J., & Gino, F. "It doesn't hurt to ask: Question-asking increases liking." *Journal of personality and social psychology* 113, no. 3 (2017): 430-452.
- Hume, D. "Treatise of Human Nature Book II: The Passions." *Part, I*, (2010): 11-12.
hume1739book2.pdf (earlymoderntexts.com) (Retrieved 15 February 2021).
- Hymes, Del. *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*. University of Pennsylvania Press, 1974.
- Kaadinen, J. K., Hyona, J., and Keenan, J. M. "How prior knowledge, WMC, and relevance of information affect eye fixations in expository text." *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition*, 29, (2003): 447-457.
- KACHRV, B. B. "Socially realistic linguistics: The Firthian tradition." *Studies in the Linguistic Sciences Urbana, Ill* 10, no. 1 (1980): 85-111.
- Keesing, R. G. The history of Newton's apple tree. *Contemporary Physics* 39, no. 5 (1998): 377-391.
- Kerry, T. et. al. *Effective questions*. Macmillan Education. Focus book. 1987.
- Kissoc, C. and Iyortunn, P. A. *Guide to Questioning*. Macmillan Press, 1982.
- Kosmoski, G. J., Gay, G., and Vockell, E. L. "Cultural Literacy and Academic Achievement." *Journal of Experimental Education* 58, no. 4 (Summer 1990): 265-272,

- Kotzee, B. "Introduction: Education, Social Epidemiology and Virtue Epidemiology." *Journal of Philosophy of Education* 47, no. 2 (2013): 157-167.
- Kronfeldner, M. E. Creativity Naturalized. *The Philosophical Quarterly* 59, no. 237 (2009): 577-592.
- Kvanvig, J. *The Value of Knowledge and the Pursuit of Understanding*.: Cambridge University Press, 2003.
- Kwangmuang, P., et. al. "The development of learning innovation to enhance higher order thinking skills for students in Thailand junior high schools." *Heliyon* 7, no. 6 (2021): 1-13.
- Lani, Watson H. M. "Why Ask: The Epistemology of Questioning." Doctoral Dissertation. The University of Edinburgh. 2015.
- Leaman, O. *A Brief Introduction to Islamic Philosophy* (Vol. 134). Cambridge Polity Press., 1999
- Levey, M. *Early Arabic Pharmacology: An Introduction Based on Ancient and Medieval Sources*. Brill Academic Publishers, Leiden, 1973, ISBN: 978-9-004-83496-0.
- Lewis, A., and Smith, D. Defining higher order thinking. *Theory into Practice* 32, no. 3 (1993): 131-137.
- Lihoreau, F. (Ed.). *Knowledge and questions*, (Vol. 77). Rodopi, 2008. : vii-xxiv.
- Lindberg, D. C. Galileo, the church, and the cosmos." *When science & christianity meet*. (2003): 33-60. https://joelvelasco.net/teaching/3330/Lindberg-Galileo_church_cosmos.pdf (Retrieved 16 February 2021).
- Liu, W. "Design of Text-based Questions from the Study of Typology of Questions." *Sino-US English Teaching, USA* 5, no. 2 (2005): 16-24.
- Locke, J. *Some thoughts concerning education*. Cambridge University Press, 1887. <https://rb.gy/fl9uab> (Retrieve 15/02/2021).
- Lory, P. *Alchimie et mystique en terre d'Islam*. Verdier, 1989. ISBN 9782864320913.
- Maher, P. "From Al-Jabr to Algebra." *Mathematics in School* 27, no. 4 (1998): 14-15.
- Maier, N. R. F. "An aspect of human reasoning." *British Journal of Psychology* 24, (1993): 144-155.
- Maier, N. R. F. Reasoning in rats and human beings. *The Psychological Review* 44, (1937): 365-378.
- Masood, E. *Science and Islam: A History*. Icon Books, 2009. ISBN 978-1-785-78202-2.

- McRae, K., Ochsner, K. N., Mauss, I. B., Gabrieli, J. J., & Gross, J. J. "Gender differences in emotion regulation: An fMRI study of cognitive reappraisal." *Group processes & intergroup relations* 11, no. 2 (2008): 143-162.
- Meinert, C. L. and Tonascia, S. *Clinical Trials: Design, Conduct, and Analysis*. Oxford Press, 1986. ISBN: 978-9-19-503568-1.
- Ministry of Education Malaysia. *Malaysia Education Blue Print 2015-2025* (Higher Education MEB(HE), 2013). <https://www.moe.gov.my/menumedia/media-cetak/penerbitan/pppm-2015-2025-pt/1384-4-executive-summary-pppm-2015-2025/file>. (Retrieved 27 February 2021).
- Miyake, A. and Shah, P. *Models of working memory: Mechanisms of Active Maintenance and Executive Control*. Cambridge University Press, 1999. ISBN 978-0-521-58325-1.
- Nappi, J. S. "The importance of questioning in developing critical thinking skills." *Delta Kappa Gamma Bulletin* 84, no. 1 (2017): 30-41.
- Neirotti, Rodolfo A. "The importance of asking questions and doing things for a reason." *Brazilian Journal of Cardiovascular Surgery* 36, no. 1 (2021): I-II. <https://doi.org/10.21470/1678-9741-2021-0950>
- Newmann, F. M. Higher order thinking in teaching social studies: A rationale for the assessment of classroom thoughtfulness. *Journal of Curriculum Studie*, 22, no. 1 (1990): 41-56.
- Noddings, N. What does it mean to educate the WHOLE CHILD? *Educational Leadership* 63, (2008): 8-13.
- Park, Alice. The Current COVID-19 Booster-Shot Strategy is Not Sustainable, Says FDA's Expert Panel. *Time Magazine*, April 7, 2022. <https://time.com/6164976/covid-19-booster-shot-strategy/> (Retrieved: April 14, 2022).
- Paul, E. S. and Stokes, D. "Creativity." *The Stanford Encyclopedia of Philosophy*, Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), 2023. <https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/creativity>.
- Paul, R. and Elder, L. Critical Thinking: The Art of Socratic Questioning. *Journal of Developmental Education* 13, no. 1 (2007): 36-37.
- Paul, R. and Elder, L. *The Miniature Guide to Critical Thinking: Concepts & Tools*, 7th Edition, Foundation for Critical thinking, Dillion Beach, 2019.
- Paul, R. W. and Binker, A. J. A. Critical Thinking: What Every Person Needs to Survive in a Rapidly Changing World (ED338557). ERIC, 1990. <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED338557.pdf> (Retrieved 12 Apr 2021).

- Pingree, David. Bīrūnī Abū Rayhān iv. Geography. *Encyclopedia Iranica*, 2000 <https://www.iranicaonline.org/articles/biruni-abu-rayhan-iv>. (accessed August 2, 2024).
- Plato. *Meno*. Translated by Benjamin Jowett. Liberal Arts Press, 1949. [Plato - Meno.pdf \(polazzo.com\)](#) (Retrieved 20 January 2021).
- Pope, R. *Creativity: Theory, history, practice*. Routledge, 2005.
- Recht, D. R. and Leslie, L. "Effect of prior knowledge on good and poor readers' memory of text." *Journal of Educational Psychology* 80, (1988): 16-20.
- Riggs, W. "Understanding Virtue and the Virtue of Understanding." In *Intellectual Virtue: Perspectives from Ethics and Epistemology* edited by Michael DePaul and Linda Zagzebski. Oxford University Press, 2007.
- Riggs, Wayne. (2002). "Reliability and the Value of Knowledge." *Philosophy and Phenomenological Research* 64, (2002): 79-96.
- Russell, Bertrand. *History of Western Philosophy*. Routledge, 1946.
- Schaffer, Jonathan. (2005). "Contrastive Knowledge." In *Oxford Studies in Epistemology I* edited by Tamar Szabo Gendler and John Hawthorne, 235-272. Oxford University Press, 2005.
- Shephard, K. On Intellectual Independence: The Principal Aim of Universities in New Zealand. *New Zealand Journal of Educational Studies* 57, no. 1 (2022): 269-284.
- Stein, M. I. Creativity and Culture. *Journal of Psychology* 36, (1953): 311-322
- Steup, Matthias and Ram Neta. "Epistemology." *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Fall Edition), Edward N. Zalta (ed.), 2020. <https://plato.stanford.edu/archives/fall2020/entries/epistemology/>.
- Stroll, A. and Martinich, A.P. "Epistemology." *Encyclopedia Britannica*, 2020. <https://www.britannica.com/topic/epistemology>
- Tienken, C. H., Goldberg, S., and DiRocco, D. Questioning the questions. *Kappa Delta Pi Record* 46, no. 1 (2010): 39-43.
- Trilling, B., and Fadel, C. (2009). *21st Century Skills, Enhanced Edition: Learning for Life in Our Times*. John Wiley & Sons.
- Turner, Howard. R. *Science in Medieval Islam: An Illustrated Introduction*. University of Texas Press, 1997. ISBN: 978-0-292-78149-8.
- United Nations. "Progress towards the Sustainable Development Goals." 2024. <https://unstats.un.org/sdgs/files/report/2024/SG-SDG-Progress-Report-2024-advanced-unedited-version.pdf>. (Retrieved 19 August 2024).

- Van Fraassen, Bas. *The Scientific Image*. Oxford: Oxford University Press, 1980.
- van Gelder, T. "Teaching critical thinking: Some lessons from cognitive science." *College Teachings* 53, (2005): 41-46.
- Walder, C. H. "Relative importance of domain knowledge and overall aptitude on acquisition of domain-related information." *Cognition and Instruction* 4, (1988): 25-42.
- Weaver, G. G. and Genci, L. *Applied teaching techniques*. Pitman Publishing Corporation, 1960.
- Webb, M. O. "Why I know About as Much as You: A Reply to Hardwig." *The Journal of Philosophy* 90, no. 5 (1993): 260-270.
- Wedgwood, R. The Aim of Belief. *Philosophical Perspectives* 16, (2002) :267-97.
- Wenaweser, C. and Alavi, S. Innovating to Restrain the Use of the Veto in the United Nations Security Council. *Case W. Res. J. Int'l L.*, 52, no. 1 (2020): 65-72.
- Wester, S. R., Vogel, D. L., Pressly, P. K., & Heesacker, M. "Sex differences in emotion: A critical review of the literature and implications for counselling psychology." *The Counselling Psychologist* 30, no. 4 (2002): 630-652.
- Williamson, T. *Knowledge and Its Limits*. Oxford University Press, 2000.
- Willingham, D. T. How knowledge helps. *American Educator* 30, no. 1 (2006): 30-37.
- Wolf, R. A. *Defining the concept of creativity*. Master's thesis, University of Twente, 2014.
- Zagzebski, L. "Recovering Understanding." In *Knowledge, Truth, and Duty* edited by Matthias Steup, 235-254. Oxford University Press, 2001.